مشكل غريب الحديث وهو مستخرج من البخاري رسالة
وغيره مما شرحه الشيخ الجليل الامام
ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاشعري

سطر ٢٧

قال الامام السبكي رحمه الله في كتاب الرياض
قال القاضي ان ما لا يصح من الاحاديث
فواجب ان لا نذكر منها شيء في صفة الرب
ولا نعتقد ايمانه عليهم ولا نتحدث بها
ولا نتكلف الكلام على معانيها بل الصواب
طرحها وترك الشغل بها وقد انكر
الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه
في مشكل الكلام على احاديث ضعيفة
موضوعة لا اصل لها او منقولة من
اهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصد
بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس
واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف
للنفس انتهى ما ذكره القاضي

٤١٢

T. C.
MILLI EĞITIM ...
RAGIP PAŞA ...
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 225

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ٭ وصلى الله تعالى على نبيه محمد واله وسلم حدثنا ابو محمد بن عبد الملك بن الحسن الصقلي قال حدثنا ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاشعري الاصبهاني ٭ قال الحمد لله المتفضل بنعمته المتطول باياديه ٭ ومننه الذي خص من يشاء بهدايته من غير حاجة ومنعها من يشاء من غير نقص ولا افة ٭ اوجد المخلوقات بقدرته واتقنها بعلمه ودبرها على حسب ارادته ومشيئته ورتب بدايعه على حكمته وشهدت صنايعه بعزته وعظمته فكل مفطور شاهد بوحدانيته وكل مخلوق دال على الهيته وربوبيته موحد بصفات العلو والتعظيم في ازله ٭ متفرد باسمائه الحسنى في قدمه ٭ مقدس من الحاجات مبرا عن العاهات ٭ منزه عن وجوه النقص والافات ٭ متعال ان يوصف بالجوارح والالات والادوات والسكون والحركات والدواعي والخطرات بل هو الغني عن جميع من في الارضين والسموات لا يليق به الحدود والنهايات ٭ ولا يجوز عليه الاكوان والمماسات ولا تجري عليه الازمان والاوقات ٭ ولا تليه الصفات والالات ذات موجود بلا حد موصوف بلا كيف مذكور بلا اين معبود بلا شبه لا تتصوره الاوهام ٭ ولا يقدره الافهام ٭ ولا يحيط به لكنه علمته الدلائل والاعلام ٭ خلق ما خلق انواعا متفرقة ٭ واجناسا متفقة مفترقة فدل بها

مفترقة

اولی

اولی الالباب على انه خارج عن كل نوع وجنس بعيد عن مشابهة على ذي شكل وشكل نحمده على نعمه عودا وبدا ٭ ونشكره على فواضله اولا واخرا ونستعصمه من الخطا والزلل ونستوفقه لارشد القول والعمل ونستعينه على اتمام ما ابتدا به من فضله ورحمته ونشهد له بالتوحيد والتفرد بانشاء المخترعات على اختلافها نفعا وضرا وعلما ومنعا وخيرا وشرا وان جميع ذلك العدل من قضائه والقسط من تدبيره وتقديره ونشهد ان محمدا عبده ورسوله وصفوته وخيرته صلى الله تعالى عليه وسلم ٭ ارسله بالحق الى الخلق بشيرا ونذيرا صادقا امينا فقطع به العذر واكمل به الحجة وختم به الرسالة صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة وعلى المرسلين والنبيين والملائكة المقربين وعلى جميع المطيعين له عامة وسلم تسليما كثيرا

بكة

اما بعد فقد رغبتم اسعدكم الله بمطلوبكم ووفقنا لاتمام ما ابتدانا به على تحري النصح والصواب من حاجتكم الى املاء كتاب نذكر فيه ما اشتهر من الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما يوهم ظواهرها التشبيه مما يتسلق بها الملحدون على الطعن في الدين وخصوا بتقبيح ذلك الطائفة التي هي الظاهرة بالحق لسانا وبيانا وقهرا وعلوا وامكانا الطاهرة عقايدها من شوايب الاباطيل وشوائب البدع والاهواء الفاسدة وهي المعروفة بانتحال اصحاب الحديث وهم فرقتان فرقة منها هي اهل النقل والرواية الذين تشتد عنايتهم بنقل السنن وتتوفر دواعيهم على تحصيل طرقها وحصر اسانيدها والتمييز بين صحيحها وسقيمها فيغلب ذلك عليهم ويعرفون به وينتسبون اليه ٭ وفرقة منهم يغلب عليهم تحقيق طرق النظر والمقاييس والانتصار على ترتيب الفروع على الاصول ونفي شبه الملبسين عنها وايضاح وجوه الحجج والبراهين على حقايقها فالفرقة الاولى للدين كالخزنة الحافظين والفرقة الاخرى كالبطارقة التي تذب

رغبتم

للملك

عن فوايد الملك للمعترضين عليها والمتعرضين لها وذلك
ان اهل البدع من اصحاب الاهواء الفاسدة العادلة عن
منهاج الكتاب والسنة نحو الجهمية والمعتزلة والخوارج و
الرافضة والجسمية ومن ناصب هذه الفرقة بالعداوة من ساير
اهل الاهواء الباطلة يقصدون ايثاتها من هذه العصابة بنقل
امثال هذه الاخبار ويرومون بذلك التلبيس على الضعفا ليوهمهم   التلبيس صح
انها تنقل ما لا يليق التوحيد ولا يصح في الدين وكذلك   وانطق ان
هذه الفرقة احتملت ذلك [illegible] حقايق معاني هذه
الاخبار على حسب المعهود من احوال الخلق والمعروف
من صفاتهم وجوارحهم وادواتهم واشتغلت بذلك و
هي ذاهبة عن معانيها غافلة عن المقاصد فيها فرمها
بكفر التشبيه وبغفلة اهل الالحاد والتعطيل جاهلة بانها
نقلت ما وعت عن رسولها وروت ما سمعت عن
العدول عنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتقدت
اصول الدين وحقايق التوحيد بدلايل العقول والسمع ورت
ذلك على موافقة اصولها ومعاضدة ما شهدت البراهين
بصحتها ٭ وانما حمل هؤلاء المبتدعة على هذا التهجين و
الانكار على هذه الطايفة بنقل ما نقلت من ذلك [illegible]
[illegible] على انكار كتاب الله عز وجل اعتراضا منهم عليه بذكر   الملحدة المعطلة صح
ما ذهبت عن معرفة معانيها وحقايقها من اياته المتشابهة
وذلك ان اي الكتاب قسمان قسم هو محكم تاويله
تنزيله يفهم المراد منه بظاهره وذاته وقسم لا يوقف
على معناه الا بالرد الى العقول منهم وانتزاع وجه تاويله وكذلك
اخبار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم جارية هذا المجرى و
منزلة هذا التنزيل فمنها الكلام البين المستقل في بيانه بنفسه
ومنها المفتقر في بيانه الى غيره وذلك على حسب عادة العرب
في خطابها وعرف اهل اللغة في بيانها اذ لم يكن كل خطابها   خطابها صح
بينا مستغنيا عن بيان وتفسير ولا كله خفيا
مشكلا يحتاج الى بيان وتفسير من غيره ٭ فاذا كانت   مشكلا صح

دلايل

دلايل الله عز وجل على ما فطر عليها العقول منقسمة وكذلك
دلايل السمع منقسمة ٭ ولما لم يعترض ما خفي من دلالة العقل
على ما تجلا منها حتى تشكك دلايل العقول رأسا وكذلك
ما خفي دلايل السمع لا يعترض على ما تجلا منها ٭ وانما اراد الله عز
وجل ان يرجع الذين اوتوا العلم بخصايص رفعة ودرجات
فيها يبين حالهم بها عن من لم ينعم عليه بمثلها فاذا كانت
دلايل العقول صحيحة مع تفاوتها في الجلاء والخفاء عند العلماء
وكذلك دلايل كتاب الله عز وجل فيما دلت عليه من الاحكام
والاسماء والاوصاف ونعوت الخالق والخلق وكذلك
كون تنويع دلايل السمع الذي هو السنة متنوعة لا يبطلها
جهل الجاهلين بمعانيها وهذه المقدمة تكشف لك عن
جهالة المبتدعة في اعتراضهم اهل النقل من اصحابنا في نقل امثال
هذه الاخبار توضح لك ان قصد هذه المقالة تخرب القايل
الناطق به والقايد له الى ابطال الكتاب بمثل ما ابطل به السنة
وانه مثل زعم ان الاي المتشابهة التي وردت في الكتاب
معاني وطرفا من جهة اللغة تنزل عليها وتصحح بها من حيث
لا تؤدي الى تشبيه ولا الى تعطيل فكذلك سبيل هذه الاخبار
والتطرق الى تنزيل معانيها وتصحيح وجوهها على الوجه الذي
يخرج عن التشبيه والتعطيل كذلك فلم يبق الا ان هؤلاء
المبتدعة انما تعتقد بهذا التهجين الكشف عما تستره
من العقايد الردية في هذه الطايفة الظاهرة التي هي
بالحق ظاهرة فسبيل اعتراض الملحدة على جملة اهل
الشريعة بمتشابه اي الكتاب اذا تبين لهم وجوهها
وكشف لهم عن طرق صحتها فان ابوا الا التهجين والعيب
ليبنوا اضمارها وعقدها لاهل الاسلام ٭ فصل
واذ قد بان الوجه الذي ينزل عليه هذه الاخبار و
يدفع بها اعتراض الزاري من المخالفين على اهل الاثار فنكشف
لك الان عما ذهب اليه بعض السلف من المشايخ
رحمهم الله في هذا الباب حيث زعم ان ما جرى هذا

المجرى من هذه الاخبار انما تنقل على التسليم لا للاعتقاد
والاتباع والتقليد دون البحث عن معانيها والكشف
عن وجوهها لنحو ما روى عن الاوزاعى رحمه الله فى ذلك
وعن غيره على نحو معناه انه قال فى هذه الاخبار امروها
كما جاءت والبيان عن وجه ما ويحاول من المشايخ
رحمهم الله وان ما قصدناه من ذلك لا يخالف ما
ذهبوا اليه فنقول ان ما سلكه هؤلاء المشايخ من هذه
الطريقة فى امثال هذه الاخبار محمول منهم على انهم منعوا
من تاويلها من لا يهتدى الى توجيهها وتعريف معانيها
وطرقها لئلا يسبق الى احد التخليطين اما اعتقاد تشبيه
ووصف الرب سبحانه بما لا يليق به او ابطال الخبر راسا
اذا تعذر عليه تخريجه وتبيين ذلك ان الله عز وجل
لما ذكر الكتاب الذى فيها آى الكتاب
محكمها ومتشابهها ذم بنحو قوله تعالى والراسخون
فى العلم يقولون آمنا به ان من لا يكون فى العلم راسخا
انه يتعرض لتاويل ما تشابه منها وان ذلك فى آخر
الآية بقوله تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب اى ما يتذكر
معانى ما تشابه منها على الصحة وطلب الحق فيها الا اولو
العقول والافهام والبصائر . ويدلك على ذلك
ما روى عن الاوزاعى رحمه الله انه سئل عن قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى فى كل ليلة الى سماء
الدنيا فقال يفعل الله ما يشاء وهذا هو البحث عن معنى النزول
وقد كشف رحمه الله عن ذلك باوضح معنى واخبر ان ذلك
فعل من الافعال يظهر منه بقدرته لا يقتضى له تغيرا ولا تحولا
كنحو ما يظهر من افعاله ولقد وقع رحمه الله فى تاويل سائر ذلك
وان اهل النظر والتحقيق بعده قد قصدوا تاويل هذا
الجنس الى الآن فما زادوا على ما قال فكشف لك ان سبيلهم
فى الامر بامرار الاخبار على ما جاءت انما جرى على طريق الورع
لمن ليس باهل [illegible] عن الخوض فى تاويلها مع اعترافهم بصحتها
للنظر

التخليطين صح

ابطال الخبر

٥

فصل ويؤيدك ايضاحا لما قلنا ان اكبر وجه من
وجوه طعن المبتدعة على اهل النقل من اصحابنا فى رواية
ذلك قولهم انكم تنقلون ما لا تدرون وتروون ما لا
تفهمون وعن الكشف عن معناه تمنعون . وانما تكلم به النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ان صح لاعتقاد فائدة وافادة
فائدة ومعنى زائد وان لم يكن فى روايتها الا التلفظ بها
من غير ان تعقل معناها او جب ان يضاف الى الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو عنه بعيد من العبث فى التلفظ
بما لا يفيد ونقل القوم ما لا يفهم وهذا كما طعنت الملحدة على متشابه
القرآن العظيم على من قال من اهل التاويل خاصة ان ما لا يعلم
تاويله الا الله وابتدا من قوله تعالى والراسخون فى العلم وجعله
واو استيناف لا واو عطف مع ان تلاوة القرآن عبادة و
سنة وفضيلة لمن يعرف معناها ولمن لا يعرفها فاما الاخبار
والسنن فانما نقلت لمعانيها وفوائدها لا لالفاظها فقط
فقلنا فى الجواب عمن سلف وخلف من هذه الطائفة ان ما
قصدتم به الطعن على هؤلاء النقلة بذلك وليس بل كل
ما صح من ذلك فله معنى صحيح وفائدة معقولة منزلة على حكم
اهل اللغة مقدرة على المتعارف بين اهلها فى كلامها وسبيل هذه
الاخبار ومتشابه القرآن سبيل واحدة فى هذا الباب الا
من حيث الفاظ التلاوة مقطوع بها ومعانيها مستنبطة و
الفاظ هذه الاخبار منقولة على الطرق التى وردت عليها وعلى الوجوه التى نرتبها
على الوجه الذى ترتيبها ونذكر افهامها ووجوهها واذا كان
كذلك وكان طعن الطاعنين من المخالفين بذلك ساقطا
لم يبق الا ان نكشف عن وجوهها ومعانيها ليعلم الغرض فى
نقلها وتحصل الفائدة لواعيها باسماعها . فصل و
يزيدك بيانا وايضاحا ان لابد ان يحصل على ما ذكرنا ان
الذاهب الى القول بقبول ما صح منها ان كف لسانه عن الخوض
فى طلب معانيها فكيف يمكنه ان يكف قلبه عن اعتقاد شىء فيها
هو الشك والوقف فى جملة معانيها وكيف يكون الشك [illegible]

التلفظ صح

التلفظ صح

فقط صح

فليس بطعن صح

مستنبطة صح

وعلى الوجوه التى نرتبها صح

فيحصل

ان كف لسانه صح

اولى صح

(النظر صح) (احق صح)

من العلم والوقف عن النظر احق من طلب التكلف بفهم
ما يوقفك للتفهيم والفهم وجملة هذا القول يوجب
ايقاف السامع لذلك القائل له عن طلب الفوائد و
البحث والوقوف مع الظن او الجهل فيما طريق العلم به (طريق صح)
ممكن واستخراج معناه متيسر مع انه يجب على هذا القائل
ان يقف ايضا في متشابه القرآن العظيم ويحظر التفكر في ذلك (ويحظر النظر)
وهذا يؤديه الى الانكار على الصحابة والتابعين لاجل انهم قد بحثوا (قد بحثوا ع)
عن تلك الطرق وحثوا على ذلك وكذلك اوامر الله
عز وجل بتدبر اياته والتفكر في بيانه لما عرضهم باستعماله للدرجات
والرتب الكرامات . واعلم ان المذموم من ذلك ان يسبق
اعتقاد قلبك في معاني امثال هذه الاخبار الى ما يقتضي التشبيه
ووصف الله عز وجل بما لا يليق به من الجوارح والحركات و
الادوات . والذي يليه في الذم الوقف عن ذلك [illegible]
وعن طلب الحق فيها تؤثرا لتعذر الوقوف على الحق فيها استثقالا (استثقالا)
للبحث وتوطينا للنفس على التقصير في طلب الحق الذي فيه رضا (للنفس صح)
الرب عز وجل واستغنام الفوائد من كلامه عز ذكره وكلام
رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد ظنون المخالفين واوهام (مهم)
الفاسدة بما طعنوا على اهل الحق بمثلها اظهارا للحجة الله عليهم
وابانة لنصرة الحق بالكشف عن دلائله وما جمع هذه الفوائد
فلا وجه للتوقيف دونها وترك النظر فيها على الوجه الذي (النظر فيها ن)
ينزل الخطاب عليه من حيث لا يؤدي الى دفع الخبر ولا الى
استبهام معناه من حيث لا يوقف عليه ولا الى تشبيه
الخالق تعالى بالخلق . فصل ثم اني لما اجبتكم الى
مطلوبكم من ذلك اخطرت ببالي ما سبقنا اليه في ذلك (مطلوبكم ح)
المشايخ من الكتب الموضوعة في مثل هذا المعنى للموافق و
المخالف نحو كتاب محمد بن شجاع البلخي في ذلك وكتاب
عبد الله بن مسلم القتيبي وما عمله اخيرا ابو الحسن بن مهدي فوجدت
كل واحد منهم قد ذكر من ذلك طرفا ومما اجتهد فيه من
استنباط معانيه نبذا ولم يكن جميع ما ذكروه عندي مستوعبا

لجميع

لجميع ما يمكن ان يذكر فيه بل قد وجدنا اخبارا اكثر مما ذكروها
مما يجب تاويلها والبحث عن معانيها وتخريجها على الوجه الصحيح
فعزمنا على اضافتها الى ما ذكروه وفيما ذكروه فيما تاولوه و
خرجوا مما له وجوها تذكر فيها زوائد اوضحناها على تلك الطرق
لئلا يكون كتابنا نقلا ونسخا بتعيبه الزاري عليه بان فلانا
قد ذكره وقد صنف في ذلك لتجمع لك في كتابنا ما ذكروه
بزوائد معانينا فيها وزوائد معاني ما لم يذكروه منها والدلالة
في تضاعيف ما يجري من ذلك على ما لا يصح . مما ذكره البلخي
والقتيبي من ذلك على الاصل التي هي جوامع التوحيد
والسنة وستعرف ذلك باوجز عبارة واكشف دلالة
على الله السبيل الذي رتبناه . فصل في بيان ما
يجب ان يوقف عليه من اصول هذا الباب ان
شاء الله تعالى اعلم ان الذي يجب ان يوقف عليه من
قواعد الكلام في هذا الباب وما يمكننا عليه من الاصول التي
يستند الكلام فيه اليها حتى يجري عليها ما نذكر في هذا الباب من
معاني الاخبار والاشارة الى طرق تخريجها اشياء منها انه
يجب ان نعلم ان الله عز وجل شيء واحد لا يجوز عليه الانقسام
والتجزي وانه ليس في ذاته اشياء مجتمعة ولا متفرقة وانه لا يصح
عليه مماسة المخلوقات ولا مجاورة المحدثات وثمرة المعرفة (ثمرة له)
بذلك ان توقف انه مما لا يصح وصفه تعالى بالجوارح والابعاض
والادوات والاعضاء والكون في الاماكن على الحلول فيها
والمجاورة لها . واصل لك ايضا الكلام في انه لا يصح ان
يكون جسما ولا جوهرا ولا يجوز ان يكون محدودا متناهيا تعالى
. ثم بعد ذلك يجب ان تعرف على ان المنهي عن الله عز وجل
من مشابهته للمخلوقات بكل وجه ليس هو انه لا يجوز ان
يوصف بما يوصف به المخلوق مما تتفق فيه العبارات و
التسميات ولا تعترف حقايقها ومعانيها التي تجري لها
مجرى الحدود والا من حيث تقع المباينة والاوصاف
التي لا تجري لها مجرى الحقائق والحدود دون المراد بنفي

المشابهة بينه عز وجل وبين الخلق يرجع في الحقيقة الى الا
يجوز ان يكون في شي مما يوصف به على جميع معاني ما يوصف
به المخلوق اذا وصف بمثله واصل ذلك معرفة حقيقة المثلين
والمشتبهين ويجب ان يعلم في ذلك فساد قول من
قال ان المشتبهين هو ما اشتركا في الاسم الواحد او
حكم واحد او صفة واحدة من طريق الايجاب او من طريق
النفي وان تعلم ان حقيقة ذلك هي على ما نقول
انهما المشتركان في سائر اوصافهما ومعانيهما جوازا او
وجوبا وان ما استبد احدهما بحكم لا يجوز ان يوجد بصاحبه
على وجه فهو مخالف لما فارقه فيه او غير مماثل له اذا كان
وصف التغاير بينهما ممتنعا ثم يجب ان تقف بعد
ذلك على طرق ما اخذ اسماء الله عز وجل وصفاته وتعلم
فساد قول من قال ان طريق ذلك ما يصح في اللغة دون
مراعاة ورود التوقيف بذلك في الكتاب والسنة و
اجماع الامة ثم يجب بعد ذلك ان تعلم اقسام الاخبار و
طرقها ووجوهها وتعرف ان ما كان متواترا منها نقلا نقله
الخلف عن السلف من غير مدافعة ولا منازعة من واحد منهم
فيه وما يجري مجرى ذلك مما ينقله البعض منهم ويستفيض في
الباقين وينتشر ولا يوجد نزاع في ذلك وتفصل بين
مرتبتيهما فان احدهما ينتهي امره الى ان يضطر السامعون الى
العلم بما اخبروا عنه وتصديق المخبرين وان الثاني يساوي
هذا الاول في ايجاب ~~العلم القطع بالشيء~~ ولكنه لا ينتهي
الامر فيه الى ايقاع العلم الضروري للسامعين بل يعلم ذلك
استدلالا بما قامت من دلالة صحة من عصمة الامة في كل ما
يجمع عليه قولا وعملا ورضا به وترك الانكار عليه وان
ما عدا ذلك فمنه ما يصح على طريقة الاحاد ولا يوجب العلم
والقطع بل يلزم الحجة به على المكلفين من باب العمل دون
القطع بنفسه ومما يجب ان يقع عليه في هذا الفصل ان
ما جرى هذا المجرى من الاخبار لا يجب القطع بنفسه فان

معنى المتشابهين

بمعينه
لم

يحمل
لم يكن فيه محمل يحتمل ظاهرا كان سبيله ان يحمل على التجوز لما ورد
الله دون القطع فيحكم له على التغليب لا على التحقيق الذي
يقتضي مساواة ظاهره لباطنه ويجب ان تعلم من قواعد
هذا الباب ان ما جرى حكمه من الاسماء في اللغة على طريق الا
في معان مختلفة وانه لا يختص اللفظ ببعضها الا بدليل سوا اللفظ
المشترك والا لم يكن بعض تلك المعاني المختلفة فيها اولى
من بعض فاذا وقفت على هذه الجمل وتحققت قواعدها
واصولها تبينت فروع هذه الاخبار وما ضاهاها فنبني
الكلام فيها على هذه الاصول ولم نحتج في ذكر كل فصل منها الى
ضم الدلالة عليه لما تقدم من تمهيد ذلك قبل ∴ فصل
في ابانة الدلالة على ان الله عز وجل شي واحد لا يجوز عليه الانقسام
والتجزي ∴ اعلم انا نشير في كل فصل مما ذكرنا الى ما يجمع
الكلام فيه مما هو قاعدة الباب على الايجاز لئلا نخرج عن
الغرض المطلوب من الاختصار فمما يدل ابتداء على ان الله عز
وجل شي واحد على التحقيق وليس باشيا مجتمعة وان اجرا اسم
واحد عليه لا على سبيل ما يجري على الجملة المجتمعة مثل قولك انسان
واحد ودار واحدة وهي في الحقيقة اشيا مجتمعة بل اجرى
ذلك عليه على حد ما يجري على المذكور الموجود الذي لا يصح
الانقسام على ذاته كقولك سواد واحد وجوهر واحد في باب
ان ذلك يرجع الى معنى نفي الانقسام والتجزية عنه بهو انه لو
كان عز وجل اشيا مجتمعة لم يصح ان يكون فاعلا واحدا ولا قادرا
واحدا لان ما يصح وصفه بالاجتماع وهو القائم بنفسه الذي
يصح ان يقوم به الصفات وقد ثبت انه لا يصح ان يقوم صفة
واحدة بموصوفين قائمين بانفسهما بل لا يصح ان يقوم
الصفة الواحدة الا بموصوف واحد قائم بنفسه وهذا يوجب
اشيا كلها محال منها ان يكون قدرته لا لقادر وذلك محال
او يكون القدرة الواحدة متجزئة منقسمة وذلك ايضا
محال لان توحدها على هذا الوجه يمنع انقسامها او يكون
قدرة لمن لم يقم بذاته وذلك محال ايضا فلما استحالت هذه

مشترك

الاشياء وكان القول بان الله عز وجل اشياء مجتمعة يقال لها
واحد كما يقال لجملة اشياء مجتمعة ونحو ذلك نحو قولهم انسان
واحد يؤدي الى بعض هذه المحالات استحال ووجب القول
بانه شيء واحد غير منقسم ولا متجزئ ∴ فان قال قائل اذا
قلتم ان معنى وصفه جل وعم نواله وعز بانه شيء واحد لا يحتمل
القسمة والتجزي توهما وتقديرا لا فعلا وتحصيلا فقد اوجبتم
[illegible] بذلك وصفه بما يوصف به الجزء الواحد من الاعراض
والجواهر وذلك يوجب وصفه بانه اقل القليل واصغر
الصغير وذلك محال في وصفه تعالى ∴ الجواب قيل انما
ذكرنا في هذا المثال توحيد الجوهر والسواد على طريق التفهيم
للمراد بقولنا واحد لا على معنى ما يقال للجملة المجتمعة انها واحد
وجمعنا بينهما في هذا المعنى الواحد وهو تحقيق اثبات على امتناع
القسمة من طريق التجزئة والتبعيض توهما عليه وتقديرا ∘ فاما
مفارقة الجزء من الجواهر والسواد للقديم سبحانه في باب صحة
وصف الجوهر والسواد انه اقل القليل واصغر الصغير فلا يؤثر في
ذلك ولا يوجب الاتفاق في ذلك المعنى الاشتراك في ساير
المعاني الجوهر الواحد والجزء من السواد وذلك ان الجوهر الواحد
اذا قيل اصغر الصغير واقل القليل فلم يجب ذلك به من حيث
وصفنا له بواحد وصف بانه على معنى احالة القسمة عليه في ذاته
وجب ان يشاركه في صحة الوصف بالصغر والقلة والتصغير من
حيث صح في وصفه ان يجاوره مثله وامثاله فيكثر بها فاذا انفرد
عنها قيل صغير فاذا ضامها قيل كبير وكثير الا ترى ان الواحد من اجزاء
من [illegible] السواد ويصح وصفه بانه واحد على التحقيق من
حيث امتناع القسمة على ذاته ولا يوجب ان يوصف
بالصغر والقلة الا اذا انفرد لا يتعلق بمعنا ما وصفناه به
انه واحد على الوجه الذي اشرنا اليه من امتناع القسمة
على ذاته ∴ واما القول في انه عز ذكره لا يصح عليه مماسة
المخلوقات ولا مجاورة المحدثات فالذي [illegible] يوضح
صحته اشياء منها ان الحجة قد قامت على انه لا يصح ان يكون

فبان ان المعنى الذي لاجله وصف الجوهر
بالصغر والقلة صح

محدوداً

محدوداً ولا ان يكون محلاً للحوادث وان ما شاع فيه واحد
من ذلك كان محدثا وانما لم يجز ان يكون محدودا بذاته لاجل
انه لا يصح ان يكون لذاته نهاية لانا قد بينا ان الجواهر المحدثة والاجسام
المخلوقة لما كان لوجودها ابتداء واجبا وانها جائز في وجودها
كانت ذواتها متناهية محدودة قابلة للحدث وكان ذلك
قبولها للحدث على حدوثها فلو شاع على القديم الذي لم يزل
موجودا ولا يزال موجودا ما يخص المحدثات لكونها دلالة على
حدوثها لم يؤمن مع هذا القول قدم الاجسام كلها وان كانت
محدودة متناهية متماسة متجاورة ومتباينة محالا للحوادث
وكان كل قول يؤدي الى ما لا يؤمن معه قدم الاجسام الحادثة
باطلا وكان القول بتجويز الحد والمماسة وحلول الحوادث
في ذات القديم سبحانه يؤدي اليه بطل القول به لثبوت
الدلائل وقيام الحجج وصحتها في ان الاجسام محدثة لم تكن فكانت
ولذلك قلنا ان من اجاز على القديم سبحانه وتعالى عن قولهم
المماسة والتناهي وان يكون محلا للحوادث من المجسمة
فلا سبيل لهم الى القول بحدث العالم ولا طريق لهم الى ثبوت
بها ان الاجسام لم تكن فكانت فاذا بان ان القول بصحة
وصف القديم بالحد والنهاية ومماسة المخلوقات
وحلول الحوادث في ذاته تعالى يؤدي الى ما ذكرنا مما يستحيل في
وصفه علمت بصحة هذه المقدمة وثبوت هذه القاعدة
ان ما وصف به سبحانه في الكتاب والسنة من الوجه واليد
والعين والاتيان والمجيء والنزول كل ذلك على غير معان الا
والانفصال والظعن والانتقال وان اعتقاد ذلك
على معنى الجارحة والبعض والعضو والاداة مستحيل في
وصفه ومن اعتقد عليه شيء منها فجاهل به ∘ ولذلك
احال الموحدون وصفه بانه تعالى جسم او جوهر لان
الدليل قد كشف عن معنى الجسم الا يكون الا جواهر مجتمعة
وقد ثبت انه ذاته سبحانه شيء واحدة بما ذكرنا وبطل ان يكون
جوهراً اذ قامت الدلالة على ان معناه ما احتمل لونا واحداً

لكنه

تعالى

من جنس واحد وكونا واحدا وان شرطه اللازم له ان
يتعاقب عليه الحوادث ولا ينفك منها وان ما كان كذلك
لا يكون الا محدثا وذلك محال في وصفه تعالى لا بل ان القول
به يؤدي الى بطلان قدمه وايجاب الدلالة على حدوثه او فساد
القول بحدوث العالم ∴ مسئلة فاما ما قلنا انه يجب
ان يعلم ان المنفي عن الله عز وجل من التشبيه ليس هو نفي
ان يتسمى باسم قد تسمى به المحدث والمراد بذلك انا
اذا سميناه بما سمى به نفسه ووصفناه بما وصفه به رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبما اجمعت عليه الامة خلافا
لمن قال من المبتدعة انه لا يجوز ان نسميه باسم يسمى به المحدث
على وجه لان ذلك تشبيه على دعواه وذلك نحو ما سميناه به
انه شيء واحد حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير وقد
اجري ذلك على المحدثات حقيقة ولم يكن سبيل الى
منع ما اذن الله عز وجل من تسميته به واطلاقه له كما لم يكن
سبيل الى اطلاق اسم لم ياذن فيه في كتابه او على
لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او على لسان
امته وانما غلط هؤلاء المانعون في ذلك حيث توهموا
ان الاتفاق في بعض الاسامي يقتضي التشابه والذي يوضح
من ذلك هذا المتوهم انه لا بد ان يكون مختلفا وقد وصل
الى بعض ذلك حسا والى بعضه عقلا ثم من الحكم اللازم
لهما اتفاقهما في كثير من اسمائهما ولو لم يكن في ذلك
الا ان كل واحد منهما يقال انه مخالف لصاحبه وحكمه
حكم المخالفة معه واذا كان كذلك بان ان ليس شرط كان م
المختلفين ان لا يسمى احدهما بما يسمى به صاحبه ولا شرط المختلفين صح
المتشابهين ان يسمى احدهما بما يسمى به صاحبه فبان
ان اتفاق المختلفات في كثير من الاسماء والاوصاف لا
يقتضي تشابههما وانما يتضح بوضوح هذا الاصل ما
اردنا ان نكشف عنه ان اتفاق القديم والمحدث في
بعض الاسماء والاوصاف لا يقتضي التشابه بينهما اذ

كان

كان قد استبد احدهما بحكم او احكام يمتنع نحو ذلك على
صاحبه واعلم ان الوقوف على هذا الاصل والتبيين له على
الحقيقة يكشف عن جميع شبه المبتدعين فيما ادعوا من
التشبيه على اهل الحق من اهل السنة والجماعة من اهل الحديث
اذا وصفوا الله عز وجل بما وصف به نفسه او وصفه به
رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم او المسلمون وهذه المقدمة
التي نذكرها اولا في الجواب عن هذه الاخبار والآي المتشابه
وان وصفنا الله عز وجل انه مستو على عرشه وانه خلق آدم
بيديه وان له وجها وعينا ونحو ذلك لا يوجب اطلاق التشبيه
كما توهم المخالفون الطاعنون على هذه الطايفة برميهم
التشبيه في نقل ذلك ∴ فصل واعلم ان العائب
عليهم في هذا الباب لا يخلو عيبه على من عاب عليه منهم
ان يكون متوجها الى نقلهم ما وعوا وسمعوا عن العدول والثقات
او العيب عليهم في ذلك انهم نقلوا ما لا يجوز اطلاقه على الله
عز ذكره او يعيبون عليهم نقلهم مما يتوقفون عن طلب معناه
والبحث عن فايدته فاما النقل عن العدول بما يسمع منه
مع سكون النفس الى وثاقته فلا عيب فيه على ايّنا قيل
واما الدعوى بان ذلك لا يجوز اطلاقه على الله عز وجل
فقد قلنا ان لا مدخل للعقول في اطلاق الاسماء على
الله عز وجل بل سبيله ومأخذه التسمع واما التوهم بان ذلك
يقتضي التشبيه ووصف الرب بما لا يجوز عليه فهو راجع على
المتوهم له لقلة معرفته ونقصان رتبته في معنى الالفاظ و
تخريج وجوهها وان كان لاجل توقفهم عن البحث عن معناه
وقد نقلوه من حيث نقلوه ووعوه عن الثقات فقد
قلت ان المنع انما يتبع لمن لا يحصل طرف التخريج ويحمل عليه سبيل والتحقيق
التاويل فلا يتفق الجمع بين اثبات معناه ونفي التشبيه
وهذا المنع العامة ومن يقصر درجته في اللغة والنظر النظر ه
عن استقصا ما في ذلك عن تاويل متشابه القرآن كمنع
العامة عن الغنا في الوقوع لذهابهم عن علم الاصول وكيفية

رتبة الوضع عليها وقد بان ان لا معيب على هؤلاء النقلة
في نقل امثال هذه الاخبار ومع ذلك فانهم يكشفون
عن طرقها ويميزون بين صحيحها وسقيمها وما يجب يشتغل
بتأويله دون ما يجب ان يطرح فان عيب على هذه الطائفة — الطائفة ن
في نقل ذلك لولا سوء اعتقادهم المبتدعة وضميرهم وابطالهم
لهم العداوة والخلاف لاهل الحق والسنة حتى يطلب
العيب من غير وجهه ⁂ فصل فان قال قائل اذا كانت
هذه الاخبار لا توجب العلم والقطع ولم تتضمن عملاً
يعمل به فاوجه نقلها وكيف طريق الصواب في تخريج معانيها
ووجوهها فالجواب ان هذه الاخبار منقسمة على
اقسام منها ما اجمع اهل النقل على صحته وانتشر ذلك
فيهم ولم يوجد له منكر ولا مفند وذلك نحو حديث الرؤية
ووصف الله تعالى باليد والنزول وما جرى مجراه فهذا
الباب منتشر مشتهر لا دافع له بالشك من اهل النقل — بل الحل
مجتمعون على صحته ولا يطعن عليه الا مبتدع يرى رأيا فاسدا
يتوهم انه اذا قبل ذلك ادى الى تشبيه الله عز وجل بخلقه
وقد قلنا انه لا طريق لاحد الى انكار الخبر لاجل ما يتوهم من
الفساد في معنا متنه وانما يتطرق على ابطاله بما يرجع الى
سنده بكونه منقطعا او بان رويه مجهول العدالة او
مخرج ظاهر الامر في الكذب واما يتوهم مبتدع بفساد
رأيه ونقص معرفته ان ذاك يؤدي الى كذب مما لا يليق
بالله سبحانه فلا يبطل الخبر بمثله ولا ينفعا الا الكشف عن فساد
ما يتوهمه وابانة وجهه على الصحيح من حيث لا يؤدي الى التشبيه
ولا الى التعطيل ⁂ والقسم الثاني من هذه الاخبار ما هو
رويه بعض دون بعض ولا ينتشر ذلك غير انه لا يظهر جرح
سنده ولا ينكشف احوال الناقلين له الا عن عدالة فيستقبل
ذلك القبول وتكون درجته دون الدرجة الاولى فمن
ذلك ما روي ان الريح من نفس الرحمن وان الجبار يضع
قدمه في النار وان الله سبحانه يحمل السموات على اصبع ونحو

ذلك

ذلك ⁂ والقسم الآخر من اقسام هذه الاخبار ما يختلف
اهل النقل في وثاقة ناقليه فمن مصحح له نقلاً ومن طاعن
عليه فمن ذلك ما روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال
ان الله عز وجل خلق آدم على صورة الرحمن باظهار الرحمن ومن
ذلك ما روى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال رأيت ربي على صفات ذكرها في الخبر وذلك ان
اهل الجرح والتعديل من اهل النقل مختلفون في عدالة عكرمة
فمنهم من جرحه ومنهم من عدله وهذه القسم من هذه الاخبار
دون الدرجة الثانية وكلاهما مما يشتغل بتأويله وابانة وجهه
وتخريجه لاجل ان بعض اهل النقل قد صحح اسنادها ابالحجة في
دفع دعاوى المبتدعة وابانة خطأ المعطلة ⁂ والقسم — خطأ المعطلة م
الآخر من هذه الاخبار ما اجمع اهل النقل على سقوطه
وجرح رواته وانما رووها ليتبينوا كذب رواتها ويدلوا
على بطلانها وذلك نحو ما روى حماد عن ابن البهرم عن
ابي هريرة ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال مم ربنا عز وجل فذكر الحديث وحديث الجمل الاورق — والقفص صح
مصر وما ذكره صاحب الاغاني في كتابه من الطعن با — مثال
هذه الاحاديث التي اجمع اهل النقل على فسادها
وسقوطها فهذا النوع لا معنا للاشتغال بتأويلها و
تخريجها لاجتماع الكل على فسادها واعلم انه ليس يخلوا جميع
هذه الاخبار من هذه الاقسام التي ذكرناها فكل ما كان
له طريق يصح من جهته فللاشتغال بتأويله وجه وتستكشف عما
يجري بهذا المجرى منها ونوضح معانيها على الوجه الصحيح الذي
يشهد به اللغة ولا يدفعه العقل ولا تقتضي تشبيها ولا يؤول
الى وصف الرب عز وجل بما لا يليق به مما ذكرناه في ~~كتابنا المقرر~~ — في مقدمة كتابنا المقرر صح
ان دلالة السمع لا تنقض دلالة العقل
وان دلالة العقل تقتضي كون القديم سبحانه على الاوصاف
التي ذكرناها وان وصفه بخلاف ذلك يؤدي الى نفيه و
تعطيله ولا سبيل الى ذلك فعلم ان ما صح منه خرجت على دلائل

العقول ليجمع بين الدلالتين ويوفق بين الجهتين ويدفع
به طعن الطاعنين وانكار المنكرين على الوجه الذي
يشهد له دلائل العقول والسمع وقاعدة الاصول
الممهدة والقوانين المقررة وسيجئ ذلك على الترتيب
الذي رتبناه اولا اولا ان شاء الله تعالى ؞ فصل
فان قال قائل فان كان شيء من هذه الاخبار لا يوجب
العلم والعمل بعينه على اصلكم في ان خبر الواحد لا يوجب العلم
والقطع بعينه
وانما العمل يقتضي عمل فيه اذا تضمن عملا وكان نقله على الشرط
الذي يعملون عليه اخبار الاحاد واذا وردت ثم ان ما يطلق
على الله عز وجل من الاسماء والاوصاف بذلك مما يقتضي الاعتقاد
له على ذلك الوجه فكيف تحتجون بهذه الاخبار وما وجه اشتغالكم
بتقويتها وتصحيح معانيها في اوصافه عز وجل ؞ فالجواب
انا قد ذكرنا اقسام هذه الاخبار فمنها ما نقول انها تؤدي
الى علم مكتسب واعتقاد على طريق القطع لا على الوجه
الذي يضطر السامع فيه الى العلم بما يسمعه من اخبار
التواتر ولكنه على الوجه الذي نقول ان ما اجمعت
الامة عليه مقطوع به معتقد صحته ويعلم ذلك بنوع
من النظر والاستدلال واصل ذلك خبر الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم فانه يؤدي الى علم مكتسب لسامعه منه
وذلك نحو ما روي من هذه الاخبار مما استفاض وانتشر
واشتهر عند اهله ولم يوجد له منازع ولا دافع وذلك
نظير ما روي في اخبار السنن ان في الرقة ربع العشر
في مائتين درهم خمسة دراهم وفي خمس من الابل شاة
ومن ذلك اخبار الرؤية والشفاعة وخلق ادم على صورته
وينزل الى سماء الدنيا كل ليلة وما جرى مجراه فهذا النوع يؤدي
الى علم مكتسب واعتقاد لصحته نحو الاعتقاد لما ذكرناه
من اخبار السنن وما جرى مجراه ومنها ما لم يبلغ درجة التواتر في القطع
به ووقوع العلم الضروري لنا معه عنه وارتفعت درجته عن
درجة اخبار الاحاد وهي القسمة الوسطى من اقسام الاخبار

لانها

لانها تواتر ومستفيض واحاد واما ما كان من نوع الاحاد
فما صح به الحجة من طريق وثاقة النقلة وعدالة الرواة و
اتصال نقلهم فان ذلك وان لم يوجب العلم والقطع فانه
يقتضي غالب ظن وتجويز ظن حقا تصحيح الحكم انه من باب
الجائز الممكن دون المستحيل الممتنع واذا كانت ثمرة ما جرى
هذا المجرى من الاخبار ما ذكرناه فقد حصلت به فائدة
عظيمة لا يمكن التواصل اليها الا به وهذا يقتضي ان يكون
الاشتغال بتاويله وايضاح وجهه مرتبا على ما يصح ويجوز في
اوصافه عز ذكره محمولا على الوجه الذي نبينه ونوضحه من
غير اقتضاء تشبيه او اضافة ما لا يليق بالله عز وجل الله فعلى
ذلك يجري مراتب هذه الاخبار وطرق تاويلها فا
علمه
ان شاء الله تعالى ؞ ذكر ما يقتضي التاويل ويوهم
فيما هو التشبيه [illegible] حديث الصورة وبيان تاويله
؞ فمن اقسام الرتبة الاولى من هذه الاخبار مما يدخل
في معنا باب المستفيض الذي تلقاه اهل النقل بالقبول و
لم ينكره منهم مذكور وهو حديث الصورة وقد روي ذلك
على وجهين في بعض الاخبار مما يدخل في قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته ولا خلاف بين اهل
النقل في صحة ذلك ؞ وقد روي ايضا ان الله خلق ادم
على صورة الرحمن واكثر اهل النقل على انكار ذلك وعلى انه
غلط وقع من طريق التاويل لبعض النقلة فتوهم ان الهاء ترجع
الى الله سبحانه فنقل على المعنى على ما كان عنده في ان الكناية
ترجع الى الله عز وجل وقد روي في بعض الاحاديث عكرمة
عن ابن عباس وفي حديث ام الطفيل وغيره عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اطلاق لفظ الصورة على وجه اخر وهو
قوله عليه الصلوة والسلام رايت ربي في احسن صورة ؞
بيان تاويل ذلك واما قوله عليه الصلوة والسلام خلق
الله ادم على صورته فقد تاوله المتاولون من اهل العلم على
وجوه كثيرة سنذكرها ثم نزيد فيها ما وقع لنا في تاويله مما

حديث
ان الله خلق آدم على صورته

يوافق تأويلهم ويتبين خطأ من ذهب عن وجه الصواب
في تأويله واظهر وجوه التأويل في ذلك ما قيل ان هذا الخبر
خرج على سبب وذلك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مر
برجل يضرب ابنا او عبده في وجهه لطماً ويقول قبح الله وجهك
ووجه من اشبه وجهك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا
ضرب احدكم عبده فليتق الوجه فان الله عز وجل خلق آدم على
صورته ۞ وقد نقل الناقلون هذه القصة مع هذه اللفظة
من الطرق الصحيحة وانما ترك بعض الرواة بعض الخبر اقتصاراً
واختصاراً على ما يذكر منه للدلالة على ما حذف اذا كانت القصة
عندهم مشهورة مضبوطة بنقل الاثبات لان اكثر الغرض عندهم
الاسانيد دون المتون ولذلك ترك بعضهم ذكر السبب
فيه فالاولى ان نحمل المختصر من ذلك على التفسير حتى يزول الاشكال
وانما قال صلى الله تعالى عليه وسلم له ذلك لانه سمعه يقول قبح
الله وجهك ووجه من اشبه وجهك وذلك سب للانبياء
عليهم السلام وللمؤمنين فزجره عن ذلك وخص آدم عليه السلام
بالذكر لانه هو الذي ابتديت خلقة وجهه على الحد الذي يحتذى
عليها من بعده كانه ينبهه على انك قد سببت آدم ومن ولده
مبالغة في الردع له عن مثله فاذا كان كذلك وهذا وجه ظاهر
والمعارضة به عن المضروب في وجهه ولا شبهة فيه ۞ و
الوجه الآخر تأوله عليه الناس ان الكناية في قوله صورته
ترجع الى آدم عليه السلام وذلك ينقسم الى وجوه احدها ان يكون
معناه وفائدته تعريفنا اتمام نعمة الله عز وجل على ابينا آدم عليه
السلام مما فضله الله بان خلقه بيديه واسكنه جنته واسجد له
ملائكته وعلمه ما لم يعلم احد قبله من الاسماء والاوصاف
ثم عصاه وخالفه فلم يعاقبه على سائر ما عاقب به المخالفين له
في نحوه وذلك انه روي انه اخرج آدم عليه السلام من الجنة واخرج
معه الحية والطاوس فعاقب الحية بان شوه خلقها وسلبها
قوائمها وجعل اكلها من التراب وشوه رجلي الطاوس ولم يشوه
خلقة آدم عليه السلام بل ابقى له حسن الصورة ولم يجعل عقوبته

في ذلك

في ذلك فعرفنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ان
ان اباكم آدم عليه السلام كان في الجنة على الصورة التي
كان عليها في الدنيا لم يغير الله تعالى خلقته ويكون فائدة ذلك
تعريفنا الفرق بينه وبين سائر من اخرجه من الجنة معه و
ابانته له منهم في الرتبة والدرجة وهذه فائدة لا يمكن
الوقوف عليها الا بخبر الصادق ۞ والوجه الثاني من
ذلك اذا قلنا ان الهاء ترجع الى آدم عليه السلام
فسبيله ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم افادنا بذلك
الى قول الدهرية انه لم يكن انسان الا من نطفة ولا (ابطاله)
نطفة الا من انسان فيما مضى ويأتي ليس لذلك اول
ولا آخر وان الناس انما ينتقلون من نشو الى نشو على
ترتيب معتاد وان ذلك ابداً كان كذلك فعرفنا النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بكذبهم وان اول البشر وهو
آدم عليه السلام خلق على صورته التي كان عليها وعلى الهيئة
التي شوهد عليها من غير ان كان على نطفة قبلها وعن تناسل
او تنقل من صغر الى كبر كالمعهود من احوال اولاده فاكد
ما دلت عليه دلائل العقول من كون هذا العالم ان له
ابتداء وانتهاء وافادته الى ما لا يوصل اليه الا بالسماع
ان الاصل الذي منه توالدنا لم يكن عن توالد قبله بل خلق
كما كان عليه وهو آدم عليه السلام خلقه الله تعالى من صلصال
كالفخار ثم خلق فيه الروح فلم يكن في صلب ولا رحم ولا كان
علقة ولا مضغة ولا طفلاً ولا مراهقاً بل خلق ابتداء بشراً
سوياً كما شوهد وعهد ۞ والوجه الثالث من وجوه
هذا التأويل بالرجوع بالهاء الى آدم عليه السلام ما ذهب
اليه بعضهم في تأويله وهو انه افادنا صلى الله تعالى عليه وسلم
بذلك ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام على الصورة التي
كان عليها من غير ان كان ذلك حادثاً او بني منه عن توليد
عنصر او تأثير طبع او فلك او ليل ونهار ابطالاً لقول
الطبايعيين ان بعض ما كان عليه آدم من هيأته وصورته

لم يخلقه الله عز وجل وانما كان ذلك فعل الطبع او تاثير الفلك ثم
فنبه بذلك على ان الله تعالى عز وجل هو الخالق لادم عليه السلام
وما كان فيه من الصور والتراكيب والهيئات لم يشاركه في
خلق صورة من صوره او هيئة من هيئاته احد سواه فاستفدنا
بذلك بطلان قول من قال بتوليد الطبع وايجابه وتاثير الفلك
وتعبيره . وخص ادم عليه السلام بالذكر تنبيها على من يشاركه
من المخلوقات في معناه فهذه طريقة الوجه في التفهيم بذكر
اعلاها في الباب للدلالة على ادناها فاذا علم ان صورة
ادم عليه السلام وتركيبه وهيئاته لم يخلقها احد الا الله عز
وجل علم ان سائر المصورات من اولاده وغيرهم كحكمها
ذلك . وقال بعضهم الهاء ترجع الى بعض المشاهدين من الناس
والفائدة في الخبر تعريفنا ان صورة ادم عليه السلام كانت
كهذه الصورة ابطالا لقول من زعم انها كانت على هيئة اخرى
كما روي في بعض الخبر من ذكر طوله وقامته وذلك مما لا يوثق
به اذ ليس في ذلك خبر صحيح وانما المعول في مثله على كعب او وهب
من حديث التوراة ولا يصح شيء من ذلك ولم يثبت من
جهة اخرى انه قد كانت خلقة ادم عليه السلام على خلاف
هذه الخلقة من الحد الزائد الذي يخرج من المعهود من مقادير
خلق البشر . والطريقة الثالثة في تاويل ذلك ان
تكون الهاء كناية عن الله عز وجل وهذا اضعف الوجهين ٣
من قبل ان الظاهر يرجع الى الاقرب المذكور اليه الا ان يدل دلالة على
خلاف ذلك فاذا قلنا هذا احتمل وجوها احدها ان يكون معنى
الصورة هاهنا معنى الصفة كما يقال عرفني صورة هذا الامر اي
صفته ولا صورة للامر حقيقة الا على معنى الصفة ويكون تقدير
هذا التاويل فيه ان الله عز وجل خلق ادم على صفته وذلك
ان المخلوقات قسمان منها جماد ونامي والنامي نوعان حيوان
وما ليس بحيوان والحيوان على نوعين ناس وبهائم سوى الجن و
الملك ثم لم يشرف من المخلوقات شيئا شرف الانسان بالاضافة
الى النامي والجماد والبهائم ولم يشرف في نوع الحيوان الناطق

احد

احد شرف الانبيا عليهم السلام وذلك ان نوعا من العقلا
كالجن والملك والانس خص بالعقل والنطق وشرفوا
به وذلك من خصال الكمال لله تعالى ثم لما كان المثل للاشيا نعتا
وانها رفعة وتعظيما هو الله عز وجل وكان الحي العالم القادر
السميع البصير المتكلم المريد وذلك نعوت عظمته وعزه و
جلاله خلق ادم عليه السلام على صفته مما هي صفة لله تعالى حيا
عالما قادرا سميعا بصيرا متكلما مختارا مريدا فميزه عن الجماد و
النامي بان نفخ فيه من الروح وميزه من البهائم بما ركب فيه من
العقل والنطق وميزه من جنسه في وقته بان نبأه وارسله
وميزه من الملائكة بان قدمه عليهم واسجدهم له وجعلهم تلامذة
وامرهم بان يتعلموا منه فحصلت له رتبة الجلال والعظمة مما
نوعه الله عز وجل بان حصل مسجودا له مختصا بالعلم بالاشيا
ركه
فيه في حالة عزه فتميز بهذه الصفات وهي صفات الله تعالى
من سائر العالمين والمخلوقين في وقته فعرفنا صلى الله تعالى
عليه وسلم بذلك اسباغ الله عز وجل نعمه عليه وتشريفه
اياه بخصال التعالي مما هي بصفات الله عز وجل على الاختصاص
. والوجه الثاني من قولنا ان الهاء ترجع الى الله عز وجل وهو
ان يقال لو طرف الاضافات الى الله عز وجل وطرق التخصيص
فيها . وذلك ان من الاشيا ما يضاف الى الله تعالى من
طريق انه فعله كما يقال ارض الله وخلق الله وسما الله وقد
يضاف مثل هذه الاضافة على معنى الملك فيقال رزق
الله وعبد الله وقد يقال على معنى الاختصاص من طريق التنويه
بذكر المضاف اذ اختص بالاضافة اليه وذلك نحو قوله ناقة
الاضافة الى لفظ الله
الله فانها اضافة تخصيص وتشريف يفيد التحرز والردع عن
التعريض لها ومن ذلك قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي وقول
المسلمين بالكعبة بيت الله تخصيصا بالذكر في الاضافة اليه و
تشريفا وهو كقوله ايضا واضافة المؤمنين الى نفسه تعالى
بلفظ العبودية في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا الى اخر صفاتهم وقوله تعالى ان عبادي ليس

لك عليهم سلطان • والوجه الآخر من الاضافات هو
الآخر كقولك كلام الله وقدرة الله وهي اضافة اختصاص
من طريق القيام به كما يقال في اضافة العرض الى المحل وما لا
يقوم بنفسه الى ما يقوم بنفسه وليس ذلك من جهة الملك و
الفعل في التشريف بل ذلك على معنى ان ذاته غير متقدمة
قيامها بها ووجدنا نظرنا في اضافة الصورة الى الله عز وجل
فلم يصح ان يكون وجه اضافتها اليه على نحو اضافة الصفة الى المو
صوف بها من حيث يقوم به لاستحالة ان يقوم بذاته عز وجل
حادث بوجه ولا صورة ولا تأليف ولا غيره لان كل ما قام بذات
من تأليف او صورة لم يتألف غير ما يقوم به وذلك يمنع
ان يكون غيره قد تصور بها وذلك محال فبقي من وجوه الا
ضافات الملك والفعل والتشريف فاما الملك والفعل
فوجه عام ويبطل فائدة التخصيص فبقي اضافة تشريف
وطريق ذلك ان الله عز وجل هو الذي ابتدأ تصوير آدم
عليه السلام لا على مثال سبق بل اخترعه اختراعا ثم اخرج من
بعده على مثاله فشرفت صورته بالاضافة اليه من حيث
كانت مخصوصة بها على هذا الوجه ثم سائر وجوه التشريف
مما خص بها آدم عليه السلام من فضائله مما ذكرنا بعضه • و
اعلم انا اذا قلنا ان الهاء ترجع الى الله عز وجل في قوله عليه
الصلوة والسلام على صورته على بعض المعاني التي ذكرنا فانه
تأويل ما رووا من هذا الخبر على ظاهر الرحمن بعد ذكر الصورة
على ما فيه من الضعف والعلة عند اهل النقل وانه يكون محمولا
على ما ذكرناه اذا قلنا ان الهاء ترجع الى الله عز وجل وقد انكر
بعض اصحابنا هذه اللفظة من طريق العربية وقال لا يجوز في اللغة
ان يقال مثله ولو كان المراد ذلك لكان يقال ان آدم خلق
على صورة الرحمن دون ان يقال ان الله خلق آدم على صورة
الرحمن لان ما تقدم ذكره بالاسم الظاهر وانه اذا اعيد
ذكره للاسم الظاهر كني عنه بالهاء من غير اعادة اسمه الظاهر
كقولك ان زيدا ضرب عبده ولا يقال ان زيدا ضرب عبد زيد

والمراد

والمراد بزيد الثاني هو المراد بالاول قالوا واذا لم يكن ذلك
سائغا من جهة العربية ولا ثابتا من جهة النقل لم يكن للاشتغال
به وجه ومن اصحابنا من قال ان هذا ليس مما يمكن ان يدفع به هذا
الخبر على هذا الوجه وايضا طريق دفع ذلك من جهة النقل وتقليل
الرواية لان مثله قد يصح في العربية وقد وردت بذلك
اشعار العرب فمن ذلك قول عدي بن زيد •• لا ارى
الموت يسبق الموت شيء • نغص الموت ذا الغنى والفقيرا
•• واعاد ذكر الموت بلفظه ولم يكن عنه بالهاء ولم يقل
لا اراه يسبقه شيء ومثله في القرآن العظيم يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا الآية ولم يقل الينا او اليه • قال و
اذا كان مثله سائغا لم يكن لانكاره من هذا الوجه معنى و
ان يقال ان الاثبات من اهل النقل لم يردوه على هذا الوجه
بل كلهم اجمعوا على نقل قوله عليه السلام على صورته بالهاء كناية
لا اظهارا وذلك محتمل للوجوه التي ذكرناها ان رجع به الى آدم
فمحتمل وهو الاقرب وان رجع به الى المضروب على ما روي من
السبب فيه فمنه ظاهر ايضا وان رجع به الى الله عز وجل
وهو الابعد كان طريق تأويله ما بيناه لا انه اريد به اثبات
صورة لله عز وجل على تحقيق هو بها متصور لان الصورة هي
التأليف والهيئة وذلك لا يصح الا على الاجسام المؤلفة والاجسام
المركبة وتعالى الله عز شأنه عن ذكره عن ان يكون جسما او جوهرا
او مصورا او مؤلفا مركبا • ومن اصحابنا من يقول ان الهاء
ترجع الى آدم ويكون معناه وفائدته تكذيب القدرية لما زعمت
ان من صور آدم عليه السلام وصفاته ما لم يخلقه الله عز وجل
وذلك ان القدرية تقول ان صفات آدم عليه السلام على
نوعين منها ما خلقها الله تعالى ومنها ما خلقها آدم بنفسه واخبر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بتكذيبهم وان الله عز وجل خلق
آدم عليه السلام على جميع صورته وصفته ومعانيه واعراضه
ومثله في الكلام ان يقال عرفني هذا الامر على صورته اذا اراد
ان يعرفك على الاستيفاء والاستقصاء دون الاقتصار

كما آذانا صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تكذيب الطبايعين
في ان هيئات البشر من توليد الطبع واحالته كذلك افادنا
تكذيب القدرية حيث زعموا ان معاني آدم عليه السلام واعراضه
وكثير من هيئاته مالم يخلقه الله عز وجل وانما خلقه آدم عليه السلام
وابتدعه هو من دون الله عز وجل ⁂ ووجه آخر مما
يحمل عليه تاويل هذا الخبر اذا قلنا ان الهاء ترجع الى آدم عليه السلام
وهو ان يكون معناه اشارة الى ما نقول على اصولنا ان الله
تعالى عز وجل خلق السعيد سعيدا والشقي شقيا فلما خلق آدم
وقد علم انه يعصي ويخالف امره وكتب ذلك عليه قبل ان
يخلقه عرفنا صلى الله تعالى عليه وسلم ما سبق من قضاء
الله عز وجل عليه وانه عز ذكره هكذا خلقه على ما علم واراد
ان يكون عليه وشهد لذلك حديث محاجة موسى لآدم عليهما
الصلوة والسلام لما قال موسى لادم عليهما السلام لما التقيا
في السما الست الذي خلقك الله تعالى بيديه واسجد لك
ملائكته واسكنك جنته ثم عصيته وخالفت امره فقال
آدم عليه السلام اكان ذلك شيئا مني او امرا كتبه الله تعالى
علي قبل ان يخلقني فقال موسى عليه السلام بل ذلك مما كتبه الله
تعالى عليك قبل ان يخلقك فقال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فحج آدم موسى ثلثا فدلنا صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله
ان الله خلق آدم على صورته على مثل هذا المعنى وانه خلق
ممن سبق العلم بحاله انه يعصي ثم يتوب فيتوب الله عليه تنبيها
على وجوب جريان قضاء الله عز وجل على خلقه وانما تحدث
الامور وتتغير الاحوال بينة على حسب ما يخلق عليه المرء ويتيسر
له وهذا ايضا تاييد لمذهبنا في اضافة تقدير الامور كلها
الى الله عز وجل ⁂ فصل واعلم ان بعض المتكلمين وهو عبد
الله بن مسلم بن قتيبة في تاويل هذا الخبر حاد عن وجه الصواب
وسلك طريق الخطاء والمحال فيه توهما انه متمسك بظاهره
وغير تارك له فقال ان لله عز وجل صورة لا كالصور كما انه
شيء لا كالاشياء فاثبت لله سبحانه صورة قديمة زعم انها

لا كالصورة وان الله جل ذكره خلق آدم على تلك الصورة
وهذا جهل من قائله وتوغل في تشبيه الله عز وجل بخلقه والعجب
منه انه تاول الخبر ثم زعم ان الله صورة لا كالصورة ثم قال ان
آدم مخلوق على تلك الصورة وهذا كلام متناقض و
متهافت يدفع اوله آخره وذلك ان قوله لا كالصور ينقض
قوله ان الله خلق آدم عليها لان المفهوم من قول القائل فعلنا
هذا على صورة هذا اي على ماثلته واحتذيت في فعليه
وهذا يوجب ان يكون صورة آدم عليه السلام كصورته جل
ثناؤه ويمنع تاويله ان له صورة لا كالصور وليت شعري
[margin: الى اي وجه] ذهب في اضافة الصورة الى الله عز وجل واراد
به اثبات الرب سبحانه وتعالى مصورا بصورة لا تشبه الصور
او اثباته مصورا بامثال هذه الصورة ام اراد به ان له هيئة مخصوصة
وصورة معينة معلومة ام رجع بذلك الى اثبات صفة له
سماها صورة لا على معنى الهيئة والتاليف وليس لذلك
انما ذهب اليه من هذه الاقسام وكل ذلك فاسد لا يليق
بالله سبحانه وتعالى لاقتضائه ان يكون مؤلفا مركبا ذا حد
ونهاية وبعض وغاية وكل ذلك يؤدي الى القول بتشبيهه تعالى
وقد بينا وجه ذلك قبل ولا معنى لحمل ذلك على صفة السمع [margin: يحمل م]
على نحو ما قلنا في اليد والعين لخلو الكلام من فائدة لو حمل على [margin: طريقها م]
ذلك واذا لم يجز وجه من الوجوه التي ينقسم اليها مذهب هذا
القائل فقد بان خطاؤه وعدوله عن وجه الصواب في
تاويله ⁂ فصل واما ما روي في غير هذا الخبر من ذكر
الصورة كنحو حديث ابن عباس وام الطفيل ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال رايت ربي في احسن صورة فان طريق
ذلك يتخرج على الوجه الذي يصح لا يخلو من احد وجهين احدهما
ان يكون قوله في احسن صورة ترجع الى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ويكون المعنى رايت ربي وانا في احسن صورة كما يقول
القائل رايت الامير في احسن زي ويكون فائدة ذلك تعريفنا
ان الله عز وجل زين خليفته وجمل صورته عند رؤيته لربه

حديث
رايت ربي في احسن صورة

تعظيم

زيادة الاكرام وتحكيم ، ويحتمل ان يكون معنا الصورة معنى و
الصفة كقول القائل صورة هذا الامر كذا وكذا اي صفته صفته ل
فيكون الفائدة على هذا الوجه فيه الاخبار عن حسن حاله عند
الله عز وجل وتوفر الرب عليه انعامه واعطاءه وذلك
ان الرائي قدر المرئي ويكون حالة الرائي عند المرئي محمودة
مقبولة فيتلقاه المرئي بالاكرام والاجلال وقد يكون بخلاف
ذلك فيتلقاه بخلافه فعرفنا صلى الله تعالى عليه وسلم وجوه
زوائده وحصول فوائده عند لقاء الله تعالى عز وجل وانه كان
عنده في احسن صفة واجمل حال ، والوجه الثاني واجمل صح
ان يكون الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى
عز وجل وذلك كقول القائل رايت الامير راكبا يحتمل
معنيين احدهما ان يكون الركوب حال الرائي والثاني ان
يكون الركوب حال المرئي فكلا الوجهين سايغ محتمل فاذا قلنا
ان قوله في احسن صورة ترجع الى الله عز وجل فان
فائدته على نحو ما ذكرناه ايضا قبل وهو ان يعبدنا انه راى
الله عز وجل على احسن صفاته معه في الانعام عليه و
الاقبال والافضال والاجلال اليه ويكون حسن الصفة
ترجع الى جنس الاحسان والانعام والاكرام وما يلقاه به من
الرحمة والرضوان والجود والامتنان وقد يقال في صفة الله
عز وجل انه جميل وان له جمالا وجلالا والمراد به وصفناه انه
جميل افعاله والاجمال في الفعل هو فعل الجمال المتجمل بجمالهم المجمل صح
به وذلك بنوع الاحسان والاكرام وكذلك حسن صفة
الله عز وجل يرجع الى ما يظهر منه من فعل النعم والابتداء
بالمنن بالخير ، وقد يكون حسن الصفة وجمالها ما يرجع
الى الرب عز ذكره اليه من في العظمة والكبرياء والعلو من نفي التناهي صح
والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون معنى الخبر على ذلك
تعريفنا ما تزايدت له من معارفه عليه الصلوة والسلام
عند رؤيته لربه عز ذكره لعظمته وعزته وكبريائه وبهائه و
بعده عن شبه الخلق وتنزيهه من صفات النقص وتعريته من

كل

كل عيب واذا كان كذلك فحمل الخبر على احد هذه الوجوه
هو الاليق بتوحيد الله عز وجل والاولى بصفاته و
بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فصل
وقد ذكر بعض المتاولين لهذه الاخبار في تاويل ما روي عنه
عليه الصلوة والسلام في قوله رايت ربي في احسن صورة
ان ذلك كان رؤيا منام وقد ذكر في حديث ام الطفيل هذا
المنام نصا وفي بعض احاديث ابن عباس قال واذا كان ذلك
منصوصا فقد زال الشك فيه وان لم يكن منصوصا فان الامر
فيه محتمل على ذلك وهو ان الجميع من مثبتي الرؤية ونفاتها
قد قالوا يجوز رؤية الله عز وجل في المنام وقالوا ان رؤيا النوم م — جواز رؤية الله تعالى في المنام
وهم قد جعله الله دلالة للرائي على ان يكون او كان من طريق
التعبير والاوهام وقد يتعلق بالموهوم على خلاف ما عليه
الموهوم فلا ينكر ان يقال مثله فيه من طريق الرؤيا لا انه سبحانه
بعض تلك الاوصاف التي تعلقت بها الرؤيا متحقق و
ذلك معهود مثله في احوال الرؤيا ان الرائي قد يرى في النوم
ما لا يكون على ما رآه كمن يرى في النوم كانه يطير او كانه انقلب
حمارا وهو في موضع آخر غير الموضع الذي هو فيه فيكون ذلك
توهما منه لا رؤية حقيقة فقد يصح مثله على الانبياء عليهم صلوات
بنيا — الله وسلامه والاولياء اذ قد وردت الاخبار رؤيا الا
والصالحين انهم راوا في مناماتهم اشياء كانت احكامها
بخلاف ما راوها لانها اوهام تجري مجرى الدلالات كاختلاف
طرق التاويلات وقد ذكر اصحاب التعبير ذلك في كتبهم
الموضوعة لذلك وعبروا ذلك بتاويله كما عبروا من رأى
النبي عم في المنام او الجنة او النار في سائر ما يرى في المنام مما
له تعبير ، واذا كان ذلك سايغا وقد ذكره نصا بعض الرواة
وجب ان يكون التاويل محمولا عليه لاستحالة كون الباري
سبحانه مصورا بالصور والهيئة والتركيب والحد والنهاية
بتغير صح — ، وقد تهور بعض المتكلمين في ذلك بتغيير اللفظ المسموع
الى ما لم يصلك ولم ينقل تعسفا في التاويل وقال انما هو

انه يصبك

رئي بكسر الراء وهو اسم كان لعثمن رضي الله عنه رآه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم على تلك الصفات و
هذا غلط لان التأويل والتخريج انما يكون لمسموع مضبوط
منقول ولم يثبت سماع ذلك على هذا الوجه ولا حاجة الى تكلف
هذا التعسف مع اتباع طرق التأويل على بعض
الوجوه التي ذكرناها • وذكر بعضهم ان الصحابة اراد بذلك رئي
فنقل الى على التصحيف واراد به هو التابع من الجن قالوا
ويمكن ان يكون الجني متصورا ببعض هذه الصورة وهذا
ايضا تعسف لاجل ان القول بالتصحيف انما يمكن ان يعتمد
عليه اذا رووا بعض الاثبات ذلك على هذا الحد مسموعا
مضبوطا ولم يمكن ان يحمل على ضربين وعلى حالين مختلفين
فكيف ولم ينقل ذلك على هذا الوجه ولم يثبت انه كان
الاصل على هذا الحد وانما وقع التصحيف من جهة التأويل
ولا حاجة بنا الى دعوى التصحيف على من ضبط ما سمع
فنقل لاجل توهم او تعذر في تخريج معناه على الوجه الصحيح
فيبطل ذلك ايضا وجميع ما ذكرناه من تلك الوجوه اقرب
الى الصواب واليق بحكم الباب مما ذكر هؤلاء المتعسفون
• ذكر خبر آخر في هذا المعنى مما ذكر فيه الصورة و
هو ما روى بعض الرواة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال اتاني ربي في احسن صورة • قال محمد بن شجاع البلخي
في تخريج هذا الخبر ان هذا الحديث اولا معلول من طريق الرواية
وذلك انه رواه ابو يحيى عن ابن يزيد عن ابن سلام وابو يحيى
ضعيف قال وان صح معناه احتمل ان يكون اريد به اتاني ربي
باحسن صورة ويكون الفاء بمعنى الباء وعلى ذلك قد روي
عن ابن عباس في تأويل قوله سبحانه هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله في ظلل من الغمام الآية ان معناه هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
بظلل من الغمام يعني بتعجيل العقوبة لهم واذا كان ذلك شائعا
في اللغة لم ينكر ان يكون المعنى فيه ان الله عز وجل اراه ملكا من
الملائكة في احسن صورة محمولا على ان معناه اتاني ربي باحسن

ولا يمكن صح

المتعسفون

صح

سائغا

صورة

صورة ويكون تأويل الاتيان له فعله له واظهاره له
حتى رآه ونظير ذلك قوله تعالى فاتى الله بنيانهم من القوا
وذلك باظهار فعل واتخاذ تدبير لا على معنى نقلة وتحول
• قال محمد بن شجاع ويحتمل تأويلا آخر وهو ان يكون معنى
اتاني ربي في الصورة مدبرا لها والصورة ملك والله عز و
جل فيها بمعنى التدبير لها • واعلم ان هذا غلط من محمد بن شجاع وانما
تأويل ذلك على مذهبه ان الله تعالى في كل مكان على انه بمعنى مدبر
لكل مكان ونحن نأبى هذا القول ونحيل ان يقال ان الله عز وجل
في كل مكان او في مكان على معنى انه مدبر له فلا يسوغ على اصلنا
هذا التأويل من الوجه الذي ذكرناه • فاما حديث ابن عباس
ففي بعضه زيادات الفاظ تقتضي تأويلا وتخريجا وذلك ان
في بعض اخبار ابن عباس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال رأيت ربي في احسن صورة وقال يا محمد قلت لبيك و
سعديك قال فيم يختصم الملأ الاعلى قلت ربي لا ادري فوضع كفه
بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين المشرق
والمغرب ثم قال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت ربي لا ادري
قال في الكفارات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ
الوضوء في السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فمن
حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وخرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه •• واعلم ان الذي يقتضي التأويل من هذا الخبر قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم وضع كفه بين كتفي وقد روي بين كتفي واما
تأويل الكف فقد تأوله الناس على وجهين احدهما ان يكون
بمعنى القدرة كما قال القائل هون عليك فان الامور بكف
الاله مقادرها يعني في قدرته تقديرها وتدبيرها • والوجه
الثاني ان يكون المراد بالكف النعمة والمنة والرحمة وقد
استعملت العرب لفظ اليد والاصبع والكف في معنى النعم وذلك
شائع في كثير من اللغة وذلك انهم يقولون لفلان عندي اصبع
حسن ولي عند فلان اصبع حسن ولي عند فلان يد بيضاء اي
منة كاملة فيكون استعمال الكف على معنى اليد اذا كان بمعنى النعمة

عد

كفه ق

ما بين المشرق والمغرب صح

لا ادري

معنى ابيات الكف لي كما

العرب تستعمل اليد والاصبع والكف بمعنى النعمة

فعلى هذا يكون تأويل الاخبار عن نعمة الله عز وجل وفضله
ولطفه واحسانه عليه بان شرح صدره ونور قلبه و
عرّفه ما لم يعرفه وعلّمه ما لم يعلمه واذا قلنا ان المراد به القدرة
احتمل ان يكون المعنى اعترافه بالعجز واقراره بقدرة الله
عز وجل على ما فعل به من العطف واللطف حتى عرف ما
لم يعرفه . واما قوله بين كتفي وان كان صحيحا فالمراد به ما
وصل الى قلبه من لطفه وفوائده وزوائده لان القلب
بين الكتفين وهو محل الانوار والعلوم والمعارف
. وقد روي بين كتفي والمراد بذلك ما يقال من قول القائل
انا في كنف فلان وفي جانبه وفنائه اذا اراد بذلك
انه في ظل نعمته ورحمته فكانه قال افادني ربي من رحمته
وانعامه بملكه وقدرته حتى علمت ما لم اعلمه . واما قوله
فوجدت بردها فانه يحتمل ان يكون المراد برد النعمة بمعنى
روحها واثرها من قولهم عيش بارد اذا كان رغدا
في رفاهية وسعة . والذي يدل على ان تلك الفوائد
زوائد معارف قوله على اثر ذلك فعلمت ما بين المشرق
والمغرب بما نور قلبه وشرح صدره وكان ذلك
باظهار اثاره وتدبيره من رحمته فيه وانما حملناه على
ذلك لاستحالة وصف الله عز وجل بالجوارح والآلة
لاستحالة ان يكون ذا بعض وعضو وهذا ثمرة توحيد
ذاته ووقوع المعرفة بكون ذاته شيئا واحدا . فاما ما
روى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا
الخبر بعد قوله فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله
في صدري فان تأويل الانامل على معنى الاصبع وقد انتشر
في كلام اهل اللغة لفلان على فلان اصبع حسن وقال بعض
اهل اللغة ان العرب تقول لفلان على ابله اصبع حسن اذا
اسمنها واحسن اليها . وقال الشاعر . ضعيف العصا
بادي العروق ترى له . عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا .
اي اثرا حسنا واذا كان كذلك احتمل ان يكون تأويل الخبر حتى

وجدت

وجدت اثار احسانه ونعمته وامتنانه ورحمته في صدري فتجلى
لي عند ذلك علم ما بين السماء والارض برحمة الله وفضل
نعمته وسوق الخبر اليه في ذلك اذ كان ذلك شائعا في اللغة
ولا يجوز وصف الله عز وجل بالجوارح والابعاض كان طريق التأويل
فيه ما ذكرنا . واما ما ذكروه من هذا الخبر من قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم مجيبا لربه عز وجل لما قال فيم يختصم الملأ
الاعلى قال لا ادري الى ان قال فوضع كفه بين كتفي الى ان
قال فعلمت ما بين السماء والارض ثم قال عليه الصلوة
والسلام وقال لي فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا ادري بعد
قوله فعلمت ما بين السماء والارض فوجه ذلك هو على ما
ورد في القرآن العظيم من قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب الآية
فيكون ذلك منه ومنهم على ترك التعالم عليه وان يكون
مستعملا للادب بحضرة من هو اعلم منه لان الواجب رعاية
ذلك حتى لا يدعي العلم عند من هو اعلم به وعند من علمه ذلك العلم
ويحتمل ذلك ان يكون قد علم ما بين المشرق والمغرب بان رأى
ذلك كما روي ذلك في الخبر انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم زويت
لي الارض واريت مشارقها ومغاربها وليس ذلك مما
يتعلق بالعلم باحكام العبادات وما عليها من وجوه الثواب
والكرامات واعلى الطاعات وهو الذي كشف عنه عند
ذكره له عليه الصلوة والسلام بعد ما قال لا ادري واذا حمل
على ذلك لم يتناقض الكلام وصح الجمع بينهما على الترتيب الذي
رتبناه .. تمت الجزء الاول بحمد الله تعالى يتلوه في الجزء
الثاني خبر ما ذكر في الصورة . الحمد لله على الاتمام
وعلى حبيبه افاضل الصلوات و
اكامل السلام وعلى اله و
صحبه الى قيام الساعة
وسلم عليه الغمام
وسلم تسليما

ويل

لا يدعي العلم عند من هو اعلم به
وعند من علمه ذلك العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر خبر آخر مما ذكر فيه الصور وهو من الأخبار التي ذكر في
الصحاح .. رفع الحديث الى ان قال فيأتيهم الله في غير صورته
التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا
مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه . قال فيأتيهم في الصورة
التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيأتونه وفي
بعض الفاظ هذا الخبر انه يقول لهم او تعرفونه اذا رأيتموه
فيقولون نعم فيقول وبماذا تعرفونه فيقولون بيننا وبينه
علامة فاذا رأيناها عرفناه وهذا الخبر مشهور وفيه طول
وقصة ذكرنا منها ما يحتاج الى تأويل .. فتأويل ذلك و
تخريجه يحتمل وجوها احدها ان يكون في ها هنا بمعنى الباء كما روينا
عن ابن عباس في قوله عز وجل هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
في ظلل من الغمام معناه بظلل من الغمام واذا كان شائعا
في اللغة ابدال الباء بفي وفي بالباء لم ينكر ان يكون معنا
في ها هنا معنا الباء . وقد يسوغ ايضا في الكلام ولا فرق
فيه بين ان يقال الحركة في المتحرك والحركة بالمتحرك واذا كان
معنا الباء اعم فتقديره على هذا التخريج والله اعلم ان الله عز
وجل يأتيهم يوم القيامة بصورة غير صورته التي يعرفونها
في الدنيا ويكون الاضافة اليه في الصورة من طريق الملك
والفعل والتدبير كما يقال سماء الله وارضه وبيت الله وناقة الله
على جهة الملك والفعل لا على الوجه الذي لا يليق به فيكون
المعنى في ذلك ان الخلق عرفوا الله عز وجل في الدنيا بدلالة
المخصوصة وآياته التي ركبها في الصور وهي الاعراض الدالة
على حدث الاجسام واقتضائها محدثا لها من حيث كانا مخترعين

[هامش: بدلالة]

واما

واما الاتيان به فعلى معنى ظهور فعله لها منه وهو معنى قوله تعالى
فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله تعالى وجاء ربك و
قوله تعالى الرحمن على العرش استوى على احد التأويلين واما
قوله على غير صورته التي يعرفونها فيحتمل ان يكون المعنى في ذلك
انه يأتيهم يوم القيامة بصورة على الشكل الخلاف وتلك الهيئة
التي كانت الصور عليها في الدنيا مما لم يعرفوها ولم يعهدوها
وليس ذلك منكرا لان عادات اهل القيامة وما يظهر لهم
من الاهوال وعجائب الخلق من الصور من الملائكة وزبانية
العذاب وخزنة الجنان مما لم يعهدوا اشكالها وهيئاتها
في الدنيا . فاما قوله فيقول انا ربكم فقد قال بعض اهل العلم
ان هذا آخر محنة المؤمن وانه يظهر هذا القول فعلا من الله
عز وجل في بعض هذه الصورة محنة للمكلفين في الدنيا من
اهل الايمان فيظهر منهم عن صدق توحيدهم وصحة ايمانهم ما يكون
انكارا لذلك ويكون الفايدة به توقيفا تأييد الله تعالى لاهل
الايمان به في الدنيا وفي الآخرة وتثبيته لهم كما قال عز وجل شانه
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة الآية اي يثبتهم في الدنيا على الحق عند ظهور الفتن
والمحن ويثبتهم في العقبى ايضا في مواضع المحن واما قيل للدنيا
دار محنة وتكليف مطلقا وان كان من نوعها فقد يقع في
العقبى فلا يطلق عليها انها دار تكليف ومحنة بل يقال انها دار
جزاء لان ذلك الغالب عليها وهذا كما يقع في الدنيا جزاء
ولا يضاف اليه لانه لا يغلب عليها ولم تبن له . واما قوله
انهم يقولون اذا جاء ربنا عرفناه فيحتمل ان يكون معناه محتملا
ما ظهر من فعل يتجدد له في قلوبهم من زوائد يقين وعلم ونظر عند
ما يحدث لهم من ادراكه ومعاينته لان سائر ما اضيف
الى الله تعالى عز وجل من اتيان ومجيء فهو بظهور نوع من تدبيره
في فضل او عدل واما قولهم فيأتيهم في الصورة التي يعرفونها
بان معنى الاتيان متأول على الوجه الذي مضى بيانه ويكون
تقدير تأويله انه اذا اظهر لهم نوع الصور المعهودة لهم

[هامش: هل]

[هامش: انما قيل للدنيا دار المحنة والتكليف لانه]

[هامش: لهم]

شكلاً وهيئةً وخلقَ ادراكهم له وخاطبهم بان اسمعهم كلامه
وافهمهم مراده ليتبينوا ويتيقنوا ان المكلم لهم هو ربهم ويكون
الفايدة في ذلك تعريفنا ما يفعله عز وجل في العقبى
من الطافه باوليايه في عصمتهم وحراستهم وتثبيتهم و
تاييدهم حتى لا يستغرهم شدة تلك الاهوال العظيمة
ولا يستخفهم امر تلك الصور المنكرة التي لم يعهدوا امثالها ٭
واما قوله انه يقول لهم فاذا رايتموه عرفتموه فيقولون
نعم بيننا وبينه علامة الخبر فان معنا ذلك انبانا وتايجن
ثباتهم اولا واخرا وذلك مما وجدوه من فضله عز ذكره
في ادامة معرفتهم وبصيرتهم وازالة فنون الخطا والزيغ عنهم
٭ واما تفسير العلامة وذكر ما بينها بعض اهل العلم من قال
ان تلك العلامة التي اشاروا اليها انا نعرفه بها هو ما بينه
وبين خلقه من الصورة والاجسام من المخالفة والمباينة
وانه لا يشبه شيا منها ٭ ومنهم من قال ان تلك العلامة
ما معهم من المعرفة به وانهم عبدوه في الدنيا عن معرفة منهم
بمعبودهم لا يشبهه شي مما عرفوه ولا يجوز ان يشبهه شي
واذا راوا ما عرفوه بمثل هذه المعرفة علموا ان الذي راوا
هو الذي عرفوه فيكون ذلك منهم عند الروية معرفتهم فاذا
كان رويتهم في العقبى معرفتهم في الدنيا ايقنوا انهم
بانه تعالى معبودهم ٭ وحكي عن ابن ابي عاصم النبيل انه كان
يقول في تاويل هذا الحديث ان ذلك تغير يقع في
عيون الرايين كنحو ما يخيل الى الانسان الشي بخلافه فيتوهم
الشي على الحقيقة ٭ واعلم انه لا بد ان يحمل هذا الحديث
على نوع مما قلنا لاستحالة ان يكون الله تعالى ذكره على
صور كثيرة يجهلونه مرة ويعرفونه مرة او يكون ممن يحل
الصور فينتقل الصور به لاستحالة ان يكون الله عز و
جل حالا او محلا لا صورة او مصورا وانما اتيانه بالصورة
بعد الصورة من طريق الفعل كما يحدث الشي بعد الشي و
يتغير الجسم من حال الى حال باحداث تغيير واضافة الصورة

لا يستعوهم ل
لا يستغرهم ط

القطيعة ح

عنهم ل

اليه في هذه الاحاديث بمعنى الملك والفعل لا بمعنى التصور
بشي من الصور تعالى عن ذلك لان النقلة والصورة و
التركيب والتاليف كل ذلك انما يصح على الاجسام المحدثة
والجواهر المخلوقة وتعاقب الحوادث وتغير ما يقوم به منها علامة
حدث ما يقوم به ٭ واحتمل وجها اخر ايضا وهو ان يكون
الصورة هاهنا بمعنى الصفة فيكون تقدير المعنى فيه ما يظهر
لهم من بطشه وشدة باسه يوم القيمة واظهار معايب
الخلق وفضايحهم وانما عرفوه ساترا حليما غفارا
كريما فيظهر لهم منها ان ذلك منه وهو معنى قوله فيقول انا ربكم
على قول القايل ٭ قالت رجلي تحذرت واذني فطنت ٭
على معنى ظهور ذلك منها فيقولون عند ظهور ذلك منه مستعيذين
بالله هذا مكاننا اي نتثبت ونصبر حتى تظهر رحمته وكرمه ويتهوا ايتان
الرب لهم باظهار جوده لهم وعطفه عليهم فياتيهم بعد
ذلك عند بتاتهم في الصورة التي يعرفون على معنى ابدا عفوه
ومغفرته على الصفة التي عرفوه بها في الدنيا من ستره ومغفرته
وحلمه واذا كان لفظ الصورة مستعملا في معنا الصفة كما ذكرنا
في قول القايل عرفني صورة هذا الامر اي صفته لم ينكر ان يكون العادة
في هذا الخبر ما قلنا وان يكون هذه الالفاظ من متشابه
الفاظ الاحاديث جارية مجرى متشابه اي الكتاب امتحن
بها اهل العلم لاستنباط الصحيح من معانيها والوقوف على الحد
الواجب فيها [illegible] اهل الباطل بها وخروجهم عن الهدى و
الرشد والحق فيها على النحو الذي جرى عليه حكم متشابه اي الكتاب
ومحكمها ٭ ذكر خبر اخر فيما تقدم ذكره من هذا المعنى في
هذه الاحاديث وهو ما روي عنه عليه الصلوة والسلام
ايضا من قوله لا شخص احب لغيرة من الله عز وجل وقد روي
هذا الحديث على وجوه اثبتها عند اهل النقل ما روي
فيه انه قال لا احد اغير من الله عز وجل وروي عنه ايضا لا شي
اغير من الله تعالى ومن غيرته حرم الفواحش وفي هذا الخبر مما
يتاول لفظان احدهما لفظ الغيرة والثاني معنى الشخص

د ه

وافتنانهم

• واما معنى الغيرة منه الزجر والتحريم لان الغيور هو الذي يزجر عما
يغار عليه ويحظر الذي منه وقد بين ذلك عقيبه بقوله و
من غيرته حرم الفواحش اي زجر عنها وحظرها • وقد روى
في الخبر ان بعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اهدت
اليه شيئا في يوم غيرها فاوفت عايشه رضي الله تعالى عنها بذلك
قدرته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم غارت امكم اي
نفرت عن اهداء ما اهدت • ومنه ايضا ما روى ابو هريرة
رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال ان سعد بن عبادة سيدكم لغيور وانا اغير منه والله اغير
مني ومعنى ذلك انه لزجور عن المحارم والله ازجر من الجميع
عما لا يحب من الافعال واما لفظ الشخص فغير ثابت من
طريق السند فان صح فالمعنى ما بيناه في الحديث الاول وهو قوله
لا احد واستعمل لفظ الشخص موضع احد على انه يحتمل ان يكون
هذا من باب المستثنى من غير جنسه ونوعه وما كان في صفته
كقوله تعالى وما لهم من علم الا اتباع الظن الآية وليس الظن
من نوع العلم بوجه كذلك يكون تقديره ان الاشخاص
الموصوفة بالغيرة لا يبلغ غيرتها وان تناهت غيرة الله عز و
جل وان لم يكن شخصا بوجه وانما منعنا اطلاق الشخص
عليه تعالى لامور احدها ان اللفظ لم يثبت من طريق السمع
والثاني ان الامة قد اجمعت على المنع منه والثالث ان
معناه ان يكون اجساما مؤلفة على نوع من التركيب وقد
منعت المجسمة ايضا من اطلاق الشخص مع قولهم بالجسم
فدل ذلك على تاكيد ما بينا من الاجماع على منعه في صفته
عز وجل • ذكر خبر اخر في معنى ما تقدم ذكره من حديث
الصورة في خلق ادم عليه السلام • روى ابو موسى الاشعري
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله سبحانه خلق
ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر
الارض منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل والحزن والخبيث
والطيب • وروى في بعض الاخبار ان الملك الذي حمل

الى الله

الى الله تعالى الطين السم ملك الموت ولذلك سلطه على
قبض الارواح • تاويل ذلك • اعلم ان تاويل القبضة
على معنى الجوارح والعضو والبعض مستحيل في صفة الله عز وجل
لاستحالة كونه تعالى متبعضا متغايرا وذلك لاستحالة كونه على
ما تقدم ذكره وبيانه من قبل • واما ان يحمل القبضة على معنى
القدرة كقول القايل ما فلان الا في قبضتي على معنى اني قادر عليه
وعلى هذا قد تاولوا قوله عز وجل والارض جميعا قبضته يوم
القيمة اي هي تحت قدرته وملكه • وقد قيل ان معنى الاية
ان ذلك في حكم العباد تحقيقا للمعاد واستشهدوا
بقول القايل قبض الله نفس فلان اليه اي افناه واما المراد
بالقبضة في هذا الخبر فهو اجتماع جملة من اجزاء المذكور فيه من
الطين شبهت في اجتماعها بالجملة المجتمعة في قبضة الجارحة
فاما تاويل قوله عليه الصلوة والسلام قبضها الرحمن فيحتمل وجوه
احدها ان يكون طريق ذلك وتاويله على معنى اظهار فعل
الله كما قال عز وجل فطمسنا على اعينهم وكما قال اليوم نختم على
افواههم وليس ذلك طمسا او ختما على تاويل معاناة او مباشرة
ومعالجة ومماسة مما يحدث فيه الفعل بل ذلك على
ما يظهر من افعاله عز ذكره لانه تعالى يفعل افعاله ابتداء اختيارا
بقدرته وارادته بقوله كن فيكون • ويحتمل وجها اخر
وهو ان يكون ذلك قبض جارحة ولكنها لبعض الملايكة وقد يقع
وصف الملايكة بالجارحة فقيل قبضها الرحمن على معنى ان الملك
الذي تولى قبض ذلك بامر الرحمن ومثاله في الكلام الجاري بين
الناس ضرب الامير اللص وانما امر بضربه والاصل في ذلك
اضافة الحوادث الى المالك لها باللفظ الاعم ثم قد يضاف اليه
باللفظ الاخص وان كان متضمنة على التخصيص لا يصلح له على الوجوه
التي تجري على غيره فيحصل حينئذ على المقال المشهور بين الناس
واهل الخطاب في تسمية الفعل باللفظ الاخص الذي من امر به
والمراد بذلك انه حصل بامره وحدث بقدرته وليس بمنكر
في العقول ان يكون الله عز وجل خلق طينة ادم عليه الصلوة والسلام

في اضافة اللفظ الاعم والاخص

ان الله تعالى خمر طينة آدم عم اربعين صباحا ثم خلطها الحديث

من انواع الطين وان الاخلاق والخلق اختلفت وتفاوتت
لا لتفاوت اجزاء الطين لا لاجل ان تفاوتها اوجب
ذلك بل حدوثها على الوجه الذي حدثت عليه بقدرة
الله عز وجل واختياره لكنها جعلها عبرا وعلامات لربوبيته
ووحدانيته عز شانه ⁘ ذكر خبر آخر في مثل هذا المعنى مما
ذكر في خلق آدم عليه الصلوة والسلام ⁘ روي عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خمر طينة آدم عليه السلام
اربعين صباحا ثم خلطها بيده فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث
بشماله ومسح احدى يديه بالاخرى ⁘ تأويل ذلك اعلم ان
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل خمر طينة آدم عم
معناه على نحو ما ذكرنا من اضافة بعض افعاله على اللفظ الخاص كما
يقال عذب وانعم وحرك وسكن والرجوع في ذلك الى
حدوث هذه المعاني منه بقدرته ويكون ذلك محمولا على
حكم سائر افعاله فانها تحدث منه لا على معاناة ومباشرة و
تخمير الطينة انما هو تغيرها من هيئة الى هيئة وتجديد ذلك عليها
حالا فحالا في هذه المدة المذكورة ليجعل منه آدم عليه السلام
وما خلق عليها عبرة للمعتبرين وان آدم عليه السلام كان اصله
طينا على هذا الوجه هذه المدة ⁘ ويشبه ان يكون ما
روي في الخبر ان النطفة تكون علقة اربعين يوما ثم تكون مضغة
مثلها الى ان ينفخ فيه الروح فكانت مدة تغير الطينة من هيئة
الى هيئة كنحو مدة تغير النطفة وان كان امر النطفة مغايرا لما
لطينة آدم عليه السلام من وجوه اخر ⁘ واما قوله عليه الصلوة
والسلام ثم خلطها بيده وان تأويل قوله خلطها على معنى ما
ذكرنا في قوله خمر طينة آدم وقوله من قبضة قبضها الرحمن وكلا
الوجهين من التأويل سائغ فيه ان قلنا ان ذلك اظهار
فعل واضافة الله باللفظ الخاص من جهة الملك والتقدير
وان قلنا ان ذلك على تأويل قول القائل قتل الامير اللص
على معنى انه امر به وان الفعل حدث عن ملكه وحكمه كان غير
منكر ايضا ⁘ واعلم انه ليس المراد باليد ههنا هو بقوله خلقت

بيدي

بيدي لان الخلق هو الاحداث عن العدم وخلط الشيء بالشيء
ليس باحداث له واذا قلنا ان اضافة هذه الفعل الى الله عز
وجل من طريق الامر وان ذلك حدث على ايدي بعض المخلوقين
من ملائكته وخلقه وانه لا ينكر ان يكون خلط مباشرة بيد
جارحة كما روي في الخبر الآخر ان ذلك كان ملكا من الاملاك
امره الله عز وجل بجمع اجزاء الطين من جملة الارض امره بخلطها
بيده فخرج كل طيب بيمينه وكل خبيث بشماله ويكون اليمين و
الشمال للملك والخلط والتخمير مضافين الى الله عز وجل من
حيث كان عن امره وحكمه وجعل كون بعضهم في يمين الملك
علامة لاهل الخير منهم وكون بعضهم في شماله علامة لاهل الشر
منهم ولذلك يقال في الخبر الآخر ان الله تعالى خلق الطيب من
ذريته في الجانب الايمن من آدم والخبيث في الجانب الشمال
منه وكذلك ينادون يوم القيمة باصحاب اليمين واصحاب
الشمال على بعض ما نذكر من وجوه تأويل قوله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فان رجع باليمين والشمال الى يمين الملك وشماله و
كان ذلك ابتداء ما اراد ان يضع العلامة على اهل الخير والشر
ثم جعلها في صلب آدم عليه السلام على هذا التقدير لم يكن منكرا
ويكون تأويل قوله ومسح احدى يديه بالاخرى على ما ذكرنا ان
ذلك حادثا جرى على ايدي بعض الملائكة لم يكن ذلك منكرا
ويكون اضافة المسح الى الله تعالى من طريق الحكم له والامر به والفعل
والتقدير له ويكون اضافة اليدين واليمين والشمال الى
الملك على طريق انه جارحة له او بعض فيكون وجه اضافته الى
الله عز وجل على التأويل الآخر بمعنى الملك والقدرة ⁘
ويحتمل ان يقال في قوله ثم خلطها بيده اي بملكه وقدرته ولا يجب
على ذلك ان يحمل قوله تعالى خلقت بيدي على مثل هذا التأويل
لوجوه نذكرها ذلك فارق بها المذكور من اليد ههنا احدها
انه ان حمل ذلك على معنى القدرة كان فيه ابطال تفضيل
آدم على ابليس وانما ذكر ذلك كلام جرى على طريق الاحتجاج على ابليس
في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ⁘ وفي جملة

على القدرة ما يوجب المساواة واسقاط موضع الاحتجاج
على ابليس في تفضله عليه ۰ واذا قلنا ان تأويل قوله ثم
خلطها بيده اي بملكه وقدرته فانه يحتمل قوله فخرج كل طيب
بيمينه اي بما انعم عليه من توفيقه وتسديده وكل خبيث
بشماله بما خوله من معونته ونصرته ۰ والعرب قد تستعمل
لفظ اليمين على معنى الجد والحظ لما قال القائل ۰۰
اذا ما راية رفعت لمجد ۰ تلقاها عرابة باليمين ۰۰ اي الجد و
بخت وحظ في الوصول الى المراد ۰ ويحتمل قوله ومسح احدى
يديه بالاخرى ان يكون بمعنى ان الله عز وجل لما خلق الذرية خلقها
نوعين طيبا وخبيثا وميزهما وجعل محل الطيب جانب
اليمين عنده من السعادة والتوفيق وجعل محل الخبيث جانب
اليسار من ادم عليه الصلوة والسلام او من الملك الذي
امره بخلط الطينة لكان ذلك متميز العين والحكم ثم خلطها
خلطا اخر وسوى ان جعل الطيب في المحل الخبيث والخبيث في المحل
الطيب على تأويل من تأول قوله يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ان معناه يلد الكافر من المؤمن ويلد المؤمن
من الكافر ولان ما يحصل عن مسح احد اليدين بالاخرى مختلط
غير متميز فيحتمل ان يكون ذلك مثلا ضربه الله عز وجل لتعريف
حكم السعادة والشقا للنوعين من ذرية ادم افادنا بتعريف
ذلك انه خلق طينة ادم عليه السلام من انواع طين مختلف
ثم خلق الذرية نوعين في محلين كما روي في الخبر على مثل الذر وكانا متميزين
متوسعين بالمحل فلما حصلت في الترائب والاصلاب حصلت
مختلطة غير متميزة ولذلك تختلف الاحوال في حكم الايمان والكفر
والطاعة والمعصية على التناسل والتوالد فاذا احتمل بعض
ما ذكرنا وكان ذلك سائغا في العربية ويحصل منه الفوائد على
التأويل الذي ذكرنا اولا من ان يعتقد فيها ما ينافي التوحيد
ويؤدي الى اللغو والتشبيه ۰۰ ذكر خبر اخر في مثل هذا
المعنى ۰ وقد روي في هذه اللفظة ايضا في خبر ان الله تعالى
عز وجل لما قبض الذرية من ظهر ادم عليه الصلوة والسلام

بكفيه

بكفيه قال خذ ايهما شئت قال اخذت بيمين ربي وكلتا
يديه يمين ففتحها فاذا فيها صورة ادم وذريته ۰ قال
محمد بن شجاع انفرد برواية هذا الخبر حاتم بن اسمعيل وكان
ضعيفا والمقبري وهو مدلس وانتشر عنه انه كان يدلس
فيما يروي عن ابي هريرة فقال هذا الحديث من هذين الوجهين
۰ واذا قيل على ما فيه امكن ان يكون تأويله على بعض هذه
الوجوه التي ذكرنا اما قوله قبض الذرية من ظهر ادم عليه السلام
فعلى الوجه الذي بينا تأويله ان القبضة اضيفت اليه ملكا
وفعلا وتقديرا وحكما ۰ واما الكف فقد ذكرنا فيها قبل انه يحتمل
وجوها وذكرنا شواهد ذلك فان حمل على معنى القدرة والملك
صح وان حمل على معنى النعمة والاثر الحسن صح لان ذلك مما
حدث في ملكه بقدرته وعن ظهور نعمة على بعضهم واثاره الحسنة
فيهم واما قوله عليه السلام اخذت بيمين ربي فيحتمل وجوها احدها
ان اليمين لما كانت محلا للطيب من ذريته اختار من اختاره الله
عز وجل واضيف اليمين الى الله عز وجل من طريق الملك والفعل
اي الذي جعله في اليمين من اهل السعادة وهم اولياؤه فقد اخذته
على معنى اني اخترتهم وواليتهم واحببتهم ۰ ويحتمل ان
يكون ذلك على معنى ما ذكرنا من قولهم ۰۰ تلقاها
عرابة باليمين ۰۰ ويكون اليمين من اليمن واثر من ظهرت
فيهم وجوه البركة واليمن والسعادة من الله عز وجل ذكره وا
اليمين اليه على معنى انه هو الذي اسعده ووفقه له ۰ وقال
محمد بن شجاع معناه اني رددت امري في ذلك الى ربي و
اخترت ما اختار وفوضت اليه لانه قال خذ ايهما شئت
فترك ان يختار ورد الامر اليه كانه اراد اخترت ما اختاره واخترت
ما يؤثره واما قوله عليه الصلوة والسلام وكلتا يديه يمين فقد
ذكر بعض مشايخنا في تأويل ذلك ان الله عز وجل هو الموصوف
باليد الصفة لا باليد الجارحة وانما تكون يد الجارحة يمينا وشمالا
لانهما يكونان للمتبعض ويجري ذي اعضاء واعيان وكلما لم
يكن ما وصف الرب به يد جارحة بين النبي صلى الله تعالى عليه

فيهما

وسلم ذلك بقوله كلتا يديه يمين اي ليست فيه يد جارحة وقد
قيل في ذلك ايضا ان المراد ان الله عز وجل لما وصف
باليدين ويد الجارحة يكون احدهما يمينا والاخرى يسارا
واليسرى تنقص ابدا في الغالب عن اليمين في القوة و
البطش عرفنا صلى الله تعالى عليه وسلم كمال صفة الله عز
وجل وانه لا نقص فيها وان ما وصف به من اليدين ليس
كما يوصف به ذو الجوارح التي تنقص مياسره عن ميامنه
.. ويحتمل ايضا ان يكون معنى ذلك ان آدم عليه الصلوة
والسلام لما قيل له خذ ايهما شئت فقال اخترت يمين ربي
وكلتا يديه يمين ~~انما اراد به لسان الشكر والنعمة لا لسان~~
~~الحكم والاعتراف~~ بالملك فذكر الفضل والنعمة لان جميع ما بيديه
عز وجل من منة فضل وطول مبتدأ ممن منفوع بنفعه ومن
مدفوع عنه بحرسه فقصد قصد الشكر والتعظيم تلبية في ان
ما اختاره هو الكل والجميع خطأ مما وراه وتصغير انهم و
تهجين . وقال بعضهم معنى قوله كلتا يديه يمين اراد به
وصف الله تعالى بغاية الجود والكرم والاحسان والتفضيل
وذلك ان العرب تقول لمن هو كذلك كلتا يديه يمين و
اذا انتقص حظ الرجل وبخس نصيبه قيل جعل سهمه في الشمال
واذا لم يكن عنده اختلاف منفعة ولا دفع مضرة قيل
ليس فلان اليمين باليمين ولا بالشمال وكذلك قال الفرزدق
.. كلتا يديه يمين غير مخلفة .. خبر آخر في هذا المعنى وروي
في خبر آخر ان يمين الله سحا لا يغيضها شيء ومعناه عطاياه كثيرة
لا ينقصها شيء والى هذا المعنى ذهب المراد الشاعر قال
.. فانت على الاوابد من عقيل .. فتى كلتا اليدين له يمين ..
والعرب تعبر عن النعم والافضال باليد واليمين كلاهما . و
روي في الخبر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذات
يوم لنسائه اطولكن يدا اسرعكن موتا قال فكن يتذارعن
فكانت سودة اطولهن يدا فلما توفي رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كانت زينب اولهن موتا بعده فعلمن كيف قال

انما اراد به لسان النعم والشكر لا لسان الحكم والاعتراف

اذا انقص نصيب الرجل قيل جعل سهمه في الشمال

قيل ليس فلان اليمين باليمين ولا بالشمال كما يقال لا يضر ولا ينفع

رسول الله

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال ثم ذكرن انها كانت
اطولهن يدا في الخير فبان ان العرب تعبر عن النعم والافضال
باليد واليمين .. ذكر خبر آخر في هذا المعنى . ومثل هذا الخبر ما
روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال المقسطون عند
الله يوم القيمة على منابر من نور عن يمين الرحمن وقد تأول الناس
ذلك على تأويلين فمنهم من قال عن يمين عرش الرحمن على طريقة
العرب في الحذف والاختصار كما قال القائل . واستب
بعدك يا كليب المجلس يعني اهل المجلس وكما قال الله عز وجل
واشربوا في قلوبهم العجل اي حبه . وقال بعضهم معنى قوله عن
يمين الرحمن يراد به المنزلة الرفيعة والمحل العظيم وهذا شايع
في لغة العرب وذلك انهم يقولون كان فلان عندنا باليمين
اي كان له عندنا المحل الجليل والرتبة العظيمة وكذلك قال
الشاعر .. اقول لناقتي اذ بلغتني لقد اصبحت عندي باليمين
.. اي بالمحل الجليل فاذا كان هذا معروفا في اللغة معتادا
بينهم واستحال وصف الله تعالى بالحد والجهة والبعض و
الغاية والتأليف والمماسة وجب ان يكون محمولا على ما قلنا
. ذكر خبر آخر في المعنى ومثله ايضا ما روي في خبر آخر عن ابن
عباس انه قال الحجر الاسود يمين الله تعالى في ارضه يصافح
بها من يشاء من خلقه وقد تأول اهل العلم ذلك على وجوه
من التأويل احدها ان المراد بذلك ان الحجر لما كان من نعم الله
تعالى على عباده بان جعله سببا يثابون على التقرب الى الله
تعالى عز وجل بمصافحته فيؤجرون على ذلك وقد بينا ان العرب
تعبر عن النعم باليمين واليد كما ذكرنا قبل . وزعم بعضهم ان هذا
تمثيل واصله ان الملك كان اذا صافح رجلا قبل يده فكان
الحجر لله تعالى بمنزلة اليمين للملك يستلم ويلثم وقد روي في الخبر
ان الله عز وجل حين اخذ الميثاق من بني آدم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى جعل ذلك في الحجر الاسود
فلذلك يقال ايمانا بك ووفاء بعهدك . ويحتمل وجها
آخر وهو ان معناه قوله الحجر يمين الله في ارضه انما اضافه اليه

العرب تعبر عن النعم والافضال باليد واليمين

س

يقول العرب كان فلان عندنا باليمين اي كان له عندنا المحل الجليل

باليمين

على طريق التعظيم للحجر وهو فعل من افعال الله عز وجل سماه
يمينا وشبهه الى نفسه واراد الناس باستلامه ومصافحته
لتظهر طاعتهم بالايتمار وتقربهم الى الله عز وجل به فتحصل لهم
بذلك البركة والسعادة ∴ ذكر خبر اخر مما يقتضي
التاويل ويوهم ظاهره التشبيه • وهو ما روي ان الله عز
وجل لما قضا خلقه استلقا ثم وضع احد رجليه على الاخرى ثم
قال لا يجوز لاحد ان يفعل هذا واكدوا ذلك بما روي عن
كعب انه نهى الاشعث بن قيس عن ان يضع احدى رجليه على
الاخرى وقال انها جلسة الرب • تاويل ذلك اعلم ان
قوله لما قضى خلقه اي لما اتم خلق ما اراد ان يخلق من السموات
والارضين وما بينهما ومثله في اللغة قضا فلان دينه و
صلاته اذا اداه ومثله قوله عز وجل فقضاهن سبع
سموات في يومين اي خلقهن وقوله فاذا قضيت الصلاة
اي فرغ منها واديت واما قوله استلقا فقد تاول اهل
العلم ذلك على وجهين احدهما ان المراد ان الله عز وجل
لما خلق ما اراد ان يخلق من السموات والارضين وما بينهما
ترك ان يخلق امثاله ابدا دايما ولو شا لادام ذلك
لان هذه اللفظة تستعمل في اللغة والعادة على نحو هذا
المعنى كثيرا لمن عمل اعمالا ثم ترك ان يفعل مثلها ويدوم ذلك
• واذا فعل الانسان فعلا ووضع فانه يكون بمعاناة و
معالجة وحركة وتعالى الله عن ذلك • وانما هذا كالمثل
المضروب الجاري بين الناس فيقولون بنا فلان داره
وعمرها فاستلقى على ظهره وان لم يكن قد اضطجع على الحقيقة من
كان على هيئته ثم فرغ من عمله ولم يرد ان يفعل مثل ما فعل
• والتاويل الثاني ان يكون معناه لما خلق الله عز وجل
ما اراد ان يخلق من هذه الجمل التي خلقها استلقا على
معنا القا بعضها على بعض فجعل السما فوق الارض والقا في
الارض رواسي ان تميد بكم وجعل سما فوق سما الى العرش
اطباقا بعضها فوق بعض فيكون دخول السين والتاء في

الفاء

في الفاء هاهنا على معنى ما يدخل في قول القايل استدعا
واستبرا ونحوه اذا اراد الدعا والبراة • فلما خلق الله
عز وجل ما خلق واراد ان يلقي بعضه على بعض قيل له استلقا
على معنا انه القا شيئا منه على شي وهو على الهيئة المعروفة
المعتادة • واما قوله ثم وضع احدى رجليه على الاخرى ففيه
ايضا وجهان من التاويل احدهما ان يكون المراد ان
الله عز وجل خلقهم فرقتين ونوعين وزوجين شقيا وسعيدا
وغنيا وفقيرا وصحيحا وسقيما فسما كل صنف منهما رجلا ثم وضع
احديهما على الاخرى معناه انه رجح قوما على قوم فجعل بعضهم
ملوكا وبعضهم عبيدا وبعضهم سادة للعزة والمحنة • و
الوجه الثاني ان يكون عز وجل سما الجماعتين رجلين لان
العرب يسمي الجماعة الكثيرة رجلا ولذلك يقولون مر بنا رجل
من جراد اي جماعة كثيرة فاما معنى التشبيه اليه فمن طريق فعل
الملك كما نسبت روح ادم عليه السلام اليه • واما ما روي عن
كعب في نهيه للاشعث من وضع احدى رجليه على الاخرى وقد
قيل ان كعبا كان ياخذ من الكتب وفي الكتب تحريف لما اخبر
به الصادق واتهم وخوفوه وتدلوه على ان كعبا لم يقل ايضا
انها رب هو وذلك لفظ مشترك ويحتمل ان يخرج ذلك
ايضا على معنى ان هذه جلسة الجبابرة وخوفه عن التشبه
بهم لان العرب تقول للعظيم الشان انه رب ويحقق ذلك
ما قال الحكم بن عتيبة عن ابي مجلز قال سالته عن الرجل يجلس
فيضع احدى رجليه على الاخرى فقال لا باس انما كره ذلك
اهل الكتاب زعموا ان الله سبحانه خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى يوم السبت فجلس تلك الجلسة
وانزل الله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب • وبلغ الحسن ذلك
فقال انما ذلك شي كانت اليهود تقوله فلما جا المسلمون
انكروا ذلك • وروي الزهري عن عباد بن تميم المازني
عن عمه عبد الله بن زيد قال رايت رسول الله صلى الله تعالى

حديث
ان الله عز وجل لما قضا
خلقه استلقا ثم وضع
احد رجليه على الاخرى

وضع احد رجليه على
الاخرى

يقال قضى فلان دينه
وصلاته اذا اداه

التمثيل

القي ن

العرب يسمي الجماعة رجلا
فيقولون مر بنا رجل
من جراد اي جماعة
كثيرة

يقال العرب للعظيم
الرب

عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى
وكان ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يفعلان ذلك ∴ ذكر
خبر آخر مما يوهم التشبيه ويقتضي التأويل والتفسير ∴ و
هو من الاحاديث الصحيحة عند اهل النقل ∴ روى قتادة
عن انس وابن سيرين عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم انه قال ان جهنم لن تمتلي حتى يضع
الجبار قدمه فيها فتقول قط قط وقد روي من وجه غير ثابت
عند اهل النظر فيه ايضا حتى يضع الجبار رجله فيها فتزوى
وتقول قط قط ∴ تأويل ذلك اعلم ان هذا الخبر مما طعن
اهل العلم قديما وحديثا تأويله وتكلم بحسن طريقه وصحة
سنده وقد حمل كل فريق منهم ذلك على تأويل رآه صوابا
ومن ذلك ما حكي عن النضر بن شميل انه كان يقول
ان معنا القدم ها هنا هم الكفار الذين سبق في علم الله عز
وجل انهم من اهل النار وحمل معنى القدم على انه المتقدم
لان العرب تقول للشيء المتقدم قدم وقدم وعلى
ذلك تأول المتأولون قوله عز وجل وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اي سابقة صدق
∴ وقال ابن الاعرابي القدم هو المتقدم في الشرف
والفضل خصوصا والقدم هو المقدم وان لم يكن فيه
شرف وقال وضاح اليمن ∴ صل لربك واتخذ قدما
ينجيك يوم العثار والمزلل ∴ اراد بذلك معنى
من الفضل يتقدم به ∴ وقال آخر ∴ فعدت به قدم
الفخار فغودرت ∴ اسنانه من حصة من خانوع ∴
اراد بذلك ما تقدم من الشرف وما يفتخر به انه عدم ذلك
وفقده ∴ وقال العجاج ∴ ذل بنو العوام عن آل الحكم
∴ وشنا الملك لملك ذي قدم ∴ اي متقدم في الشرف
والملك ∴ وقال بعضهم القدم خلق من خلق الله عز وجل
يخلقه يوم القيمة فيسميه قدما ويضيفه اليه من طريق الفعل و
الملك يضعه في النار فتمتلي النار منه ∴ وقال بعضهم ان

حديث ان جهنم لن تمتلي حتى يضع الجبار رجله فيها فيقول قط قط

العرب تقول للشيء المتقدم قدم قدم

المراد

المراد بالقدم ها هنا قدم بعض خلقه واضيف اليه كما تقول
ضرب الامير اللص فيضاف الضرب اليه على معنى انه عن
امره وحكمه ∴ وقال بعضهم ان الجبار ها هنا يحتمل ان يكون
اريد به الموصوف بالتجبر من الخلق لان ذلك من الاوصاف
المشتركة وليست هي من الاوصاف الخاصة لله عز وجل
وذلك من وصف الكفار الا تسمع الى قوله عز وجل
كل جبار عنيد في وصف الكافر فاذا كان كذلك احتمل
ان يريد بقوله الجبار جنس الجبابرة وهم الكفرة المعاندو
اراد توقيفنا امتلاء النار بهم وان جهنم لن تمتلئ الا بهم
∴ وقال بعضهم الجبار ها هنا ابليس وشيعته وذلك انه
اول من استكبر على الله سبحانه وتعالى فقال عز وجل في وصفه
الا ابليس استكبر وكان من الكافرين والتجبر والاستكبار
بمعنى واحد وجهنم تمتلئ به وشيعته واتباعه ولا ننكر وصفهم
بالجوارح والاعضاء واذا احتمل لفظ القدم هذه المعاني
وكذلك يحتمل لفظ الجبار ان يراد به غير الله سبحانه من المتجبرين
والمتكبرين ولم يكن لحمله على ما لا يليق بالله سبحانه من اضافة
الجوارح والابعاض اليه وجه ∴ واما من روى الحديث
على لفظ الرجل فقد قلنا ان هذا غير ثابت عند اهل النقل
وان ثبت فمعناه لا يخلو من الوجوه التي ذكرنا اما ان
يراد به رجل بعض خلقه واضيف اليه ملكا او فعلا ∴ او يراد
به رجل المتجبر المتكبر من خلقه اعني اولهم وهو ابليس واما من
بعده من اتباعه ∴ وقد قيل ايضا ان الرجل في اللغة يقال للجماعة
الكثيرة تشبيها برجل الجراد لان العرب تقول جرنا رجل
من جراد اي قطعة منها فيكون معنى الخبر حتى يدخلها خلق
كثير يشبهون في الكثرة جماعات الجراد وفي ذلك انشدوا
قول القائل ∴ حتى اسروا اليهم من لحي الثمانين ارجل ∴
اي جماعات كثيرة واذا كان هذا معروفا في اللغة فحمل
الخبر على مثله اهدى الى الحق واولى في صفة الرب الذي
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ∴ واما قوله فيقول قط

في معنى الجبار
والعرب تقول نخلة
جبارة اذا كانت
طويلة

قطا اي حسبي وهذا كما تقول العرب امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني ∴ قال ان ذلك حكاية صوت جهنم وقد روي في نحو ذلك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال كثافة جلد الكافر في النار اربعين ذراعا بذراع الجبار وهذا مما يبين لك ان لفظ الجبار ليس مما لا يستعمل الا في صفة الله عز وجل لان المراد بالجبار ها هنا الموصوف بالطول وعظم الجسم والعرب تقول نخلة جبارة اذا كانت طويلة يفوت اليد طولها وقال الله تعالى وتبارك وما انت عليهم بجبار واذا كان لفظ الجبار محتملا لما قلنا ولا يسوغ وصفنا الله سبحانه وتعالى بالابعاض والاجزاء وكان حملنا له على ذلك يفيد فائدة متجددة لم يكن لحمله على ما لا يليق بالله سبحانه وتعالى وجه من توهم الجارحة والآلة والعضو والاداة في صفته ∴ ذكر خبر اخر مما يقتضي التاويل ويوهم التشبيه مما ذكره الناس في هذا الباب مما يدخل في معناه ∴ روي عن عبيد بن عمير انه قال ان الله عز وجل يقول لداود عليه السلام يوم القيمة مر بين يدي فيقول اني اخاف ان تدحضني خطيئتي فيقول مر من خلفي فيقول اني اخاف ان تدحضني خطيئتي فيقول خذ بقدمي فيأخذ بقدمه ثم قال فتلك الزلفى التي قال سبحانه وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ∴ ذكر تاويله اعلم اولا ان عبيد بن عمير ليس بحجة ولا يجوز لمؤمن ان يعتقد في الله سبحانه انه محدود بقوله على انا نذكر للكلام وجها صحيحا وتاويلا قريبا فنقول يحتمل ان يكون معنى قوله عز ذكره لداود عليه السلام مر بين يدي اي حاسب نفسك قبل ان اسألك فيكون محاسبتك لنفسك اخذاً عليك منها قبل ان اسألك عنها وتصديق ذلك قوله عز وجل لا تقدموا بين يدي الله اي لا تسبقوا قبل حكم الله عليكم في الشيء وكذلك قوله تعالى لداود عليه السلام مر بين يدي اي خذ في محاسبتك لنفسك قبل مسئلتي لك فيقول داود اخاف ان تدحضني خطيئتي اي اني اذا حاسبت نفسي ولم تصفح عني في مجازاتك

حديث

فيتم ان

لنفسي

لنفسي بان تستر علي وتعفو عني وكذلك في خلفه تاويله مثل ذلك فاما قال مر من خلفي فقال اخاف ان تدحضني خطيئتي اي لما اخاف ان يبتدي بمحاسبة نفسه فقال وابتدي بالمسئلة ليكون جوابك بعد ما اسألك فقال خذ بقدمي اي بما قدمت لك من العفو والغفران فقد صفحت عنك وغفرت لك وتقدم حكمي بذلك في سابق علمي ∴ ومما يبين لك ان مثل هذا اللفظ قد يستعمل فيما ليس بحدود والصاد ومتناه ولا ذا جوارح قوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولم يرد الا مكنة بل اراد بذلك فيما تقدم من قول الكافرين ولا الباطل الذي يأتي من بعده وقوله خذ بقدمي اليك كما يقال فيما بيننا خذ محتاني اليك ودع ما اسأت الي ولا تأخذ به والذي يؤيد جميع ذلك قوله في اخر القصة فتلك الزلفى التي قال الله عز وجل وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ∴ ويكشف لك المراد انه اريد به ما ذكرنا من تقدم الرحمة له لا قدم الجارحة على النحو الذي تأولنا عليه قوله حتى يضع الجبار قدمه فيها ∴ و قد قال المفسرون قوله ان لهم قدم صدق ان ذلك ليس يرجع الى الجارحة والآلة واذا احتمل من طريق العربية ما ذكرنا و كان مثله في الخطاب مستعملا والعرف فيه جاريا كان ما حملناه [illegible]ناه عليه اولى مما يتوهمه المتشبهة من اثبات الجوارح و الابعاض لله عز وجل و اولى مما ذهبت اليه المعطلة من ابطال هذه الاخبار مما بينا من الفوائد التي يتعلق به مما تشهد بمثله القرآن العظيم ∴ ذكر خبر اخر مما يقتضي التاويل فمن ذلك ما روي مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يضحك الله تعالى الى رجلين يقتل احدهما الاخر كلاهما يدخل الجنة يقاتل هذا فيقتل في سبيل الله ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل الله فيستشهد ∴ وكذلك ما روى ابو نعيم الفضل بن دكين عن اسمعيل بن عبد الملك عن علي بن ربيعة قال حملني امير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه خلفه حتى قربنا الى جبانة الكوفة ثم رفع رأسه فقال اللهم

عن

حديث
يضحك الله الى رجلين
يقتل احدهما الآخر
كلاهما يدخل الجنة

اغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت او احد غيرك
ثم التفت الي فضحك فقلت يا امير المؤمنين استغفارك
لذنبك والتفاتك الي ضاحكا لماذا فقال حملني رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه الى موضع ذكره ثم رفع رأسه
الى السماء فقال اللهم اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب احد
غيرك ثم التفت الي ضاحكا فسألته عن ذلك فقال ضحكت
لضحك ربي تعجبا لعبده انه لا يغفر الذنوب احد غيره ؞
وحديث عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ان الله عز وجل ليضحك الى ثلثة رجل
قام في جوف الليل واحسن الطهور ثم صلى ورجل نام ساجدا
ورجل بخا الكتيبة وهو على فرس جواد ولو شاء ان يذهب لذهب   لذهب
؞ وما روي عن عبيد بن عمير ان الله عز وجل يضحك في كل يوم
وليلة مرتين وما روي انه عليه الصلوة والسلام قال يضحك الله
في كل يوم وليلة مرتين وما روي انه عليه الصلوة والسلام قال
يضحك ربنا من قنوط عباده قال ابو رزين قلت يا رسول
الله ايضحك الرب قال لن نعدم من رب يضحك خيرا
؞ تأويل ذلك اعلم ان هذا الحديث من الاخبار المشهورة
عند اهل النقل وبعضها يبين معنى بعض فمن ذلك ان معنى
الضحك مشترك المعنى في اللغة ويختلف احكامه باختلاف
من يضاف اليه ذلك ويوصف به وليس هو من الالفاظ
الذي يختص معنا واحدا حتى لا يليق به غيره ؞ من ذلك انه
العرب تقول في تكشير اسنان الانسان وفغر فمه اذا وقع
على وجه مخصوص ضحك وكذلك تقول ضحكت الارض بالنبات
اذا ظهر فيها النبات وانفتق عن زهره وكذلك قالت   زهره
العرب اطلع النخل اذا انشق عنه كافوره الضحك لاجل ان
ذلك يبدو امنه مع البياض الظاهر كبياض الثغر ويقولون
ضحكت الطلعة اذا ظهر منها ما كان مستترا وكذلك
قال القائل ؞ تضاحك الشمس منها كوكب يشرق ؞ و
انشد ابن الاعرابي في الربيع ؞ اما ترى الارض قد
الربيع

اعطتك

في معنى الضحك

اعطتك زهرتها مخضرة والتفت بالنور عاريها ؞ وللسماء
بكاء في جوانبها ؞ وللربيع انتحاب في خلالها فزيد بالابتسام   ابتسام في نواحيها
ظهور النبات وطلوع النوار عليها ؞ وانشد بعضهم
في هذا المعنى ايضا ؞ كل يوم باقحوان جديد يضحك الارض
من بكاء السماء ولذلك ؞ وكذلك قول القائل ؞ وضحك
المزن بها ثم بكا ؞ يريد بالمزن السحاب وبضحكه البرق الذي
يظهر وببكائه المطر ؞ وحكي عن بعضهم ان العرب تقول للطريق
الواضح البين هذا طريق ضاحك وهذا طريق لاحب
اذا ارادوا وصفها بالظهور ؞ واعلم ان مرجع معنى
الضحك في جميع الذي ذكرنا الى البيان والظهور وان
كل من ابدى ما كان يستره فانه يقال له ضحك ويقال
لمن بين عن المكتوم واظهر عن المستور ذلك فعلى هذا
معنى الخبر ؞ وفي قوله عليه الصلوة والسلام يضحك الله اي يبدي
الله عز وجل من فضله ونعمه وتوفيقه لهذين الرجلين
المقتولين في سبيل الله الذين قتل احدهما صاحبه ثم قتل قاتله
بالشهادة تائبا من بعد توبته من قبله ؞ من ثوابهما واظهر   وثوابهما
من كرامته لهما وكذلك معنا ما روي عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في الخبر الاخر انه قال ضحكت لضحك ربي اي ظهرت
اسناني بفتح فمي لاظهار ربي سبحانه فضله وكرمه لمن قال
هذا القول وهو قوله اللهم اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب
احد غيرك واذا كان الضحك مما استعمل في اللغة على   [illegible]
وجوه مخصوصة منها تكشير الاسنان وفتح الفم ومنها ظهور المكتتم
من الامور وبروز المستتر من العلم وكان يستحيل وصف
الله تعالى بالجوارح والتغير لحلول الحوادث في ذاته وجب ان
يكون محمولا على ما يصلح ويجوز في وصفه وذلك هو بالابانة
عن فضله والاظهار لنعمه وكذلك قال صلى الله تعالى عليه
وسلم لابي رزين العقيلي لما قال له يا رسول الله ايضحك
الرب فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا وهذا منه عليه
الصلوة والسلام اشارة الى وصف الله عز وجل بالقدرة

على فعل النعم وكشف الكرب والتبيان عن الخفيات والكشف
عن الامور المستورة وفرق بينه وبين الاصنام التي لا يرجا
منها خير ولا يخاف شر فاذا كان ذلك رجوعا الى القدرة على
الافعال بالدفع والنفع فقد صح ما قلنا وبين عليه الصلوة والسلام
بذلك ما اليه اشرنا فاما ما يبين ذلك من الخبر المروي
في هذا المعنى فقوله عليه الصلوة والسلام لابي رزين العقيلي
لن نعدم من رب يضحك خيرا اي يبدي من فضله ويظهر من
منته ما يبدي الضاحك مما يستتر منه تشبيها به في معنى اظهار
ما كان مكتتما وابدا ما كان مختفيا واذا احتمل التاويل ما
ذكرنا واستحال من وصف الله تعالى بالجوارح والابعاض
وجب ان يحمل على ما قلنا ⁂ ذكر خبر آخر يقتضي التاويل ويوهم
ظاهره التشبيه ⁂ وهو ما روى سفين بن عيينة عن هشام
بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال خلق الله تبارك
وتعالى الملائكة من شعر ذراعيه وصدره او من نورهما ⁂
تاويل ذلك اعلم ان اول ما فيه ان عبد الله بن عمرو اصاب
وسقين من الكتب يوم اليرموك فكانوا يقولون له اذا
حدثتهم حدثنا بما سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ولا تحدثنا من وسقيك يوم اليرموك وقد بينا
فيما قبل ان الذي ذهب الى ظاهر التشبيه وحمل الامر في معنا
مثل هذا الخبر على معنى ما هو جوارح الانسان واعضاؤه
هم اليهود ولذلك كان وهب بن منبه يقول انما ضل
بالتاويل ويروون في كتب دانيال انه علا الى السماء السابعة
فانتهى الى العرش فرأى شخصا ذا وفرة فتأول اهل التشبيه على
ان ذلك ربهم جهلا منهم بالتاويل وانما ذلك ابراهيم الخليل
عليه الصلوة والسلام على ان هذا الحديث قد رواه اسامه
ولم يقل فيه ذراعيه وصدره بل قال من نور الذراعين و
الصدر غير مضاف واذا كان كذلك لم ينكر ان يكون مطلقا صح
ذلك صدرا وذراعين لبعض خلقه ولم ينكر ايضا ان يكون الصدر
والذراعين من اسما بعض مخلوقاته وقد وجد في النجوم ما

يسمى

يسمى ذراعين وليس بمنكر ان يسمى بهذا الاسم غيره من الخلق
فيكون ما خلق من الملائكة خلق من ذلك ويكون الفائدة فيه
التنبيه على قدرته عز وجل من خلق المخلوقات وانه لا يعوزه
عظيم ما يخلق ولا يعجزه وقد قيل في تاويل قوله تعالى يوم يقوم
الروح والملائكة صفا ان الروح ملك من الاملاك يكون وحده
صفا والملائكة كلها صفا بازائه ⁂ واما ما في حديث سفيان
بن عيينة من قوله ذراعيه وصدره فيحتمل ايضا ان يتاول على ان
ذلك اضافة من طريق الملك ونسبته من طريق الفعلية كما
قال في قصة آدم عليه الصلوة والسلام ونفخت فيه من روحي فاضاف
الروح الى نفسه اضافة ملك وتقدير لا اضافة تزوج بها او حلول
في ذاته والذي يؤيد ذلك ما كان يقوله ابن شهاب اذا
روى هذا الحديث ومثله فانه يقول عند ذلك والا فرع كلها
لله عز وجل والاصابع كلها له يشير الى معنى الملك العام لسائر
المخلوقات المملوكات وهذا كما يحكى عن الاوزاعي عند روايته خبر النزول و
ذلك انه كان يقول ويفعل الله ما يشاء يعرفهم ان ذلك نزول فعل لا نزول صح
~~نزول فعل لا نزول~~ تحول وانتقال من مكان الى مكان وهذا
يبين لك صحة ما اومانا اليه من ان هذه [illegible] الاضافة
من طريق الفعل والملك لان سائر ما يضاف اليه عز وجل
لا يخرج عن مثل هذا المعنى اذا لم يكن الاضافة على طريق اضافة
الصفة الى الموصوف بها من جهة القيام بذاته على الوجه
الذي يوجب اشتقاق الاسم والحكم ⁂ سؤال فان
قيل فاذا اجزتم هذه الطريقة فكيف انكرتم قول النصارى حيث
قالت ان عيسى ابن الله على طريق الكرامة او على طريق الملك والفعل
⁂ قيل الاصل في سائر هذه الاضافات بهذه الاوصاف الخاصة
التي تجري من طريق الملك والفعل على من يضاف اليه ويوصف
به السمع ولا يجوز اطلاق شيء من ذلك على الوجه الخاص الا
بان يتقدمه سمع ولذلك يكون الامر فيه مقصورا عليه ولا
يتعداه ونحن فلم نجد في شريعتنا اطلاق ذلك بل وجدنا في
الشريعة ما يحظر ذلك ولا يجيز اطلاقه بوجه ⁂ واعلم انه قد صح

معنى الوصف والاضافة من ذكر الله عز وجل مع شيء من افعاله
من طريق المعنى من حيث اجازة الفعل به ثم لا يسوغ اطلاق الاسم
والوصف والاضافة في ذلك من حيث حظرت الشريعة
او من حيث لم يرد به سمع لقيام الدلالة على ان هذا الباب مقصور
على السمع فقط ولا مجال للعقل فيه ولذلك كان اطلاقه موقوفا
على ما خصه السمع به دون ما لم يرد به سمع وهذا هو جواب عن
سائر ما يمكن ان يسئل عنه في هذا الباب من ذكر تخصيص بعض
الاسماء والاضافات الى الله سبحانه دون بعض مما يملكه ويفعله
وكل من حاد عن مثل هذه الطريقة في هذا الباب لم يجد فصلا بين
الامرين من جهة العقول فاعلم ان شاء الله ❊ ذكر خبر آخر في
معناه ❊ وتأويله روى ابو رافع عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة
يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول اي رب وكيف اعودك
وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلان
مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده
ويقول يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول يا رب
وكيف اسقيك وانت رب العالمين فيقول تبارك وتعالى
اما علمت ان عبدي فلان استسقاك فلم تسقه اما علمت
انك لو سقيته لوجدتني عنده ويقول يا ابن آدم استطعمتك
فلم تطعمني فيقول يا رب وكيف اطعمك وانت رب
العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلان استطعمك فلم
تطعمه اما انك لو اطعمته لوجدتني عنده ❊ تأويل ذلك
اعلم ان الذي يجب ان يبين من هذه الاخبار قوله لو عدته
لوجدتني عنده واما قوله مرضت فقد فسره النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وبين ان معنى ذلك اشارة الى مرض وليه و
اضافته الى نفسه اكراما لوليه ورفعا لقدره وهذه طريقة
معتادة في الخطاب عربية وعجمية وذلك ان يخبر السيد
عن نفسه ويريد عبده اكراما له وتعظيما حتى كانه هو لوهم
من جلالته وعظم منزلته فا وانه له في المنزلة والجلالة وعلى

يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني الحديث

هذه

هذه الطريقة يحمل قوله جل ذكره ان الذين يحادون الله ورسوله
وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وقوله تعالى ان
تنصروا الله ينصركم وما جرى مجرى هذا المجرى من الآي والاخبار التي
ذكر فيها نفسه واراد اولياءه وانبياءه وعلى مثل هذا يحمل قوله تعالى
فلما آسفونا انتقمنا منهم اي اسفوا اولياءنا واغضبوا انبياءنا
والناصرين لديننا ولمن طلب كان عليه معينا لاستحالة ان يغضب
الله جل ذكره وان يؤذي او يحارب فاما قوله اما انك لو عدته
لوجدتني عنده فمعناه اي وجدت رحمتي وفضلي وثوابي وكرامتي
في عيادتك له وهذا ايضا كالاول في باب ذكر الشيء باسمه
واريد غيره كقوله عز وجل وسئل القرية واشربوا في قلوبهم
العجل الآية فهذه الطريقة معتادة غير مستنكرة واذا كان كذلك
فالاولى ان يحمل الخبر عليه وعلى مثله يتأول قول الله عز وجل ووجد
الله عنده على معنى انه وجد عقابه وحسابه فذكر الله عز وجل
واضيف الفعل اليه والمراد فعله على النحو الذي بيناه نظائره
في كلام العرب ومثاله ايضا قوله عليه الصلوة والسلام في
احد هذا جبل يحبنا ونحبه ومعناه ذلك اهله اي يحبنا السالكون
بفنائه والمقيمون في ساحته ونحبهم واذا احتمل الخبر ما ذكرنا
ولا يجوز على الله عز وجل الحلول في الاماكن لاستحالة كونه محدودا
متمكنا بها وذلك لاستحالة كونه محدثا وجب ان يكون محمولا
على ما قلنا ❊ ذكر خبر آخر في تأويله ومعناه روى صفوان بن
محرز انه كان يماشي عبد الله بن عمر رضي الله عنه فقال يا ابا عبد الرحمن
كيف سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في النجوى
قال سمعته يقول يدنو المؤمن من ربه يوم القيمة حتى يضع
الجبار كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول له هل تعرف فيقول
رب اعرف فيقول عز ذكره اني سترتها عليك في الدنيا واني
اغفرها لك فيعطى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون
فينادى بهم على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
❊ تأويل ذلك اما قوله عليه الصلوة والسلام يدنو العبد
من ربه يوم القيمة فمعناه انه يقرب من رحمته وكرامته وعطفه

ن

حمن

يدني ط

القرب والبعد من الله تعالى

وهذا شايع في اللغة ان يقال فلان قريب من فلان ويراد
به قرب المنزلة وعلو الدرجة عنده وعلى هذا يقال ان اولياء
الله قريبون من الله كما ان اعداء الله بعيدون من الله ويعنى
بذلك قرب المنزلة وعلو المرتبة ويراد ببعد اعداء الله تعالى
منه بعدهم من رحمته وكرامته . وكذلك يقال ان الله عز و
جل قريب من اوليائه بعيد من اعدائه . ويقال ايضا هو قريب
من خلقه والمعنى فيه قربهم منه علمه بظواهرهم وبواطنهم و
قدرته على اوايل امورهم واخرها وعليه يتأول قوله تعالى
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله تعالى ونحن اقرب
اليه منكم لان ذلك يرجع الى القرب بمعنى العلم والقدرة
والسمع والبصر . فاما الذي هو قرب بمعنى الكرامة فهو
كقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى الاية في ان المراد
به قرب المنزلة وتوفير الكرامة . فاما قوله تعالى ان رحمة الله
قريب من المحسنين توسع لان الرحمة لا توصف بالعلم
والقدرة ولا بالاكرام والفضل واذا كان ذلك شايعا
في اللغة كان قوله عليه الصلوة والسلام يدنو من ربه يوم
القيامة محمولا على مثله لاستحالة المسافة والمسافر وبعد
المكان والنهاية على الله عز وجل . واما قوله فيضع الجبار كنفه
عليه وانه يبين ما اشرنا اليه في معنى الدنو وانه على تأويل
قرب المنزلة والدرجة وذلك ان لفظ الكنف انما يستعمل
في مثل هذا المعنى الا ترى انه يقال انا في كنف فلان وفلان في
كنفي اذا اراد ان يعرف اشباع فضله وعطفه وتوفره
عليه فاما ما رواه بعض الرواة حتى يضع الجبار كتفه عليه
فقد ذكر جمع من اهل العلم ان ذلك تصحيف من الراوي
لان الاسلاف قد ضبطوا هذا الحرف على الوجه الذي ذكرنا
بالنون فاذا كان ذلك مضبوطا والمعنى الذي حملناه عليه
مشهورا كان اولى مما قالوا مع انه ان صح ذلك وانه يؤول
الى معنى ما ذكرنا مع انه غير جايز في الخطاب ولا مستعمل في اللسان
مثله ان يقال وضعت كتفي على فلان بمعنى رحمتي وتعطفي

عليه

عليه فان تؤول ذلك على الوجه البعيد وجعلوا الكتف
هاهنا مستعملا على معنى النعمة كما يستعمل اليد والاصبع على معنى
النعمة والاثر الحسن والكرامة كان طريقا ويكون استعمال
الكتف في معنى اليد لانه اصله ويقصد فيما هو جارحة ويكون
استعمال ذلك هاهنا هذا اذا صح انه قد ضبطت بالتاء على
الوجه الذي قالوا مع انه غير معروف ولا مضبوط فاعلم ان شاء
الله تعالى .. ذكر خبر اخر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه
وهو من الاخبار المشهورة عند اهل النقل وذلك مما يتعلق
بذكر المكان وقد روي في معناه اخبار استذكرها اولا فاولا
فمن ذلك ما روي في الخبر ان جارية عرضت على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فيما اريد عتقها في الكفارة فقال صلى الله تعالى عليه و
سلم لها اين الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها
مؤمنة .. ذكر تأويل هذا الخبر اعلم ان الكلام في ذلك من
وجهين احدهما في تأويل قوله عليه الصلوة والسلام اين الله
مع استحالة كونه تعالى في مكان والثاني في قوله عليه السلام انها
مؤمنة من غير ظهور عمل منها فاما الكلام فيما يتضمن قوله عليه السلام
اين الله فان ظاهر اللغة تدل من لفظة اين انها موضوعة للسؤال
عن المكان ويستخبر بها عن مكان المسؤول عنه باين اذا قيل اين هو
وذلك ان اهل اللغة قالوا لما ثقل على اللسان في الاستفهام
عن المكان ان يقولوا هو في البيت ام في المسجد ام في السوق
ام في بقعة كذا وكذا وضعوا لفظة تجمع جميع الامكنة يستفهمون
بها عن مكان المسؤول عنه باين وهذا هو اصل معنى هذه الكلمة
غير انهم قد استعملوها في غير هذا المعنى توسعا ايضا تشبيها
بما وضع له وذلك انهم يقولون عند استعلام منزلة المستعلم
عند من يستعلمه اين فلان منك واين فلان من الامير وقد
يستعملونه ايضا في استعلام الفرق بين الرتبتين بان
يقولوا اين فلان من فلان وليس يريدون المكان والمحل من
طريق التجاوز في البقاع بل يريدون الاستفهام عن الرتبة
والمنزلة . وكذلك يقولون لفلان عند فلان مكان ومنزلة

ومكان فلان في قلب فلان حسن ويريدون بذلك الرتبة
والدرجة في الترتيب والتقعيد والاكرام والاهانة واذا
كان ذلك مشهورا في اللغة احتمل ان يقال معنى قول النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اين الله استعلاما لمنزلته وقدره
عندها وفي قلبها واشارت الى السماء ودلت باشارتها
على انه في السماء عندها على قول القائل اذا اراد ان يخبر عن رفعة
وعلو منزلة فلان في السماء اي هو رفيع الشان عظيم المقدار
كذلك قولها في السماء على طريق الاشارة اليها تنبيها على
محله في قلبها ومعرفتها به وانما اشارت الى السماء لانها كانت
خرسا فدلت باشارتها على مثل دلالة العبارة على نحو هذا المعنى
واذا كان كذلك لم يحمل على غيره مما يقتضي الحد والتشبيه والتمكين
في المكان والتكييف ومن اصحابنا من قال ان القائل اذا
قال ان الله تعالى في السماء ويريد بذلك انه فوقها من طريق
الصفة لا من طريق الجهة على نحو قوله أأمنتم من في السماء
لم ننكر ذلك فاما قوله عليه الصلوة والسلام اعتقها
فانها مؤمنة فيحتمل ان يكون قد عرف ايمانها بوحي واخبر عن
ذلك عند ظهور اشارتها التي هي علامة الايمان ويحتمل
ان يكون سماها مؤمنة على الظاهر من حالها فان ذلك
القدر يكتفى في المطلوب من ايمان من يراد عتقه وانه
لا يعتبر بعد ذلك بظهور الاعمال والوفاء بالعبادات
خبر اخر في هذا المعنى ونظير هذا الخبر في باب السؤال
عن المكان ما روي ان سائلا سأل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال اين كان ربنا قبل ان يخلق السماء فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء هذا
الخبر انما سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غيره بلفظ اين غير انه
لم ينكره على السائل والخبر الاول انما قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اين الله وهذا اقرب من ان يكون سؤالا عن المكان
على ان قوله عليه الصلوة والسلام في عماء يحتمل ان يكون في بمعنى
فوق كما قال عز وجل فسيحوا في الارض اي فوقها وكما قلنا في

اين كان ربنا قبل ان يخلق السماء

تأويل

تأويل قوله تعالى أأمنتم من في السماء انه اراد من فوقها
وقد روي هذا الخبر على وجهين احدهما بالمد وهو ان يقال
في عماء ممدودا والعماء في اللغة هي السحاب الرقيق وروي
مقصورا ان يقال في عمى واذا روي مقصورا احتمل ان يكون
المعنى انه كان وحده ولم يكن شيء سواه فيشبه العدم
بالعمى توسعا لاستحالة ان يرى ما هو عدم كما يستحيل ان يرى
بالعمى فكانه قال انه لم يكن شيء سواه ولا فوق ولا تحت ولا
هواء فاذا قيل انه كان في عماء بالمد كان سبيل تأويله على نحو
ما تأولنا عليه قوله أأمنتم من في السماء وذلك بمعنى الفهم
والتدبير والمعارفة له بالنعت والصفة دون التحيز في المحل و
الجهة واذا احتمل ما قلنا ولم يكن اللفظ مما يخص معنى واحدا
كان حمله على ما قلنا اولى لانه لا يؤدي الى التشبيه والتعطيل
وتحديد ما لا يجوز ان يكون محدودا فاعلم ان شاء الله تعالى
خبر اخر في هذا المعنى وما شاكل هذا الخبر روى انس بن
مالك قال كان جبريل عليه السلام عند النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فاتاه ملك فقال اين تركت ربنا قال في سبع ارضين
فجاءه اخر فقال اين تركت ربنا فقال في سبع سموات فجاءه
اخر فسأله مثل ذلك فقال في المشرق وجاءه اخر فسأله
اين تركت ربنا فقال في المغرب ذكر تأويله اعلم ان
البلخي حمل ذلك على ما يذهبون اليه من القول ان الله تعالى
في كل مكان وزعم انه نظير ما دلت عليه الآية في قوله عز وجل
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقوله تعالى وهو الله
في السموات وفي الارض الايات وكان يذهب مذهب
النجار في ان الله في كل مكان وهو مذهب المعتزلة وهذا
التأويل عندنا منكر لاجل انه لا يجوز ان يقال ان الله تعالى
في كل مكان او مكان من قبل ان ظاهر معنى في وما وضع
له في اللغة هو الوعاء والظرف وذلك لا يصح الا في الاجسام
والجواهر فاما قوله عز ذكره وهو الله في السموات وفي الارض
فان معناه عند اصحابنا ان الله عز وجل يعلم سركم وجهركم

مذهب النجار ومن تابعه ان الله في كل مكان

استعمال في بمعنى فوق

الواقعين في السموات والارض • والسموات والارض
محال للسر والجهر الواقعين فيهما لا انهما محل لله عز وجل و
لا يصلح الوقف على قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض
دون ان يوصل بقوله تعالى يعلم سركم وجهركم • فان قال
قائل فما معنى الخبر اذ لم يكن فيه العلم بل اطلقوا القول فقالوا
في المشرق وفي المغرب وفي السموات وفي الارض قيل ان
صح هذا الخبر فمعناه انه فوقها واستعمال في بمعنى فوق ظاهر
في اللغة مشتهر منه قوله عز وجل فسيحوا في الارض اي فو فوقها
ومنه قوله لاصلبنكم في جذوع النخل قال المفسرون معناه
على جذوع النخل وعليه يتأول قوله تعالى أأمنتم من في السماء
ان المراد بذلك من فوقها واذا كان ظاهرا في اللغة
استعمال في بمعنى فوق وقد قال تبارك وتعالى وهو القاهر
فوق عباده وقال يخافون ربهم من فوقهم واطلق المسلمون
ان الله تعالى فوق خلقه كان حمله على ذلك اولى وعليه
يتأول ايضا قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله اي فوق السماء اله وفوق الارض اله • وانشد بعضهم
لبعض الشعراء ؎ وهم صلبوا العبدي في جذع نخلة ؎ و
معناه على جذع نخلة واعلم انا اذا قلنا ان الله عز ذكره فوق
ما خلق لم يرجع به الى فوقية المكان والارتفاع على الامكنة
بالمسافة والاشراف عليها بالمماسة لشيء منها بل قولنا انه
فوقها يحتمل وجهين احدهما ان يراد به انه قاهر عليها مستول
عليها اثباتا لاحاطة قدرته بها وشمول قهره لها وكونها تحت
تدبيره جارية على حسب علمه ومشيئته • والوجه الثاني ان
يراد به انه فوقها على معنى انه مباين لها بالصفة والنعت وان
ما يجوز على المحدثات من العيب والنقص والعجز والآفة والحاجة
لا يصح بشيء من ذلك عليه ولا يجوز وصفه به وهذا ايضا
متعارف في اللغة ان يقال فلان فوق فلان ويراد بذلك
رفعة المرتبة والمنزلة والله عز وجل فوق خلقه على الوجهين جميعا
وانما يمتنع الوجه الاخر وهو ان يكون على معنى التحيز في جهة الاختصا لم

الاختصاص

الاختصاص ببقعة دون بقعة واذا قلنا انه فوق الاشياء
على هذا الوجه قلنا ايضا في تأويل اطلاق القول بانه فيها
على هذا المعنى وقد اريناه من طريق اللغة تعاقب هذين الحرفين
على الوجه الذي ذكرناه وشواهده من آي القرآن والشعر ؎
وان قال قائل واذا اخبرتم انه في السماء وفي الارض على
معنى انه فوقها افتجيزون ان يقال انه في كل مكان على هذا المعنى
• قيل انما يطلق من ذلك ما ورد به الاثر ونطق به السمع و
ليس للقياس عندنا في ذلك مدخل بوجه من الوجوه فقلنا
ان صح هذا الخبر كان طريق تأويله على نحو تأويل الآية في قوله
عز ذكره أأمنتم من في السماء واما زعم مخالفونا انه واجب
ان يقال ان الله في كل مكان ورد به خبر او لم يرد فسوا من
وافقنا منهم في اجرا اسمائه على التوقيف خصوصا ولا توقيف
على هذا الوجه بان الله تعالى في كل مكان فمتى رجعوا في اطلاق
ذلك الى العلم والتدبير كان معناهم صحيحا واللفظ ممنوعا ممنوعا منه ط
منه الا ترى انه لا يسوغ ان يقال ان الله تعالى مجاور لكل مكان ن
او مماس او حال او متمكن فيه على معنى انه عالم بذلك مدبر له
• واما قولهم ان هذا سبيل قولهم ان فلانا في بناء داره و
في صلاته وعمله على معنى انه يدبر ذلك قيل هذا ايضا
خطأ لان ما ذكروه هو من الكلام المقلوب كقولهم
ادخلت القلنسوة في راسي وادخلت القبر زيدا وادخلت
الخف في رجلي وانما تدخل الرجل الخف وزيد في القبر والراس
في القلنسوة كذلك العمل في فلان والبناء فيه لانه هو في العمل
ومثل هذا في الكلام لا ينقاس ولا يصح ان يجعل اصلا لانه نوع
من اللهجا وانما يجعل الحقائق الاصول ويستخرج معانيها اذا كا ن
للاشتغال القياس في ذلك مدخل وهذا القدر يكفي في
الاشارة الى فساد قول البلخي ومن ذهب مذهبه في اطلاق
القول بان الله تعالى في كل مكان وحمل هذا الخبر على مثل مذهبه
فيه فاعلم ان شاء الله تعالى ؎ ذكر خبر آخر مما يقتضي التأويل
• وهو ما روى سماك بن حرب عن النعمان بن بشير

آخر خ

عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الله افرح بتوبة
العبد من العبد اذا ضلت راحلته في ارض فلاة في يوم قايظ
وراحلته عليها زاده ومزاده اذا ضلت راحلته ايقن بالهلاك
واذا وجدها فرح بذلك فالله اشد فرحا بتوبة عبده
من هذا العبد بوجود راحلته ۞ ونظيره ايضا ما روى ابو
هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوطن الرجل المساجد
للصلوة والذكر الا تبشبش الله اليه حتى يخرج كما يتبشبش
اهل الغايب بغايبهم اذا اقدم عليهم ۞ تاويله اعلم ان
الفرح في كلام العرب على وجوه منها الفرح بمعنى السرور من ذلك
قوله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة
وفرحوا بها اي سروا بها فهذا المعنى لا يليق بالله عز وجل
لانه يقتضي جواز الشهوة والحاجة عليه ونيل المنفعة تعالى
عن ذلك ۞ ومنها الفرح بمعنى البطر والاشر من ذلك
قوله تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم وقوله ان الله لا يحب الفرحين
وقوله انه لفرح فخور ومنه قول الشاعر ۞ ولست بمفراح
اذا الدهر سرني ۞ ولا جزع من صرفه المتقلب ۞ اي
لست ببطر ولا اشر وان وافقني الدهر وساعدني
والوجه الثالث من الفرح ان يكون بمعنى الرضا من ذلك
قوله عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون اي راضون ۞ ولما
كان من سر بالشيء فقد رضيه قيل انه فرح على معنى انه به فرح
ومعنى الخبر يحمل على ذلك لان البطر والسرور لا يليقان
بالله تعالى ويكون معنى ذلك ان الله عز وجل ارضى
بتوبة العبد من رضا من وجد راحلته واعلم ان اصل الرضا
على اصولنا انما يتعلق بمن في المعلوم انه يوافي ربه على الايمان
والطاعة وان من وفقه الله للتوبة من معاصيه فقد
رضي ان يكون مثابا على الخير مقبولا منه الطاعة والعبادة ولم
يزل الله عز ذكره عندنا راضيا عمن يعلم انه يموت على
الايمان والخير والبر ويكون فايدة الخبر على ما ذكرنا توقيفنا ان الله
عز وجل هو التايب على العبد ليتوب لقول الله عز وجل

الفرح في كلام العرب على وجوه

ذكرنا له ما دحا مثنيا عليه بالايمان صح

ثم تاب

ثم تاب عليهم ليتوبوا على صحة ما نقول ان الله عز وجل
هو الخالق لاعمال العباد والموفق للخير منها وان ما يستعمل
عن الخير لا يصلح ان يستعمل في الشر ۞ واذا كان كذلك
افاد هذا الخبر توقيف صحة ما نقول في الرضا وان الطاعة
عن رضا الله تعالى يحصل للعبد لا عن العبد فانه هو الذي يعينه
عليه ويوفقه له وان من علمه انه لا يزكيه يسر له طريق ذلك
كما ان من يسر للشيء تيسر له الطريق فكذلك مثبت هذه
الصفة بملك الحالة وعلى نحو ما ذكرنا ايضا يتاول قوله صلى
الله تعالى عليه وسلم في تبشبش وذلك ان معناه
يقارب معنا الفرح والرضا بما يحصل والتبشبش لما يتبشبش منه
والعرب تقول رايت لفلان بشاشة وهشاشة وفرحا و
يقولون فلان هش بش فرح اذا كان منطلقا فيما يحدث
له راضيا به وعلى هذه الطريقة يكون معنى الخبر ان الله عز وجل
قد رضي فعل الواطنين المساجد للذكر والصلاة واعانهم
عليه ويسر لهم التقرب به اليه وسهل عليهم طرق الاخلاص فيه
كمن يقدم عليه غايبه اذا اشتد في تيسيراته التي يرضاها له و
يحكمها به فيقال له عند ذلك تبشبش له واعلم ان للعرب
في كلامهم استعارات الا ترى الى قوله عز وجل فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف بمعنا الابتلاء والاختبار وان كان
اصل الذوق بالفم وكذلك تقول العرب ناظر فلان وذق
ما عنده ويقولون ذق القوس بالنزع ليعلم لينها وصلابتها
كذلك قوله تبشبش والله افرح يرجع معناه في التحقيق الى
الافعال المرضية فيمن يتوب عليه من المعاصي ويوفقه للطاعة
تشبيها بحال احدنا اذا اظهر له ما يسره ويونسه وان لم يكن
ذلك لايقا بالله عز وجل وانما اريد به التقريب على الافهام
بالخطاب المتعارف الجاري بين اهله ۞ ويحتمل ان يكون
صلى الله تعالى عليه وسلم قصد ذكر هذه الالفاظ في التوبة
وحثنا على فعلها اذا دعانا اليها بافخم ما يدعا الى مثله من
الالفاظ ليكثر الدواعي الى فعلها والمبادرة اليها اذا خاطب

البشبشة م

فلان هش وبش

اهلها فابلغ الالفاظ فيها ثم ان وجوه الاستعارات وتحقيق
المعاني صحيحة ثابتة عند اهل المعرفة بها فلا يلتبس عليهم ولا يخيل
ان المراد هو المعنى الصحيح الذي يجوز عليه جل ذكره دون ما
لا يجوز وهذا كسائر ما وصف جل ذكره به من اوصاف ذاته
وفعله مما لا يقع مشتركا بينه وبين خلقه فيكون له منه معنى
الذي يصح وصفه به ويليق بحكمته تعالى ولغيره اذا اجري عليه
نحوه مما يجوز عليه ولا يجب ان يستوحش من اطلاق هذا
اللفظ اذا ورد به سمع لان النظر يكشف عن الصحيح من
المعنيين والجائز من الحكمين عليه واللغة لا يمكن دفعها والسمع
لا سبيل الى رده اذا صح والنظر المحكم الفاصل بين الخطأ
والصواب فيه كسائر الالفاظ المطلقة المشتركة ومما ذكرنا
مما قيل في معنى ما ورد من اطلاق لفظ الضحك وقريب
من هذا المعنى . ذكر خبر اخر مما يقتضي التأويل ومما يشاكل
هذا الباب مما يقتضي الفاظا رويت في اخبار مختلفة عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عجب ربكم من شاب
ليست له صبوة . وفي خبر اخر عجب ربكم من ألكم وقنوطكم
. وقد قرأ بعض القراء بل عجبت بضم التاء وروي عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا من قوم يقادون الى
الجنة بالسلاسل وروي ايضا انه قال صلى الله تعالى عليه
وسلم ثلاثة يعجب الله اليهم القوم اذا اصطفوا للصلاة و
القوم اذا اصطفوا لقتال المشركين ورجل يقوم الى الصلاة
في جوف الليل وروى ابو هريرة ان رجلا نزل ضيفا برجل من الانصار
فقال لامرأته تعالي حتى نطوي هذه الليلة لضيفنا اذا وضعت
الطعام بين يديه فاطفي المصباح حتى يأكل وحده قال ففعلت
ذلك وغدوت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم لقد عجب الله من ضيفكما البارحة فانزل الله عز وجل
فيها ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة . الجواب
عن ذلك اعلم ان اصل معنى التعجب اذا استعمل في احدنا والمراد
به ان يدهمه ما يستعظمه مما يعلمه وذلك لا يليق بالله سبحانه و
يوهمه ام يستعظمه

عجب ربكم من شاب ليست له صبوة

اذا

اذا قيل في صفته تعالى عجب او تعجب فالمراد به احد شيئين
اما ان يراد به ما عظم قدر ذلك وكبر لان المتعجب معظم
لما يتعجب منه ولكن الله سبحانه لما كان عالما بما كان وما يكون لم
يليق به احد الوجهين الذي يقتضي استدراك علم بما لم يكن به
عالما فبقي امر التعظيم والتكبير في الصلوات وعندنا انه اراد
بذلك الاثابة والقبول لاجل ان من اعجبه الشيء فقد رضيه
وقبله ولا يصح ان يعجب مما يسخطه ويكرهه فلما اراد النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم تعظيم اقدار هذه الافعال في القلوب اخبر
عنها باللفظ الذي يقتضي التعظيم حثا على فعلها وترغيبا في
المبادرة اليها . واما قوله تعالى في قراءة من قرأ بل عجبت بضم
التاء فتأويله على احد الوجهين اما ان يراد به انه جازاهم
على عجبهم لما اخبر عنهم انهم عجبوا من الحق لما جاءهم وقالوا هذا
شيء عجيب وهذه طريقة للعرب معروفة في تسمية جزاء
الشيء باسمه كما قال القائل فنجهل فوق جهل الجاهلينا . وكما
قال تعالى فاعتدوا عليه وكما قال عز اسمه وجزاء سيئة سيئة
مثلها فسمى الثاني باسمها والوجه الاخر ان يراد به النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وطريقة ذلك على ما مضى بيانه قبل في انه
يذكر وليه خصيصا ويكون الخبر عن نفسه والمراد به هو كقوله تعالى
مرضت فلم تعدني وكقوله تعالى ان الذين يؤذون الله وكقوله
تعالى فلما آسفونا والمعنى انهم اغضبوا اولياءنا وقد انكر منكرون
هذه القراءة . قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبتُ وقال
ان الله تعالى لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم قال فذكرت
ذلك لابراهيم فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله بن مسعود
اعلم منه وكان يقول بل عجبتُ بضم التاء . وقال بعض اهل اللغة
تقدير معناه قل يا محمد بل عجبتُ انا من قدرة الله تعالى واضمر
له لدلالة الكلام عليه ومثله ما قال الشاعر . قد خلقت ام الخيار
تدعي . علي ذنبا كله لم اصنعي . من ان رأت رأسي كرأس الاصلع
ميز عنه قنزعا عن قنزع . جذب الليالي ابطئي او اسرعي . اراد
ان يقول لها ابطئي واسرعي . واضمر لدلالة الكلام عليه

الجاهلينان

فذكرت م

قنزعا عن قنزع ن

ذكر خبر اخر مما يقتضي التأويل وذلك مما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن وروي في خبر اخر وهو ما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وروي في لفظ اخر انه قال هذا نفس ربي اجده بين كتفي اشتكم الساعة

تأويله اعلم ان النفس في كلام العرب قد يستعمل على معنى التنفس وقد يستعمل ايضا على معنى التنفيس واما الذي في معنى التنفس فهو في قولهم نفس منفوسة اذا كان مجروحا يتنفس يخرج منه النفس شيئا بعد شيء وليس المراد بالخبر عن ذلك لاستحالة التنفس على الله عز وجل من قبل انه ليس باجزاء متبعضة ولا باجسام متغايرة وكيف يدعا الجسمية المشبهة ان ذلك على معنى التنفيس عندهم ان تأويل الصمد الصمت الذي ليس باجوف واما التنفس يجي من اجوف فاذا كان واذا كان التنفس بمعنى التنفيس فذلك معروف في قولهم تنفست عن فلان اي فرجت عنه وكلمت زيدا في التنفيس عن غريمه ويقال نفس الله عن فلان كربه اي فرج عنه وفي الخبر من نفس عن مكروب كربة من المومنين نفس الله عنه كربة يوم القيمة واما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الريح من نفس الرحمن فمعناه على هذا الوجه ان الريح مما يفرج الله بها ويروح بها عن المكروب والمغموم وقد روي في الخبر ان الله سبحانه فرج عن نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالريح يوم الاحزاب فقال سبحانه وتعالى وارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ومن الكلام المتداول في العرف والعادة بلا تدافع بين اهل اللسان قولهم اعمل وانت في نفس من امرك اي وانت في فسحة من الهموم والمرض واشباه ذلك من الحوادث والريح مما يفرج بها الكرب ومن نفس الريح انها اذا هبت في البلد الحار والهواء اذهبت الوباء ~~وطابت الشام المسير~~ واذا هبت في بعض الاوقات اثارت السحاب واذا هبت في بعضها القحت الاشجار باذن الله وذلك قوله عز وجل وارسلنا الرياح لواقح وكانت العرب تقول اذا كثرت الرياح كثر الخصب والخير واذا انتسم العليل او الريح

لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن

على معنى التنفس وقد يستعمل ايضا على معنى التنفيس ن

كربة ن

واطابت للمسافر المسير صح

تقول العرب اذا كثرت الرياح كثر الخصب والخير

محزون

تنسيمها خفة صح

محزون ان وجد ~~تنسيمها نسيمه~~ وفرح مما يجد وينشدون في ذلك قول الشاعر لان الصبا ريح اذا ما تنسمت على قلب مغموم تجلت همومها وقال بعض العرب نجعت على بطن وادي بين جبلين فرايت واديا اخصب منه واذا وجوه اهله مبهجة والوانهم مصفرة فقلت واديكم اخصب وانتم لا تشبهون اهل الخصب فقال لي شيخ منهم ليس بها ريح وهذا مما يبين ان الله عز وجل جعل في مهب الريح تنفيسا على معنى ~~التنفيس~~ والتفريج عن الكرب والهموم المشتملة على القلوب وقد تهب بعضها الحر والصلاح للاجساد والابدان فعلى هذا يتأول قوله ان الريح من نفس الرحمن اي مما جعل الله فيها النفع والتنفيس والترويح والاضافة من طريق الفعل فالمعنا ان الله تعالى جعلها كذلك وفرق التنفيس بها واما قوله عليه الصلوة والسلام اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن فمعناه اني لاجد تفريج الله عز وجل عني وتنفيسه عن كربي بنصرته اياي من قبل اهل اليمن وذلك لانصرة المهاجرين نفس الله تعالى عن نبيه عليه الصلوة والسلام ما كان فيه من اذى المشركين وقتلهم الله تعالى على يد المهاجرين من اهل اليمن والانصار وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما كان يمدح اهل اليمن وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان يمان والحكمة يمانية واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا نفس ربي اجده بين كتفي ايتهم الساعة فمعناه ان هذا الذي فرج الله ربي عني بما توجيه الى الساعة فصرف به همومي وغمومي وكشف عن قلبي وستر عن فوادي وذلك ما كان يجده صلى الله تعالى عليه وسلم في مستقبل وقاته من زوايد روح التنفس وفوايد التقريب والالطاف الذي يجد من الله عز وجل له عليه الصلوة والسلام فسمي ذلك نفس الرب لانه هو الذي نفس به عنه والاضافة من طريق الملك والتدبير واذا احتمل لفظ النفس التنفس والتنفيس وكان التنفس من صفات الاجوف والاجوف لا يكون الا جسما متلاصقة على صفة مخصوصة وذلك لا يليق بالله عز وجل وجب ان يحمل على معنى التنفيس الذي هو التفريج عن الكرب والهموم

التنفيس صح

تعج

التقريب صح

والتنفيس صح

فاعلم انشا الله تعالى ... بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر خبر آخر مما يقتضي التاويل ويوهم ظاهره التشبيه
وذلك ما روى الجمع الذي يكثر عددهم من الاثبات و
الثقات وهو من مشاهير الحديث في هذا الباب كالمجمع
على صحته عند اهل النقل وذلك ما روي عن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم بالفاظ متغايرة في اخبار متفرقة يوول
جميع ذلك الى معنى واحد وهو ما روي عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا
وفي بعض الاخبار في كل ليلة وفي بعضها في ليلة النصف
من شعبان فيقول هل من مستغفر فاغفر له وهل من سائل
فاعطيه الخبر ... ذكر تاويله اعلم ان اول ما يجب ان نعلم
في ذلك قبل شروعنا في تاويله وهو ان نعلم ان جميع
اوصاف الله تعالى مما لا يخرج عن احد وجهين اما ان
يكون استحقها لنفسه او لصفة قامت به او لفعل يفعله
وانه لا يطلق شيء من الالفاظ في اوصافه واسمائه
المتفرعة عن هذين الاصلين الا بعد ورود التوقيف
في الكتاب والسنة وعن اتفاق الامة ولا مجال للقياس
في ذلك بوجه من الوجوه وادلة هذا الباب وشرح
وجوهه بما قد ذكر في الكتب وليس هذا موضع ذكرها اذ
كان الغرض التنبيه على معاني هذه الالفاظ المشكلة التي
وردت في الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم مما يوهم التشبيه ويجدها اهل البدع ويوهمهم
ان ذلك مما لا يمكن ان يحصل على تاويل صحيح من غير ان
يكون فيه تشبيه او تحديد او تكييف ووصف الرب عز
ذكره بما لا يليق به . واعلم انه قل ما يرد من هذه الاخبار
ومن امثال هذه الالفاظ الا ونظايرها موجودة في
الكتاب ومتى اذا وردت في الكتاب محمولة عندهم على
التاويل الصحيح مخرجة على الوجه الذي يليق بصفاته تعالى
واذا وردت في الاخبار ابطلوها مناقضة منهم لاصولهم

وسائر

وسائر مناقضاتهم في مذاهبهم المبنية على آرائهم الفاسدة
مما لم يشهد بها الكتاب والسنة ولا بان فيها اتفاق الامة و
ذلك لجحدهم سنن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستخفافهم
لاهل النقل واستهانتهم برواياتهم ويابى الله الا ان يتم نوره و
يظهر مخازيهم ومناقضاتهم . فمما ورد في هذا المعنى من آي الكتاب
قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام و
الملائكة وقوله عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله
عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ الاية
واعلم انه لا فرق بين الاتيان والمجيء والنزول اذا اضيف
جميع ذلك الى الاجسام التي تتحرك وتنتقل وتحاذي مكانا
بعد مكان لان جميع ذلك يعقل من ظاهرها المعنى الذي
هو الحركة والنقلة التي هي تفريغ مكان وشغل مكان فاذا اضيف
الى ما لا يليق به الانتقال من مكان الى مكان لاستحالة كونه جوهرا
او جسما او محدودا او متناهيا او مماسا لم يصح ذلك
في صفته تعالى وكان ما يضاف اليه من الاتيان والمجيء على
حسب ما يليق بنعته وصفته اذا ورد به الكتاب فكذلك
اذا اضيف النزول اليه وورد الخبر الصحيح الموثوق بروايته
ونقله وصحته في بابه انه يحمل معناه على نحو ما حمل عليه معنى
المجيء والاتيان اذا ذكر في الكتاب . واذا كان كذلك تاملنا
معنا ما ورد في الخبر من ذكر النزول وتاولناه على الوجه الذي
يليق بوصفه جل ذكره على المعنى الذي لا ينكر استعمال مثله
في اللسان في مثل معناه ولا ان يرد الخبر بمثله . فمن ذلك
انا وجدنا النزول في اللغة مستعملة على معان مختلفة ولم يكن
هذه اللفظة مما يخص امرا واحدا حتى لا يمكن العدول
الى غيره بل وجدناه مشتركة المعنى فاحتمل التاويل والتخريج
والترتيب . فمن ذلك النزول بمعنى الانتقال وذلك
في قوله سبحانه وتعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا على معنى
النقلة والتحويل ومن ذلك النزول بمعنى الاعلام كقوله
عز وجل نزل به الروح الامين اي اعلم به الروح الامين محمدا صلى

لا فرق بين الاتيان والمجيء والنزول

الملك ح

تعالى عليه وسلم ٠ والنزول ايضا بمعنى القول والعبارة في
قوله عز وجل سانزل مثل ما انزل الله فيما اخبر به عز ذكره
عن المشركين الذين ادعوا معارضة القرآن العظيم فقال لولي
سنقول مثل ما قال والنزول ايضا بمعنى الاقبال على الشي فهذا
هو المستعمل في قولهم والجاري في عرفهم وتعارفهم يقولون ان
فلانا اخذ في مكارم الاخلاق ثم نزل منها الى مستقبحها اي اقبل
منها الى دنيها ومثله في نقصان الدرجة والمرتبة لانهم
يقولون نزلت منزلة فلان عند فلان عما كانت الى دونها
اذا انحط قدره عنده ٠ ومن ذلك ايضا النزول بمعنى نزول
الحكم من ذلك قولهم قد كنا في خير وعدل حتى نزل بنا
بنوا فلان اي حكمهم وكل ذلك في معنى النزول متعارف
بين اهل اللغة غير مدفوع عندهم اشتراك معناه ٠ واما
قوله عز ذكره وانزلنا الحديد فيه باس شديد فمن اهل
التاويل من قال معناه وخلقنا الحديد ومنهم من قال ان
الحديد انزل على معنى النقل من علو الى سفل واما قوله تعالى
انا انزلناه في ليلة القدر فان انزال القرآن العظيم ليس
هو على معنى النقل والتحويل لاستحالة النقل على الكلام وانما
هو بمعنى الاعلام والاسماع والافهام وقوله عز ذكره هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين يكشف ايضا عن انه ليس
كل النزول وانزال نقلا وتحويلا بل ذلك لفظ مشترك
المعاني قد يكون نقلا وتحويلا ويكون على غير هذا الوجه ايضا على
المتعارف والمعهود بين اهل اللغة واذا كان اللفظ مشترك
المعاني وجب الترتيب واضافة ما يليق بالمذكور المضاف
اليه على حسب ما يليق به ٠ الا ترى انه اذا اضيف النزول
الى السكينة لم يكن حركة ولا نقلا واذا اضيف الى الكلام لم
يكن ايضا تفريغ مكان وشغل مكان واذا اريد به الحكمة او
تغير المرتبة فكذلك واذا كان كذلك كان ما وصف به
الرب جل ذكره من النزول محمولا على بعض هذه المعاني التي لا تقتضي
له ما لا يليق بنعته من ايجاب حدث يحدث في ذاته تحلله
او تغيره

او تقتضي

او يقتضي تمثيلا له وتحديدا وسواء ان يكون على احد وجوه من هذه
المعاني اما ان يراد به اقباله على اهل الارض بالرحمة والاستعطاف
بالتذكير والتنبيه الذي يلقي في قلوب اهل الخير منهم من يسعده ملقي
بتوفيقه لطاعته حتى توجههم الى الحذر والالتماس في التوبة والانابة
والاقبال على الطاعة ووجدنا الله تعالى وتقدس قد خص بالمدح
المستغفرين بالاسحار فقال في وصفهم ايضا كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال والمستغفرين
بالاسحار فيحتمل ان يكون هو المراد وهو الاخبار عما يظهر من الطافه
جل ذكره ومعونته وتاييده لاهل ولايته في مثل هذا الوقت
بالزواجر التي يفعلها في نفوسهم والمواعظ التي يبعثهم عليها بقوة
الترغيب والترهيب ٠ ويحتمل ان يكون ذلك فعلا يظهر بامره
فيضاف اليه كما يقال ضرب الامير اللص ونادى الامير في البلد
وانما امر بذلك فيضاف اليه الفعل على معنى انه عن امره ظهر
وبامره حصل واذا كان ذلك محتملا في اللغة لم ينكر ان يكون لله
عز ذكره ملائكة يامرهم بالنزول الى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء
فيضاف ذلك الى الله عز وجل على الوجه الذي يقال ضرب
الامير اللص ونادى في البلد وقد روى لنا بعض اهل النقل
وهو الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما يؤيد هذا
التاويل وهو بضم الياء من ينزل وذكر انه قد ضبطه عمن ذكر
سمعه من الثقاة الضابطين واذا كان ذلك محفوظا
مضبوطا كما قال فوجهه ظاهر ولما ذكرنا مما نحمله من التاويل به
الموافق لذلك مؤيد شاهد ٠ ويحتمل ايضا ان يكون على معنى
ما قلنا انه يقولون ما زلنا في كذا حتى نزل بنا بنو فلان على
معنى نزول حكمهم وامرهم فيكون تقديره التاويل فيه الاخبار
عما يفعله الله تعالى في كل ليلة من افعاله التي هي ترغيب
لاهل الخير في الخير وزيادة في الدواعي الى الطاعة واستعطاف
لاهل العطف مع انه اذا لم يحمل ما اطلق عليه من هذا
الوصف من ان يكون مما يلزم الذات لا لاجل فعل
او يكون مما يجب لاجل فعل فبطل ان يكون ذلك

ما يلزم الذات وقد وجب ان ذلك مما يوصف به من جل
فعل بفعله • وقد روي لنا عن الاوزاعي رحمه الله انه سئل
عن هذا الخبر فقال يفعل الله ما يشاء وهذا اشارة منه الى
ان ذلك فعل يظهر منه عن ذكره • وذكر حبيب كاتب
مالك بن انس رحمه الله عليه في هذا الخبر ينزل امره في كل سحر
واما هو فهو دايم لا يزول ولسنا ننكر تسمية الله عز وجل
باسماء افعاله اذا ورد التوقيف بها كتابا نوما يسمى به لاجل
الفعل منكر قوله تعالى والسماء بنيناها بايد وقوله تعالى
ودمدم عليهم ربهم وقوله سبحانه وتعالى ودمرنا ما
كان يصنع فرعون وقومه الاية وقد ورد بذلك الخبر الصحيح
الذي لا يمكن دفعه وكان حجة في اطلاق التسمية والنظر
شاهد مميز بين المعنيين يقتضي نفي ما لا يليق فوجب به
حمله على ما يصح في وصفه من بعض الوجوه التي ذكرنا ••
فصل اخر في ذلك • فان قال قايل واذ احتملتم
ما روي في النزول في الخبر على ما ذكرتم فعلى ما ذا تحملون قوله
تبارك وتعالى فاتى الله بنيانهم من القواعد وقوله سبحانه
وجاء ربك والملك وقوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام والملايكة قيل قد تاول اهل العلم هذه
الايات على وجوه كثيرة فمن ذلك انهم تاولوا قوله عز وجل
فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
ان معناه الاستيصال في الهلاك والتدمار بارسال
العذاب كما يقول الناس اتى السلطان بلد كذا فغلبه
ظهر النظر اذ استاصله وليس يريدون وصوله او حضوره
البلد بنفسه ولا شهوده بل يريدون به الهلاك والتدمير
وقال بعضهم انما اراد بذلك ظهور فعل من جهته في البنيان
سماه اتيانا وله ان يسمي افعاله بما يشاء وان يصف
نفسه بما اراد واما قوله عز شانه وجاء ربك والملك
صفا صفا فمنهم من قال ان معناه جاء ربك بالملك صفا
صفا وزعم ان الواو هاهنا بمعنى الباء • ومنهم من قال

ما ول قوله تعالى فاتى الله بنيانهم الآية

ما ول قوله تعالى وجاء ربك الآية

جاء

جاء وربك وحكمه الذي لا يقع المشاركة فيه بالدعاوي وقد
بينا فيما قبل انه لا تدافع بين اهل اللغة في قولهم ضرب الامير
اللص ونادى الامير في البلد بكذا وانما يراد بذلك ان ذلك
الفعل وقع بامره وعن حكمه فيضاف الفعل اليه باللفظ الذي
يضاف الى من فعله وتولاه ونظير ذلك قوله عز وجل في قصة
قوم لوط فطمسنا اعينهم وكان الطميس للاعين للملايكة بامر الله
عز وجل واذا كان مثله متعارفا في اللغة وانما ورد الخطاب
في القران على المتعارف في اللغة والمعهود فيما بين اهلها لم ينكر
ان يحمل على ذلك قوله وجاء ربك • فاما قوله سبحانه هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام فقد قال اهل التفسير
ان معناه هل ينظرون الا ان ياتيهم الله بالعذاب في ظلل من الغمام
وهذا شايع في اللغة ان يعبر عن الشي بفعله اذا وقع عن
امره وتدبيره كقولهم اتى الامير بلد فلان اذا وصل اليه جيشه
ودخل بلد فلان اذا انفذ فيه حكمه وامره وقال بعضهم ان
قوله في ظلل من الغمام يراد به بظلل من الغمام وان الفاء بمعنى البا
وقد روي ذلك في التفسير عن ابن عباس • وقال بعض اهل
العلم والاستشهاد بابدال الفا من الباء ان اعرابيا كان يتادو
من شر النغاثات بالعقد فيصير الباء في مكان الفاء لما كان عنده
ان ذلك مما يبدل احدهما من صاحبه من غير اختلاف المعنى •
ويحكى انه سمع من بعض الاعراب يقول لصاحبه ارفع بالسما يريد
ارفع في السماء وقال بعض اهل التاويل في قوله تعالى سال
سايل بعذاب واقع ان معناه سال عن واقع • وحروف
الصفات يدخل بعضها مكان بعض ويبدل بعضها من بعض
اذا تقاربت معانيها ولم تختلف • وروى ابن ابي نجيح عن
مجاهد في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
في ظلل من الغمام انه قال هي السحاب التي ياتي الله بها يوم القيمة
وتاويله هذا نظير ما روي عن ابن عباس في قوله ان معناه
انه ياتي بظلل من الغمام وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي
الله عنهما ايضا في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله

ورود الخطاب في القران على المتعارف في اللغة والمعهود فيما بين اهلها

مجي الفاء بمعنى الباء

وحروف الصفات يدخل بعضها من بعض ويبدل بعضها من بعض اذا تقاربت معانيها ولم تختلف

في ظلل من الغمام قال تأتيهم الله بوعده ووعيده وان الله
عز وجل يكشف لهم يوم القيامة عن امور كانت مستورة
عنهم • وقد روي مثل قول ابن عباس عن الحسن • واعلم
انه اذا كان ما حملنا عليه تأويل الخبر والآية منقولا عن الصحابة
والتابعين كان ذلك مما يؤيد ما قلناه ويؤنس المستعلم
التأويل ما ذكرنا وانكشف للناظر ان تأويل الالفاظ الواردة
في القرآن وان طرق الخبر فيها واحدة فاذا لم يجب ان يحمل
ما ورد في الكتاب في لفظ المجيء والاتيان على معنى النزول
والانتقال الذي هو صفة المحدود والمتحرك المنتقل المتمكن في
مكان بعد مكان بل هو على معنى ما ورد به الكتاب من الاتيان
والمجيء ولا فرق بين ان يرد ذلك من طريق صحيح من جهة الاثر
والسنة وبين ان يرد ذلك في الكتاب في باب ما يحمل
عليه من التأويل على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى فعلى
ذلك رتب الباب فاعلمه ان شاء الله تعالى •• ذكر خبر آخر
مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه • روى عمرو بن مرة
عن ابي عبيدة عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم باربع فقال ان الله تعالى
لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل
الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه وفي بعض الاخبار لاحرقت سبحات
وجهه كل شيء ادركه بصره •• تأويل ذلك اعلم ان
كل ما ذكر في هذا الكتاب من امثال هذا الخبر وانما يرجع معناه
الى الخلق لانهم هم المحجوبون عنه بحجاب يخلقه فيهم ولا
يجوز ان يكون الله عز وجل محتجبا ولا محجوبا لاستحالة كونه
جوهرا او جسما محدودا لان ما يستره الحجاب والحجاب
اكبر منه ويكون متناهيا محاذيا جائزا عليه المماسة والمفارقة
وما كان كذلك كانت علامة الحدث فيه قائمة وذلك
ان الموحدين انما وصلوا الى العلم بحدث الاجسام من حيث
وجدوها متناهية محدودة محلا للحوادث وكان ما يعاقبها

عليها

عليها دليلا على حدثها ولن يجوز ان يقوم دلالة الحدث على
القديم الذي لم يزل موجودا واذا كان هذا الاصل صحيحا كما
كشفنا عنه وجب ان نحمل ذلك على النوع الذي بيناه وقد
ويشهد لذلك ويؤيده قوله عز ذكره كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون • واعلم ان اصل معنى الحجاب في اللغة هو المنع وكذلك

معنى الحجاب في اللغة

يقال لمن يمنع عن الامير من يدخل عليه الا باذنه حاجب وكذلك
قيل للحاجبين اللذين يمنعان العينين لاحاطتهما بهما لما خلق
فيهما من الحجاب والمنع منها ولم يصف نفسه بالاحتجاب ولا
بانه هو المحجوب واذا قلنا ان الكافر محجوب عن ربه والمعنى
فيه انه ممنوع عن رؤيته والمنع من الرؤية معنى يضاد الرؤية
واذا وجد انتفت الرؤية بوجوده والذي يحقق ويؤيد ما
عليه تأويلنا ما روي عن علي رضي الله عنه روى عطاء بن السائب
عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن علي انه مر بقصاب وهو يقول
لا والذي احتجب بسبعة اطباق فقال له علي ويحك يا قصاب
ان الله لا يحتجب عن خلقه وفي بعض الاخبار ان عليا
علاه بالدرة وقال يا لكع ان الله لا يحتجب عن خلقه بشيء
لكن حجب خلقه عنه • وفي بعض هذه الاخبار انه قال القصاب
لعلي اولا اكفر عن يميني يا امير المؤمنين فقال لا لانه حلفت
بغير الله تعالى وروى علي عن عاصم عن عطاء عن ابي البختري عن
علي مثله فاما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه فقد تأول ذلك اهل العلم منهم ابو عبيدة وذكر
ان معنى قوله لو كشفها اي لو كشف رحمته عن النار لاحرقت
سبحات وجهه اي لاحرقت محاسن وجه المحجوب عنه النار
فالهاء عائدة في قوله سبحات وجهه الى المحجوب لا الى الله عز
وجل لان هذا الوصف لا يليق به سبحانه لما ذكرنا انه يستحيل
ان يكون محجوبا او محتجبا • وقال بعضهم معنى قوله حجابه النار
اي جعل خلقه محجوبا به وروي في بعض هذه الاخبار حجابه
النور وليس يتفاوت معنى النار والنور ومعنى الاضافة
اليه من طريق الجعل والخلق وهو ان جعل الخلق محجوبا به لا انه

محتجب به • فان قالوا فعلي ما تحملون ما روي عن ابن عمر انه
قال احتجب الله عز وجل عن خلقه باربع بنار وظلمة ونور وظلمة
• قيل له قد ذكر بعض اهل العلم في تاويل ذلك ان معناه ان
الله عز وجل عرفنا نفسه باياته ودلائله فقال له ايات لو ظهر
للخلق كانت معرفتهم لمعرفة العيان كما ذكر في قوله سبحانه تعالى
فظلت اعناقهم لها خاضعين • قال محمد بن شجاع البلخي معنا
قوله احتجب بالنار اي خلقها ملك دون الدلالات التي تبهر
العقول وتدل على معرفته حتى تصير كمعرفة العيان وهذا الخبر اذا
حمل تاويله على ما ذكر البلخي كان معنى الاحتجاب على الخلق انه جعل
دلالة فوق دلالة واظهر من دلالة وترجع في التحقيق الى ما قلنا
انه يحجب الخلق بما خلقه فيهم من موانع المعرفة والرؤية لا انه
يحتجب احتجاب استتار كالاستتار بالاجسام التي يحيط
بها ويكشفها واعلم ان الاجسام ليست بحجب على الحقيقة في
المحدثات الضالات بها في الحقيقة غير مانعة رؤية المحجوب المستور
المغطى ولا مانعة للمعرفة على الاصل الصحيح من هذا ههنا وذلك
ان المانع من معرفة الشيء ورؤيته ومعاينته ما يمنع من وجود
معرفته ومعاينته وما يمنع من ذلك فهو الذي يضاد
وجوده وذلك لا يصح الا في العرضين المتضادين المتنا فيين
ولا يصح ان يكون الجسم منافيا ولا منافيا من عرض اصلا لاجل
انه لا يصح ان يكون بين العرض والجسم تناف وتضاد
على وجه من الوجوه فبان بهذا ان الذي يحجب عن المعاينة
والمعرفة في القديم والمحدث هو المنع الذي هو معنا موجود
يعاقب العلم والرؤية لمن هو ممنوع فعلى ذلك لا يصح
ان يكون المحدث ولا القديم محجوبا بشيء من سواتر الاجسام
المغطية المكتنفة المحيطة وانما يقال لهذه الاجسام السا
انها حجاب عن رؤية المحدث لمن وراه من اجل ان المنع من
الرؤية يحدث عنده ويسمى باسم ما يحدث عنده ولذلك
غلط اصحابنا المعتزلة في قولهم ان الباري سبحانه لا يرى
لاجل انه لو كان مرئيا لرايناه الساعة لارتفاع الحجاب

والبعد

والبعد والنظافة والافة وذلك ان ما قالوا انه حجاب
ومنع ليس بحجاب ولا منع على الحقيقة وانما يطلق ذلك
عليه مجازا الاجل ان المنع يحدث عنده فعلا ذلك وتجب
تاويل هذه الاخبار الواردة بلفظ الحجاب وتحقيق بان
الله سبحانه وتعالى لا يصح بان يكون محجوبا ولا محتجبا على الحقيقة
وانما هو مانع خالق للحجاب فيضاف الحجاب اليه على
معنى جعله محجوبا لمن حجبه به من طريق الفعل لا من طريق الاستتار
والاحتواء عليه • ومن ذلك ذكر خبر اخر مما يقتضي التاويل و
هو ما روى الجم الغفير والجمع الكثير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بالفاظ مفترقة ومعان متفقة في مواطن مختلفة وهو انه
قال ترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون
في رؤيته وفي بعضها لا تضامون في رؤيته بتشديد الميم من
تضامون الذي هو بمعنى المضامة وقد روي ايضا مخففا على
معنى نفي الضيم عنهم • والذي يجب ان يوقف عليه من هذا
الخبر معنى المضامة والمضارة المنفية عن الرائين له ووجه تشبيه
رؤيته برؤية القمر ليلة البدر وان ذلك لا يرجع الى المرئي
بل يرجع الى الرؤية وقد روي في خبر اخر لفظ اشكل من هذا
وهو انه روي ان الله تبارك وتعالى يبرز يوم كل جمعة لاهل
الجنة على كثيب من كافور فيكونون في القرب على قدر تبكيرهم
الى الجمعة الا في رعوا الى الخيرات • تاويل ذلك اعلم
ان قوله ترون ربكم كما ترون القمر لم يقصد به الا تحقيق رؤية
العيان لا تشبيه المرئي بالمرئي بل تحصيل تشبيه الرؤية
بالرؤية حتى كانه قال انكم ترون ربكم تبارك تعالى يوم القيمة كرؤية القمر
ليلة البدر كما انكم لا تشكون ليلة البدر في رؤية القمر انه هو
البدر ولا يبقى لكم فيه ريب وظن كذلك ترون الله عز وجل
كذلك يوم القيمة معاينة تحصل معها اليقين بان ما ترونه هو
المعبود الاله • وحقق ذلك بقوله لا تضارون في رؤيته
وبقوله ولا تضامون في رؤيته • واما معنى قوله لا تضامون
في رؤيته اي لا ينضم بعضكم الى بعض كما تنضمون في رؤية الهلال

ترون ربكم يوم القيمة
كما ترون القمر ليلة البدر

رأس الشهر بل تَرَونه جهرة من غير تكلف لطلب رؤيته كما
ترون البدر وهو القمر ليلة الرابع عشر اذا عاينه المعاين فهو
لم يحتج الى التكلف في طلب رؤيته ومعاينته وكذلك قوله صلى
الله عليه وسلم لا تضارون اي لا يلحقكم ضير في رؤيته لتكلف
طلبه كما يلحق المشقة والطلب في طلب رؤية ~~ما يخفى~~ بعض
وكل ذلك تحقيق لرؤية المعاينة وانها صفة تزيد على العلم و
كذلك من روى تضامون مخفف وانما المراد به الضيم اي لا
يلحقكم ضيم والضيم والضرر في المعنى واحد وقد تاولت
المعتزلة ذلك على ان معناه رؤية العلم وان المؤمنين يعرفون
الله يوم القيمة ضرورة وهذا خطأ من قبل ان الرؤية اذا
كانت بمعنى العلم تعدت الى مفعولين وذلك كما يقول القائل
رأيت زيدا فقيها اي علمته كذلك واما اذا قال رأيت زيدا
مطلقا فلا يفهم منه الا رؤية البصر وقد حقق ذلك ايضا
بما اكده من تشبيه رؤية القمر ليلة البدر وتلك رؤية
البصر لا رؤية العلم ۞ وعلى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انما بشر المؤمنين من اصحابه بذلك وذلك يوجب
ان يكون معنى يختصون به واما العلم بالله فمشترك بين
المؤمنين والكافرين في القيمة وذلك يبطل معنى بشارته
للمؤمنين بالرؤية وذلك ان تلك الرؤية رؤية العيان
وقد روى الاثبات منهم قيس عن جرير ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ترون ربكم عيانا وهذا يرفع الاشكال
ويمنع الاحتمال لان الرؤية وان كانت تستعمل في معنى العلم
فانها اذا قرنت بلفظ العيان لم تحتمل العلم وذلك كقول
القائل رأيت زيدا معاينة وعيانا لا يحتمل معنى العلم كما انه
اذا قال رأيت زيدا بقلبي لا يحتمل الرؤية البصر واما ما روي في
الخبر الاخر ان الله جل ذكره يبرز كل يوم جمعة لاهل الجنة على كثيب
من كافور فيكونون في القرب على قدر تبكيرهم الى الجمعة الا فيما
في الخبر ۞ فقال محمد بن شجاع ان هذا الخبر مما تفرد بروايته المنهال
بن عمرو وهو ضعيف جدا اثبته ان صح وقيل فانه يحتمل ان يكون

ما يخفى رؤيته ويعضوا صح

معناه

معناه ان اهل الجنة يرونه على مقادير اوقات الدنيا و
كما قال تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فذلك
على التقدير بايام الدنيا واوقاتها الا ان هناك غدوة
وعشيا او جمعة وسبتا فاما رؤيته لاهل الخبر فذلك
بتجليه لهم وهو ان يخلق لهم رؤيته تعالى وهم على كثيب من
كافور واما معنا قربه منهم وذلك راجع الى الكرامة والمنزلة
لا الى المكان والمسافة وذلك معلوم مشهور بين الناس
انهم يقولون ان فلانا قريب من فلان وانما يريدون
قرب المنزلة لا قرب المسافة ۞ وعليه يتأول قوله من تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا اي من تقرب مني بالطاعة ضاعفت
له الثواب وزدته كرامة وكذلك يقال للفاسق في فسقه
انه متباعد من الله يريدون بذلك التبعد من طاعته وعبادته
وعلى هذا المعنى يقال ان الكافر بعيد عن الله والمؤمن قريب
من الله والله قريب من المؤمنين بعيد من الكافرين ومعنى
ذلك قرب رحمته وكرامته ولطفه وفضله من المؤمن وبعد
جميع ذلك عن الكافر فاما قرب المكان فلا يليق بوصف
الله تعالى وعلى ذلك يتأول جميع ما في القرآن مثل قوله تعالى
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم
وقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وقوله تعالى واسجد
واقترب ان جميع ذلك لا يخلو من ان يكون قربا بالطاعة
من العبد او قربا بالكرامة واظهار الرحمة من الله عز وجل فعلى ذلك
قرب جميع ما يوصف الله به عن قربه من الخلق ويوصف به
العبد من قربه من الله جل وعز وكذلك القول في العبد ۞
ذكر خبر اخر مما يقتضي التأويل وهو ما روي عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال ما منكم من احد الا سيخلو به ربه يوم القيمة
ويكلمه ليس بينه وبينه ترجمان فيقول ماذا عملت فيما
علمت ۞ ذكر تأويله اعلم ان معنى قوله سيخلو به ربه
محمول على ما جرى به العرف في كلام اهل اللغة في قولهم خلا
فلان بعمله وخلا فلان بنفسه ومعنى ذلك انفراده و

عفنا

حديث
ما منكم من احد الا سيخلو به ربه
يوم القيمة ويكلمه ليس بينه
وبينه ترجمان اه

تؤنبه وتوبخه لما يغيره وينوذ به وعلى ذلك يكون معنا
الخبر انه يكلمه بكلام لا يسمعه غيره بل يخص المتكلم بالاسماع
بما يكلمه به فيكون خاليا به على هذا الوجه حتى يظن من يكلمه و
يحاسبه انه ليس يتكلم لاحد سواه ولا يحاسب لغيره
وانما حملناه على ذلك لاستحالة وصفه بالقرب الذي هو
قرب المسافة والمساحة وذلك لاستحالة كونه محدودا
متناهيا ولاستحالة كونه محدثا وقد ذكرنا فيما قبل مثل هذا
المعنى في حديث النجوى وقد روي معنا قال ابن عمر سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في النجوى اما المومن
فيدنا من ربه يوم القيمة حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه
وقد بينا قبل ان ذلك ادنى من طريق الكرامة وان كنفه ستره
وعفوه وكرمه ورحمته كذلك معنا خلوه بالعبد يوم القيمة
انما هو تعريفه اعماله السالفة واعلامه مواقع الجزاء من اعماله
الخير والشر بالثواب والعقاب وذلك نظير قوله جل ذكره
ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
الاية وكقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم لان ذلك يرجع الى ما ذكر
العلم به والقدرة عليه والسمع لكلامه والروية لذاته وصفاته
تعريفا لهم انه هو الذي لا يخفى عليه شيء من امور الخلق
وكذلك كذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سيخلو الله
عز وجل به يوم القيمة اي يقرره بالتعريف يوم القيمة حتى
لا يسمع غيره ما يسمعه ولا يعرف احد سواه ما يعرفه رحمة
منه بالمومنين من عباده وسترا عليهم باظهار عفوه و
كرمه وقد قيل انه يحاسب المومن عتابا ويحاسب الكافر
عقابا ولما كان الله عز وجل قادرا على اسماع غيره مثله
في تلك الحال لم ينكر ان يكون ما روي انه يخلو به حتى يظن
احدهم انه ليس يكلم احد سواه ومعنا يكلم الله عز وجل
خلقه افهامه اياهم كلامه على ما يريد اما باسماع عبارة تدل
على مراده او بابتدائهم بخلقه في قلبه يفهم به عنه ما يريد ان
يفهمه وكل ذلك شايع جايز وهو معنى ما يكلم به العبد عند

المحاسبة

رحمه

المحاسبة واذا اقروا له اسماعا وافهاما كان ذلك خلوا
به وفيه ذكر خبر اخر مما يقتضي التاويل وهو ما روى سعيد
المقبري عن ابي هريره عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله تعالى لما خلق ادم عليه السلام ونفخ فيه من روحه عطس
ادم عليه السلام فاذن له فشكر الله تعالى فقال له ربه رحمك
ربك فسبقت له من ربه رحمته وقال له يا ادم اذهب الى
الملأ من الملائكة وقل السلام عليكم فقالوا له وعليك السلام
ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك
بينهم تاويل ذلك اعلم ان قول الله تعالى معناه ونفخ فيه من
روحه بمعنى قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي ومعنى جميع
اضافته اليه من طريق الملك والفضل وقد بينا ان افعاله
عز ذكره لا تغيره ولا تحله وانما تحدث بقوله كن فيكون و
ان بعضها يضاف اليه بالوصف الخاص اما لحاله وبما
خص به نفسه لفايدة متجددة اما للتنويه لشانه والرفع
من حاله وقد علمنا ان جملة الارواح مخلوقة له عز وجل
يخص بعضها بالاضافة الى نفسه كما خص بعض البيوت
بالاضافة الى نفسه وان كانت كلها ملكا له وفعلا للتنويه
بذكرها والتشريف والدلالة على فضلها وشرفها
فاما قوله تعالى فقال له ربه رحمك ربك حين عطس
ادم عليه السلام فقد بينا معنا مخاطبة الله عز وجل
لمن يريد مخاطبته ان يخاطبه وان ذلك تارة يكون
بالاسماع بلا واسطة ولا ترجمان وذلك نوع من التخصيص
للدلالة على شرف المكلم على هذا الوجه لانه مكلم لجميع
المكلفين بالامر والنهي وانما كلمهم بوسايط الرسل و
المبلغين له اليهم واما قوله فسبقت له من ربه الرحمة فانه
لا يصح فيها تاخر وتقدم بحدوثها به لاجل انها عندنا صفة
من صفات ذاته لم يزل بها موصوفا وانما اراد هاهنا
ما هو دلالة على الرحمة ~~التي تقال له تعالى من فعل الله جل ذكره~~
لان الكاين عن الشيء والمتعلق به قد يسمى باسمه كما يقال

التي تنالهم من قبل الله جل ذكره

لا يظهر عن قدرة الله سبحانه وتعالى من افعاله انها قدرة
الله عز وجل وتحقيق ذلك انه هو الكائن عن قدرته
كذلك ما يبدو وامن النعم عن سابق الرحمة قد يسمى
رحمة على التوسع في الكلام وقد روي في بعض الفاظ هذا الخبر
سبقت رحمتي غضبي ووجه السؤال على اصلنا انا نقول ا ان
رحمة الله صفة من صفات ذاته وكذلك غضبه ورضاه
ولا يصح فيما سبيله ذلك ان يكون مسبوقا وان يتقدم
احدهما صاحبه لان ذلك يوجب حدث المتاخر منها و
وجه الجواب عن ذلك ترتيب على النحو الذي بينا من تسمية
القضاء عن الشيء باسم لما بينهما من التعلق وكذلك و
كذلك الظاهر من نعم الله وفضله الذي سبق الى الخلق في
الدنيا ابتداء واولا عن رحمته لهم في الاول وكذلك ما ظهر
من نعمته وعفوه بانه وغضبه الذي لم يزل سبحانه توسعا لانها
عنه تكون وتحدث علما كان ذلك شايعا في اللغة لم ينكر
ان يكون معناه ان الله عز وجل ابتدا الخلق بنعمه ومننه
وعفوه وستره واخر العقوبات والجزاء على السيئات
الى العقبى والدار الاخرى فسمى ما سبق ظهوره من فعله
التنعم بهم في الدنيا رحمة وما اخره عنهم الى العقبى من العقوبة
غضبا على معنى ما ذكرنا من تسمية الشيء باسم ما يحدث و
يظهر منه ٥ وقد بينا فيما قبل تاويل الرحمة والغضب والرضا
على اصولنا وان حقيقة ذلك يرجع على اصولنا وقواعد مذاهبنا
الى ما سبق وجوده لا لمدة وتقدم كونه لا لغاية لكون
سائر المكونات من ارادة الله جل ذكره الانعام على من
علم انه ينعم عليه اذا خلقه والانتقام فمن علم انه اهل لان
ينتقم منه وما يظهر من النعم والنقم فيما لا يزال عن الرحمة والرضا
والغضب فيما لم يزل يسمى بذلك لما بينهما من التعلق وان
احدهما يسمى باسم صاحبه لانه عنه يقع وعلى حسب تعلقه بها
فيما سبق يحدث وعلى ذلك يتاول الالفاظ في الدعاء اذا قيل
اللهم ارحمنا وارض عنا من قبل ما هو من صفات الذات

لا يصح فيها الطلب والسؤال وانما يصح الطلب والسؤال
فيما طريقه طريق الفعل فيسئل ان يفعل ذلك وعلى هذا الوجه
يتاول معنا الدعاء بذلك فيقال ان المسئول بهذه الدعاء
هو المرجو ان يحدث عن رحمته ورضائه لا نفس الرحمة والرضا
ونظير ذلك ايضا في الدعاء قولهم اللهم اغفر لنا علمك
فينا وسهو ذلك علينا ونفس العلم لا تغفر وكذلك نفس
الشهادة وانما يتعلق المغفرة بالمعلوم والمشهور ٥ وعلى
ذلك ايضا يتاول قولهم رضي الله تعالى عن فلان ورحمه الله
لان ذلك ليس بخبر عن تقدم الرضا والرحمة وانما معناه
لك معنى الدعاء والطلب لان يفعل ما اذا فعله كان عن
رضاه ~~ورحمته~~ فاختصر اللفظ في الدعاء اختصارا والمعنى ورحمته صح
غير مشكل ولا ملتبس واما معنى قوله عليه الصلوة والسلام
ثم يرجع الى ربه فقال له هذه تحيتك فمعنى ذلك انه تر
الى منزلته وفي طينته وقد فسره بقوله فقال له ٥ وقيل
ان ذلك رجوع الى السؤال والخطاب وليس كل رجوع
رجوعا الى المتنقل عن المكان بل قد يكون ذلك رجوعا عن المكان
فعل الى فعل واخذ لشيء بعد شيء وعودا الى مثل ما
كان فيه بدا من طريق الفعل والحكم لا من طريق الشغل و
والتحول من مكان الى مكان ٥ ذكر خبر اخر وتاويله ٥ روى
معاوية بن صالح عن راشد بن سعد ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ان الله يطوي المظالم يوم القيمة فيجعلها
تحت قدمه الا ما كان من اجر الاجير وعقر البهيمة وفض
الخاتم ٥ تاويل ذلك اعلم انا قد بينا معنى القدم و
ذكرنا ما فيه من الاشتراك في استعمالهم في المعاني المختلفة
وليس كل ذلك هو الجارحة والبعض والعضو فقط وبينا
ان ما يسمى قدما من الجارحة فلمعنى وهو تقدمه على البدن
وان اصل معناه ماخوذ من التقديم غير ان مثل هذا اللفظ قد
اعتيد استعماله في اللغة في الامر الذي لا ينافس فيه ولا
تطالب به ويبطله ولا يجعل حكما وكذلك يقال في مثل

صح

هذا الامر الذي صفته ما ذكرنا قد جعلته تحت قدمي على معنى
ترك المناقشة عليه والمطالبة به فكانه عليه الصلوة والسلام
اراد ان يعرفنا مراتب الاعمال واقدار الجزاء عليها فان منها
ما يكون الى العفو عنه اقرب من غيره فخص بعض الاعمال بالذكر
تنويها بها انه عز ذكره لا يبطل اجرها ولا يدع المطالبة بها
زجرا عن فعلها وتاكيدا للحث على تركها لا انه اراد بذلك
اثبات عضو وجارحة لمن يستحيل ذلك في وصفه فانما
خاطبهم بما في المعهود من لغتهم والمتعارف فيما بينهم وذلك
من المثال المشهور في خطاب العرب والعجم وانهم يعبرون
بمثله عن مثل هذا المراد فيقولون جعلت هذا الامر تحت
قدمي اذا اعرض عنه ولم يطلبه ولا طالب به . وقد روي
مثله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه لما فتح مكة قام على
باب الكعبة فقال كل دم كان في الجاهلية فقد جعلته تحت
قدمي على معنى اني قد اعرضت عن المناقشة فيه والمطالبة به
. واذا كان ذلك مستعملا في اللغة على الوجه الذي بينا
كان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يطوي
المظالم تحت قدمه يوم القيمة محمولا عليه وليس هذا
الخبر مما يشكل معناه على من يعرف عادة العرب في
الخطاب حتى يسبق في وهمه الى خلاف هذا المراد حتى
يتوهم انه قدم جارحة والوطي بها كوطي الجارحة واذا
كان ذلك كذلك بان لك وجه هذا الخبر في اضافة
القدم اليه تعالى ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا بالامر الذي
يوطا بالقدم لانه اذا اراد ستره والاعراض
عنه وترك كشفه والتوقف عليه عمل به ذلك ثم
قدمك يقال للذي يشبه به على هذا المعنى اجعله تحت قدمك وجعلته
تحت قدمي توسعا وتمثيلا فاعلمه ان شا الله تعالى .
ذكر خبر اخر مما يقتضي التاويل . روى ابو هريره عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان احدكم اذا تصدق
بالتمرة من الطيب ولا يقبل الله الا الطيب يجعل ذلك

في كفه

في كفه فيربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يبلغ
بالتمرة مثل احد . تاويل ذلك اعلم ان الكف ههنا
بمعنى الملك والسلطان كما قال الاخطل . اعاذل — الكف بمعنى الملك والسلطان
ان النفس في كف مالك . اذا ما دعا يوما اجابت
به السلا . ومعنى الخبر على هذا التاويل ان الله عز و
جل يجازي المتصدق بما شاء عن الجزاء اضعافا مضاعفة
وفايدته الترغيب للصدقة وانها مما يجب ان يقصد الطيب
من المال ويخص بالانفاق ويعلم ان ذلك يجري بعلم الله
وقدرته وارادته ومشيته اي واعلموا ان الله عز وجل
هو المطلع الشاهد وللصدقات قابل لانها تقع في
ملكه وسلطانه على حسب علمه ومشيته وقد روي ان امير
المومنين عمر رضي الله عنه كان كثيرا ينشد هذين البيتين .
وهون عليك فان الامور . بكف الاله مقاديرها .
فليس باتيك منهيها . ولا قاصر عنك مامورها .
ومعنى قوله بكف الاله اي في سلطانه وملكه وقدرته و
هذا ايضا جاري في كلام العرب في تعاملهم وتعارفهم لانهم
يقولون ما فلان الا في كفي يريد بذلك انه ممن يجري عليه
ان امره وملكه وفي ذلك دليل لنا على خلاف القدرية لان
الصدقة فعل المتصدق وقد اخبر انه في كف الاله على معنى
انه في ملكه وتحت قدرته وهذا يوجب ان يكون مقدور
الله مخلوقا له . وقد تاول هذا الخبر على وجه اخر فقيل ان
الكف المراد به ههنا الاثر والنعمة واذا كان كذلك
كان معنى الخبر محمولا على احد الوجهين احدهما ان يكون
معناه ان ذلك يقع منكم بنعمة من الله في توفيقه اياكم لفعلها
ويكون معنى قوله في كف الرحمن اي به يرتفع ويحسن نماها
والطافه يكون ويحدث ثم انه يجازي من فضله من تعاطا
ومثل قول ذي الاصبع في معنى الكف الذي يراد به النعمة
. زمان به لله كف كريمة . علينا ونعماوه لهن نستر
اراد بذلك نعمة ظاهرة لله عز وجل فيه . ذكر خبر اخر

وام سلمة

في مثل هذا روى انس عن عائشة رضي الله عنهما وام سلمة
وغيرهما عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان
قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الله عز وجل يقلبها
كيف يشاء * تاويل هذا اعلم ان اهل العلم قد تاولوا
ذلك على وجوه احدها ان يكون المراد بالاصبع هاهنا — قد يراد بالاصبع الملك والقدرة
الملك والقدرة ويكون فائدته ان قلوبهم في قبضته
جارية قدرته عليها وذلك ان الله تعالى جعل القلوب
محلا للخواطر والارادات والعزوم والنيات وهي
مقدمات الافعال وفواتح الحوادث ثم جعل سائر
الجوارح تابعة لها في الحركات والسكنات حتى يقع حركا — تها
بحسب ارادة القلوب اذا كانت اختيارية لسببية
ثم اخبر ان القلوب جارية على حسب ارادة الله عز وجل
كاينة تحت سلطانه وقدرته ليستفاد بذلك ان من
كانت فواتح الامور جارية تحت قدرته وكذلك غاياتها
ونهاياتها وهذا ايضا يدل على صحة ما نقول ان افعال
الحيوان مقدورة لله وانها لا تحدث الا على حسب مشيئة
ارادة الله ومشيئته فيها فدل صلى الله تعالى عليه وسلم
بذكر القلب وكونه تحت القدرة جارية على المراد على ان
ما عداه اولى به الذي تصدر افعال الجوارح عن تقلبته
وارادته وانما مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لاصحابه قدرة القديم جل ذكره باوضح ما يعقلون بانفسهم
لان الرجل منهم لا يكون على شيء اقدر اذا كان بين اصبعيه
وذلك انهم يضربون المثل به فيقولون ما فلان الا في يدي — مثل ما فلان الا في يدي وخنصري
وخنصري يريدون بذلك انه عليه مسلط وانه لا يتعذر عليه
ان يكون على ما يريده * وقال بعض اهل العلم الاصبعين هاهنا بمعنى
النعمتين وقد ذكرنا فيما قبل ان العرب تقول لفلان على فلان
اصبع حسن اذا انعم عليه نعمة حسنة * وذكرنا قول الراعي في
ذلك وهو قوله ** ضعيف العصا بادي العروق ترى له ** عليها
اذا ما اجدب الناس اصبعا ** اي اذا ما وقع الناس في الجدب

والقحط

والقحط ترى له عليها اثرا حسنا * فان قيل وما الفصل
ما بين النعمتين اللتين يتصرف القلب فيهما قيل يحتمل ان يكون
بمعنى الدفع وذلك يشمل جميع النعم لان النعم على ضربين ظا — هرة
وباطنة فالظاهرة منهما ما ينفع المنتفعين بها والباطنة ما
دفع من وجوه الشر وصرف من عوارض المحن * واذا كان
ذلك كذلك احتمل ان يكون معنا الخبر ادنا اظهار نعم الله علينا
وانها قد سبغت وشملت ظاهرا وباطنا وخص القلوب
بالذكر لانها معظم ما في الابدان وبها وحدها تنعقد جل
* وقال بعضهم يعني اثرين من اثار الله عز وجل وفعلين من
افعاله في الفضل والعدل وقد روي في بعض هذا الخبر ما يدل
على ذلك وهو ان بعضهم قال فيه اذا شاء ازاغه واذا
شاء اقامه فاخبر ان القلوب في زيغها واستقامتها جا — رية
تحت قدرة الله وقبضته في ملكه وسلطانه وتحقيق ذلك
انه روي فيه انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعده
يا مقلب القلوب ثبت قلبي فدل على صحة ما تاولناه على
ان المعنى التوفيق والخذلان وفيه دليل على صحة مذهبنا لانه
عرفنا ان الازاغة والاقامة مما يجريان على حسب القدرة
ونفاذ المشيئة * واعلم ان لفظ الاصبع مشترك المعاني في
اللغة على الوجوه التي ذكرنا والمعاني التي رتبنا وقد يقال
للجارحة اصبع ايضا وليس مخصصا به بل يجوز ان يقال له
لغيره على الوجوه التي ذكرناها وقد قامت الدلالة واوضحنا
الحجة فيما قبل على استحالة وصف الله عز وجل بالجوارح والادو — ت
والابعاض والالات فلم يجز ان يحمل ذلك على معنى الجا — حة
لاستحالته في صفته تعالى فوجب ان يحمل على احد ما ذكرنا من
المعاني لانها تفيد المعنى الصحيح ولا تقتضي التكييف والتشبيه
الذي يتعالى الله عنه عز وجل وانما لفظ الاصبعين
والقدرة واحدة لانه جاء على طريق المثل الجاري فيما
بين الناس في مثل هذا المعنى على هذا اللفظ وهو انهم — مثل ما فلان الا بين اصبعي
يقولون ما فلان الا بين اصبعي اذا ارادوا ضرب المثل

بانه مسلط عليه قادر على ما يريد منه فحكى لفظ المثل على اللفظ
الجاري المعهود وذلك كلفظ التشبيه وكذلك شاع
ان يقال انه بمعنى القدرة وهي واحدة وان كان اللفظ
مثنيا اذ ليس يجعله معنى الاصبع معنى القدرة فيستوي العددين
وانما يتمثل بذلك والمراد به القدرة والسلطان ؛
ذكر خبر اخر مما ذكر فيه الاصبع على غير هذا الوجه مما يوهم
التشبيه ؛ عن علقمة عن عبد الله ان رجلا من اهل الكتاب
جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا ابا القاسم
ان الله تبارك وتعالى يمسك السموات على اصبع والارضين
على اصبع والجبال والشجر على اصبع والماء والثرا على اصبع ثم
يقول انا الملك الجبار قال فضحك رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم حتى بدت نواجده ثم قرا قوله تعالى وما قدروا
الله حق قدره ؛ ذكر تاويله اعلم ان هذا الخبر يحتمل في
تاويله وجوها صحيحة لا تؤدي الى اثبات الجوارح لمن يستحيل
في وصفه ذلك وهو الله جل ذكره لاستحالة كونه جسما متبعضا
متجزيا محدودا ومما يمكن ان يقال في تاويله مما لا يؤدي الى
المحال في وصفه عز وجل ان المراد به اصبع بعض خلق يخلقه
ويشهد بصحة ذلك انه لم يقل في الخبر على اصبعه بل اطلق ذلك
منكرا فاحتمل ان يكون على ما قلنا انه اريد به اصبع بعض خلقه
وليس ينكر في مقدور الله عز وجل ان يخلق خلقا على هذا الوجه
؛ وقال محمد بن شجاع البلخي في تاويل ذلك يحتمل ان يكون خلقا
من خلق الله تعالى فوافق اسمه اسم الاصبع فقال انه يحمل السموات
على ذلك ويكون ذلك للتسمية للمحمول عليه ما ذكر فيه ؛ و
ان قال قايل اليس قد ذكر في الخبر الذي رويتم قبل من اصابع
الرحمن واضيف اليه افرايتم لو انه اضاف ذلك الى نفسه
فكيف كان يكون تاويله قيل كان يحتمل ان يكون المراد به القدرة
والملك والسلطان على معنى قول القايل ما فلان الا بين
اصبعي اذا اراد الاخبار عن جريان قدرته فذكر معظم المخلوقات
واخبر عن قدرة الله تعالى على جميعها معظما لشان الرب عز و

جل

جل وقدرته وملكه وسلطانه فضحك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كالمتعجب منه انه يستعظم ذلك في قدرته
وان ذلك ليسير في جنب ما يقدر عليه ولذلك قرا عليه
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره في القدرة على ما يخلق على
الحد الذي ينتهي اليه الوهم ويحيط به الحد والحصر واذا كان ذلك
كذلك واحتمل ما ذكرنا من التاويل كان صرفه اليه اولى من
صرفه الى ما يستحيل في صفة الله عز وجل ؛ ذكر خبر اخر في مثل
هذا المعنى روى عبيد بن عمر عن ابن عمر ان الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ياخذ الجبار سماه وارضه بيديه ثم
يقبضهما ويبسطهما ويقول انا الجبار انا الملك اين الملوك
اين الجبارون اين المتكبرون ؛ ذكر تاويله اعلم ان
معنى اخذ السماء والارض بيديه يرجع الى معنى تعريف قدرته
عليها وجريان سلطانه فيهما وقبضه لهما يحتمل ان يكون
بمعنى افنائهما كقول القايل قبض الله روح فلان اليه اذا افناه
وقوله ثم يبسطهما اي ثم يعيدهما على الوجه الذي يريد والهيئة
التي يكونهما عليها وقال الله تعالى وتقدس والارض جميعا
قبضته يوم القيامة على معنى الافناء وانه يفني السموات و
الارضين بقدرته وقيل يفنيهما بيمينه اي بنفسه التي اقسم
بها انه يعيدها وقوله انا الملك اين الملوك يشهد له في
التاويل في معنى الافناء وذلك ما ذكره في قوله تعالى لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار قال المفسرون ذلك عند
افناء خلقه واماتتهم ولا يجيب احد فيجيب نفسه
لله الواحد القهار واعلم ان القبض والبسط في صفة الله
سبحانه ظاهر وقد ورد به القران وذلك يرجع الى معنى
الفعل والفعل واقع بالقدرة فيكون فايدة الخبر تعريفنا
انه القادر على القبض والبسط فتارة يقبض بعضا ويبسط
بعضا وتارة يقبض الكل ثم يبسطه فدلنا على قدرته
على القبض والبسط جملة وتفصيلا ونبه بذلك على المعاد
وانه يفني الخلق ثم يعيدهم ويميتهم ثم يحييهم ويعرفنا بجزيهم

مجرد القبض بمعنى الافناء

القبض والبسط في صفته سبحانه

ته

المعاد بدار

وصفهم وزوال املاكهم ودفعهم وانه هو الذي ينفرد به
بالملك والقدرة ولا زوال ملكه وقدرته جل شانه وعم نواله

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر خبر اخر: روى حماد بن سلمة عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرا قوله عز وجل فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا ثم قال هكذا يعني انه اخرج طرف الخنصر
قال فقال له ثابت يا ابا محمد ما تريد بهذا فضرب على صدره
وقال احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتقول
ما تريد بهذا. ذكر تاويله: اعلم ان الذي يفتقر من هذا الخبر
معنى التجلي ومعنى الخنصر فاما التجلي فمعناه في كلام العرب ظهور
الشيء والشيء قد يظهر بمعنيين مختلفين يظهر جهرة وعيانا
ويظهر بالدلالة كقول القائل تجلى لي الامر حتى عرفته و
قد تجلى الله جل ذكره للخلق بعلاماته ودلايله ويتجلى للمؤمنين
يوم القيمة جهرة وعيانا. والصحيح من معنى التجلي ههنا في
حكم الاية ان الله تعالى خلق رؤية في الجبل حتى راى ربه وذلك
بان احياه وجعله عالما رائيا ثم دكه بعد الرؤية وجعله
وقاية قطعا علامة لموسى صلى الله تعالى عليه وسلم في انه لا يراه
في الدنيا. واما قوله فاخرج طرف الخنصر فان من اهل
العلم من قال ان معناه الشيء اليسير من اياته كاشارة
المخلوقين بذلك اذا ارادوا الشيء اليسير بذكر الخنصر وضرب
المثل به لانه جعل له خنصرا والعرب تقول وتضرب بالخنصر
مثلا عند تقليله الشيء وتكون الفائدة فيه انه اظهر ما ظهر
من تزيق اجزاء الجبل الذي كان موسى عليه السلام وذلك
يسير بالاضافة الى الايات التي يظهرها الله عز وجل يوم
القيمة وكان ذلك من النوع الذي يظهر في القيامة وكان
في القلة بالاضافة اليه كطرف الخنصر. فان قيل فكيف
انكر ثابت على من ساله عن تاويله قيل يحتمل ان يكون
يوهم فيه ان يظن ان ذلك يرجع الى صفة الله او اثبات
جارحة او عضو فلذلك انكر عليه ينبهه على ان تاويله

معنى التجلي في كلام العرب

تضرب بالخنصر مثلا عند تقليل الشيء

على غير

على غير ما يتوهمه من ذكر الخنصر على معنى الجارحة. قال محمد بن شجاع
وقد روى عكرمة عن ابن عباس تجلى مثل طرف الخنصر تشبيها
بما قلنا وعليه تاولنا من ان ذلك على طريق التمثيل لا على
معنى اثبات الجارحة. وقال البلخي ان الحديث ضعيف ذكره
حماد عن ثابت ولم يروه عنه غيره من اصحابه وقال بعضهم ان
حمادا كانت له خرجة الى عبادان وان ابن ابي العوجا الزنديق
ربيبه ادخل على اصوله الفاظا واحاديث احتملها في اخر عمره
فرواها بغفلة طرات فيه. ذكر خبر اخر مما يوهم التشبيه:
روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قرا قوله جل ثناؤه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
الى قوله تعالى ان الله كان سميعا بصيرا قال فوضع ابو هريرة
ابهامه على اذنه والتي تليها على عينه وقال هكذا سمعت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقراها ويضع اصبعه هكذا
فزعمت المشبهة انه اراد ان لله عينا واذنا وكلها وضع
يده على عينه واذنه. ذكر تاويل ذلك: اعلم ان العين
والاذن اذا كان بمعنى الجارحة فلا يصح ان يكون الا للاجسام
المؤلفة والاجزاء المركبة وقد بينا فيما قبل ان القديم سبحانه
لا يصح ان يكون جسما ولا ذا اجزاء والة وجارحة واستحال
ان يكون المراد به اشارة الى العضو والجارحة وانما المراد بذلك
تحقيق السمع والبصر وان الله عز وجل يرى المرئيات برؤيته
ويسمع المسموعات بسمعه فاشار الى الاذن والعين
تحقيقا للسمع والبصر لانهما محل السمع والبصر وقد يسمى
محل السمع باسم ما يليهما من المجاورة والعرب وهذا
كما قال عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين
لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها والمراد بذلك ما
في القلوب من العلوم والعقول لما لم يستعملوها في التوصل
الى الحق ولم يعملوا فكرهم ونظرهم في تعرف الحق وكذلك
لما لم يستمعوا الحق ولم يسمعوه سمع قبول صاروا كانهم
لا اسماع لهم ولذلك وصفهم في اية اخرى بانهم صم بكم

فرواها بدل

بيه

فهمه
عمي لما تعاموا عن قبول الحق وتصاموا عن فهمه وسماعه
واذا كان الاذن والعين محل السمع والبصر فينا واراد
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحقيق الوصف لله عز وجل
بالسمع والبصر اشارة الى نفس المحل ومثل هذا في الكلام
قول القايل قبض فلان على مال فلان فيقبض بيده يشير
الى انه حاز ماله لا انه فعل كذلك بل يريد تحصيل المقبوض المقبوض
وايضا ان هذا الخبر افاد ان وصف الله عز ذكره بانه سميع
بصير لا على معنى وصفه بانه عليم كما ذهب اليه بعض اهل
النظر فلم يثبتوا لله جل ذكره في وصفنا له بانه سميع معنى خاصا
وفايدة زايدة على وصفنا له بانه عليم واذا كان كذلك
فافادنا صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك تحقيق معنى
السمع والبصر وعلى الوجه الذي معناه على معنى العلم ابطالا
لقول من ذهب الى هذا التاويل في معنى العلم ولو كان
معنا الوصف فيه بانه سميع معنى الوصف فيه بانه عليم لكان
يشير الى القلب الذي هو محل العلم لينبه بذلك على معنى
انه سميع بصير انه عليم فلما اشار الى العين والاذن وهما
محلان للسمع والبصر وبين العلم وبين فايدة الوصفين
على الاختصاص على ان العين والاذن ليس مما يبصر به و
يسمع وانما يسمع ويبصر بالسمع والبصر اللذين يكونان في
الاذن والعين الا ترى انه تكون عينا ولا يكون بصر و
اذن صحيحة ولا يكون سمع فعلم ان المقصود ليس هو اثبات
الجارحة التي لا مدح في اثباتها بل المقصود اثبات الصفة
التي بها يكمل الوصف بالمدح والتعظيم وان الاشارة في
ذلك راجعة الى الاستبعاد مما في العين والاذن من
السمع والبصر لا الى نفس العين والاذن والعرب تقول كثيرا
ما فلان الا شمس وقمر وبدر وانهم يريدون بذلك التمثيل
بوجه دون وجه وفي هذا المعنى قال النابغة ∴ فانك
شمس والملوك كواكب • اذا طلعت لم يبد منهن كوكب
∴ وكذلك قال الاخر ∴ النشر مسك والوجوه دنانير

واطراف

واطراف الاكف عنم ∴ ولم يرد بذلك انه عين المسك
وانما شبه النشر بالمسك لطيب الرايحة واصاف الاكف
بالعنم للاحمرار والرطوبة والنعمة لا غير ذلك فكذلك
اشارته صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاذن والعين لتحقيق
كونه سميعا بصيرا لا لاثبات جارحة لاستحالة الجوارح على
الله جل ذكره ومثل هذا الخبر ما روي في خبر اخر انه قال صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الدجال اعور وان ربكم ليس باعور و
معنا هذا الخبر ايضا تحقيق وصف الله عز وجل بانه سميع
وانه لا يصح عليه النقص والعمى ولم يرد بذلك اثبات
الجوارح وانما نفى النقص لان العور نقص وقد ذكرنا انه
لا مدح في اثبات الجوارح بل اثباتها لله سبحانه مستحيل و
وصفه به يودي الى القول بنفيه وحدثه بالوجوه التي
تقدم بيانها قبل ∴ ذكر خبر اخر في التجلي وتاويله
• روى يحيى بن ابي كثير عن عكرمة عن ابن عباس ان الله
تعالى اذا اراد ان يخوف اهل الارض ابدى عن بعضه
واذا اراد ان يدمر عليهم تجلى لها ∴ تاويل ذلك اعلم
انه يحتمل ان يكون المراد بقوله ابدى عن بعضه اي عن بعض اياته
وعلاماته مما يكون منذرة ومحذرة ومخوفة كما قال تعالى
وما نرسل بالايات الا تخويفا وقوله واذا اراد ان يدمر
عليهم تجلى لها يحتمل ان يكون المراد به انه اذا اراد ان يهلكهم
ويستاصلهم اظهر من الايات اكثر مما اظهرها في الاول
حتى لا تستقر قلوبهم عليها وقد بينا فيما قبل معنى التجلي وان
ذلك ينقسم الى وجهين فتارة يكون تجلي بالذات
كما تجلى للجبل بان [illegible] الجبل فتدكدك وتقطع و
تارة وتجلى للخلقة بافعاله وذلك باظهار اياته [illegible]
للعادات وعلاماته المزعجة للقلوب والانفس فسمى اظهار
ذلك تجليا وذلك شايع في اللغة على الوجهين جميعا كما
قال القايل ∴ تجلى لنا بالمشرفية والقنا ∴ يعني بالسيوف و
والرماح واراد ظهور القوم بالحرب عليهم وفيهم واما معنى

بان ارى نفسه بدل

التجلي فهو الظهور وكذلك يقال جلوت العروس اذا اظهرتها
وابرزتها ومنه قول القائل ٭ فان الحق مقطعه ثلاث
او نفار او جلاء ٭ اي ظهور وبروز ومنه الانجلاء عن
الاوطان بالظهور منها والخروج واذا كان هذا شايعا
في اللغة كان الواجب ان يكون محمولا عليه لاستحالة وصف
الله تعالى بالكل والبعض والجزء وذا الشيء والمراد به غيره شايع
في اللغة فيقول القائل بنو فلان يطاهم الطريق والمراد اهل
الطريق المارون فيها والعرب تقول اجتمعت اليمامة ويريدون
بذلك اهلها وقال الله عز وجل واسئل القرية واراد اهلها
واذا شاع ذلك كان قوله ابطا عن بعضه محمولا على هذا
النوع انه ابطا عن بعض اياته وعلاماته من الافعال المنذرة
المخوفة ٭ ذكر خبر اخر وتاويله ٭ روي عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ان اعرابيا جاء اليه وعليه ثياب رثة فجعل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصعد النظر فيه ويصوبه
ثم قال الك مال فقال نعم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان
الله سبحانه اذا انعم على عبد يحب ان يرى اثر نعمته عليه ثم روى
له حديث طويل الى ان وصف النحيرة التي كانت العرب
ينحرها وتشق اذنها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم ساعد الله اشد من ساعدك وموساه احد من
موساك ٭ ذكر تاويل ذلك ٭ اعلم ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لما خاطب العرب على لغتها وبالمفهوم من خطابها
على عادتها الجارية فيما بينهم والعرب تقول عند وصف
الرجل بالقدرة والقوة عند انفاذ الامور فعلت ذلك
بساعدي وبقوة ساعدي ولا يريدون بذلك اثبات
الساعد دون الوصف بالقدرة والقوة الا ترى ان الرجل
اذا قال جمعت هذا المال بقوة ساعدي انما يريد انه جمع بالآ
رائه وتدبيره وقوته دون المباشرة بالساعد والغرض
من هذا الكلام معلوم والخطاب له مستقيم والمعنى مفهوم
وكذلك قصد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ساعد الله

بمعنى جمعت هذا المال لقوة صدي

اشد

اشد من ساعدك اي امره اشد من امرك وقدرته
اتم من قدرتك على القدرة التي عرفت العرب في خطابها
اذا تكلمت بمثل هذا الخطاب لا على اثبات الساعد
التي هي بمعنى الجارحة للقديم جل وعز وهذا نظير ما ذكرنا
فيما قبل ان العرب تسمي محل الشيء باسم ما فيه من طريق العرف
كما سميت البصر عينا والسمع اذنا كذلك تسمي القدرة ساعدا
اذ الساعد محل القدرة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
وموساه احد من موساك فهذا يحقق ما ذكرنا من التاويل في
ان المراد به التمثيل في تحقيق الوصف بالقدرة لا اثبات الجارحة
لان الموسى لما كان آلة للقطع وكان مراده عليه الصلوة و
السلام ان قطعه اسرع من قطعك عبر عن القطع بالموسى اذ
كان سببا له على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم ما جاوره
ويقرب منه ويتعلق به واذا كان كذلك كان تاويل الخبر
محمولا عليه وليس لاحد ان يقول هلا حملتم ما وصف نفسه
به من اليدين في قوله بل يداه مبسوطتان وخلقت بيدي
على القدرة كما حملتم الساعد عليه لاجل ما تقدم ذكره من البيان
وان حمل ذلك على القدرة يبطل الفايدة في الاحتجاج على
ابليس من حيث انه مخلوق بالقدرة كادم عليه السلام و
انما ذكر الله تعالى في ذلك حكاية خطابه على طريق التفضيل
لادم عليه السلام على ابليس في قوله تعالى ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي وليس كذلك ما ذكر في هذا الخبر من الساعد
لانه ان حمل على معنى القدرة لم ينقص اصلا ولم يبطل فايدة و
بل امره اظهر في انه اراد به القدرة وكذلك قال وموساه
احد من موساك ٭ ذكر خبر اخر وتاويله ٭ روى عطا بن ابي
رباح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم اذا قام العبد الى الصلاة فانه بين عيني الرحمن فاذا
التفت قال له الرحمن جل ذكره الى من تلتفت الى من هو خير
لك اقبل الي انا خير لك ممن تلتفت اليه ٭ ذكر تاويله
اعلم ان العين في كلام العرب تستعمل على معان كثيرة منها ما

والحدة

للعين معانٍ كثيرة

يراد به المشاهدة والرؤيا ومنها ما يراد به الحفظ والكلاءة ومنها
ما يراد به الجودة ومنها ما يراد به الدلالة ومنها ما يراد به الجارحة
واما ما يراد به المشاهدة كقول القائل انت على عيني وضع
لهذا المتاع على عينيك اي على مرآتك ومشاهدة
واما ما يراد به الحفظ والكلاءة فهو في قولهم انت بعين
الله اي انت في حفظه وكلائته وقيل في قوله تعالى
واصبر لحكم ربك وانك باعيننا الآية اي في حفظنا
وكلائتنا واما التي يراد بها الدلالة ففي قولهم عين القوم
اي دليلهم واما التي بمعنى الجودة ففي قولهم هذا
عين المال وهذا عين المتاع وهذا عين القلادة اي
جيده والمختار منه واما العين التي بمعنى الجارحة فظاهر
المعنى في الاستعمال لانهم يقولون عين الركبة وللحدقة
عين واذا كان لفظ العين مشتركة بين هذه المعاني
المختلفة وكان وصف الله تعالى بالجوارح مستحيلا وجب
ان يكون محمولا على بعض هذه المعاني التي ذكرناها في
معنى العين وذلك انه ان حمل على ان المراد به الحفظ
والكلاءة كما قال في قوله تعالى فانك باعيننا وفي قصة
سفينة نوح عليه السلام تجري باعيننا لم يكن ذلك
منكرا وكان معناه ان الله عز وجل موفق للمصلي حافظا
له وانه بحفظه وكلائته حين وفقه للصلاة ووقيه
عن المعصية من تركها كان بعينه على معنى انه تحت حفظه
ورعايته ومعنى تحقيق ذلك ان ما ذكر في الخبر يدل عليه
من قوله عز وجل انا خلفك من الذي تلتفت اليه لان في
ذلك واعظا له من نفسه وتنبيها له من ربه يذكره عن
الاغفال ويدعوه الى الاقبال وهذا علامة الحفظ والكلاءة
من قبل الله جل ذكره واذا قلنا ان المراد بالعين البصر فانه
قد يسمى البصر عينا لاجل انه مما يتعلق به ويقوم به فيكون
المراد ان المصلي بمرأى من الله تعالى ومشهد يراه ويراعيه كانه
ويسمع كلامه ويشهد قلبه ويكون الفائدة فيه الترغيب

في التحفظ

في التحفظ في الصلوة ودوام الجوارح للخشوع والحضور
بالقلب والتنبيه على رؤية المشاهدة والهيبة والاجلال
لمن يصلي له ويناجيه في صلاته وبقرائته وذكره وتسبيحه
واذا قلنا ان المراد بالعين الجودة والخيار من الشيء
فيحتمل ان يكون المعنى فيه ان المصلي ممن اختاره الله
من بين خلقه لعبادته وخدمته في ان وفقه الله في الصلاة
له فهو عين من عيونه وولي من اوليائه ومختار من خلقه وقيل
في تاويل قوله جل ذكره واصنع الفلك باعيننا كلا الوجهين
اي بحفظنا وكلائتنا وحيث بعلم وشهد وقيل في قوله جل
ذكره ولتصنع على عيني الامران جميعا ايضا وكل ذلك محتمل
واما قوله تعالى تجري باعيننا فقد ذكره بعض اهل التفسير ان
المعنى باوليائنا وخيار خلقنا لانهم كانوا هم المؤمنين في
وقت نوح عليه السلام وقال بعضهم اراد بذلك اعين الماء
التي اخرجها الله من الارض وقال بعضهم المعنى انها تجري بمرأى ثنا
ومشهد في حفظنا وكلائتنا لا يلحقها آفة ولا يعترضها نقص
لاجل حفظ الله تعالى لها ولمن فيها واعلم ان استعمال لفظ
العين في النظر توسع لما ذكرنا ان تسمية الشيء باسم محله
وباسم ما هو قائم به وان ذلك شائع في اللغة وقد
اختلف اصحابنا فيما يثبت الله تعالى من الوصف له بالعين
فمنهم من قال ان المراد به البصر والرؤية ومنهم من قال ان طريق
اثباتها كسمع انه سميع وسبيل القول فيها كسبيل القول في اليد
والوجه وقد مضى بيان ذلك عند ذكر تاويل اليد واذا
كان لفظ العين مشترك المعنى محتمل التاويل ولا انه يختص
امرا واحدا هو جارحة فقط لما ذهبت اليه المشبهة فقد بان
الصحيح في وصف الله سبحانه احد ما ذكرناه لاحتمال اللفظ
وجواز ذلك في وصفه تعالى واستحالة وصفه بالجارحة
والبعض والآلة تعالى عن ذلك علوا كبيرا ذكر خبر آخر مما
يقتضي التاويل روى مالك عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم رأى بصاقا في جدار القبلة

لحكمة ثم اقبل على الناس فقال اذا كان احدكم يصلي فلا
يتصوّتن قبل وجهه فان الله تعالى قبل وجهه اذا صلى ؞ ومثله ما
هو قريب من معناه ما رواه ابن المسيب عن ابي ذر
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يزال الله سبحانه
مقبلا على العبد ما لم يلتفت واذا صرف وجهه انصرف عنه
ذكرنا دليله ؞ اعلم ان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
سبحانه قبل وجهه يحتمل وجوها احدها ان يكون معناه ان
ثواب الله لهذا المصلي ينزل عليه من قبل وجه هذا المصلي و
مثله قوله عليه الصلوة والسلام يجي القران بين يدي صاحبه
يوم القيمة اي يجي ثواب قراءته للقران العظيم وقد روي
ايضا في الخبر من انه من قرا ثلث القران اعطى ثلث النبوة
والمعنى فيه انه اعطى علم ثلث النبوة ومثله ايضا قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم من عال ثلث بنات كن له حجابا من النار
وقال جويرية قدم عمر رضي الله تعالى عنه مكة فجعل يطوف في
السكك ويقول قموا فنيائكم فمر بابي سفيان فقال له
ذلك فقال له الم اقل قموا افنيتكم فقال نعم حتى يجي مهاننا
يعني خدمنا واحدها مهان وهو الخادم قال فعلاه بالدرة
فخرجت فقالت انتضربه اما والله لرب يوم لو ضربته
لاقشعرت لك بطن مكة فقال صدقت والله ولكن
الله رفع بالاسلام اقواما ووضع اقواما فقولها اقشعر
لك اهل بطن مكة وهذا كما ذكرنا من قول اهل اللغة انهم
يقولون جاءت تميم والازد ويريدون ابناءهم ويقولون
جاءت اليمامة ويريد اهلها وهذه طريقة للعرب ظاهرة
في خطابها فيحتمل على هذا الوجه ان يكون معنى قوله عليه
الصلوة والسلام فان الله قبل وجهه اذا صلى اي ثوابه
وكرامته ويحتمل ايضا ان يكون معنا الخبر على الترغيب في
ادمان الخشوع في الصلاة والحض عليها يريد صلى الله تعالى
عليه وسلم ان اولى الاشياء بالمصلي ان يكون شغل قلبه ذكر
الله تعالى وذكر عظمته وعزته وقدرته فيكون المعنى ان ذكر

قال نعم حتى يجي مهاننا قال
ثم مر به بعد ذلك صح

المهان الخادم

عظمة الله

عظمة الله وعزته يجب ان يكون تلقاء وجهه على معنى انه
يجب ان يكون تلقاء وجهه على معنى انه يجب ان يكون شغله
بها وبذكرها وتجديد احضارها القلب حتى يشغله ذلك
عن غيره ويحتمل ايضا ان يكون ضربا من اداب الصلوة
علمه المصلي حتى يكون في صلوته متحرجا منها معظما لامرها
وللجهة التي استقبل اليها خاصة تعظيما لامر الله سبحانه تعالى
فلذلك لا يبصق قبل تلك الجهة وعلى هذا يكون تقدير
قوله فان الله قبل وجهه اذا صلى اي ان امره قد توجه عليه
في تعظيم الجهة التي توجه اليها فيجب الا يعدل عنها بشي
من جسده ولا بشي من قلبه وانما معنى قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم لا يزال الله سبحانه مقبلا على عبده ما لم يلتفت
يعني في الصلوة فيحتمل ان يكون المعنى فيه لا يزال خيره مقبلا
عليه كما تقول القايل ان الامير اقبل على فلان اذا اقبله و
قربه وانا له خيره وقوله واذا صرف وجهه انصرف عنه
اي انصرف خيره وثوابه كما يقول القايل ان الامير صرف
وجهه عن فلان اذا قطع خيره عنه ولم يحسن اليه في المستانف
كما احسن اليه فيما سلف وهذا كقول القايل ؞ وكنا
اذا الجبار صعر خده ؞ اقمناه من ميله فيقوما ؞ اي
امال خده بان قطع عطيته ونظره لا انه يريد بذلك الخد
المعروف ويحتمل ان يكون المعنى فيه لا يزال توفيق الله تعالى
بالعبد ولطفه واصلا اليه ما لم يعرض واذا اعرض فقد
اعرض الله سبحانه عنه بفعل اعادة اللطف فيه وهو معنى
قوله انصرف عنه كما قال الله عز وجل ثم انصرفوا صرف الله
قلوبهم والمعنى في ذلك انه لما صرف الله قلوبهم عن الخير
بقطع التوفيق واللطف انصرفت قلوبهم عن الخير وهذا مبني
على اصلنا في انه لا ينصرف احد عن الطاعة الا بصرف الله
عز وجل وذلك بان لا يفعل له توفيقا ولطفا يصل به الى فعل
الخير وعلى ذلك يتاول قوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم اي لما زاغوا في علمي وحكمي ازغت قلوبهم لما احدثتهم

نف

لا ينصرف احد عن الطاعة
الا بصرف الله تعالى

وخلقهم. واعلم ان الذي اوجب ان يحمل التأويل في ذلك على ما قلنا لاستحالة وصف الله تعالى بالكون في جهة ومحاذاة ومقابلة لاستحالة كونه جوهرا او جسما واذا اتسع اللغة هذه الطريقة التي حملنا عليها هذا الكلام وكان معتقد على جهته كان حمله عليه اولى من وصف الله تعالى بما لا يليق به. ذكر خبر اخر مما يقتضي التأويل روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ثلثة لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر. وروى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الذي يجر ازاره خيلا لا ينظر الله اليه يوم القيمة. ووجه السؤال في هذا الخبر هو ان يقال اذا كان الله لا يصح ان يوصف بالنظر فما فائدة قوله ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم. والجواب عن ذلك ان النظر في كلام العرب ينصرف على وجوه منها نظر العيان ومنها نظر الانتظار ومنها نظر الاعتبار ومنها نظر التعطف والرحمة فمعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينظر الله اليهم اي لا يرحمهم والنظر من الله تعالى لعباده انما هو رحمته لهم ورأفته بهم وعائدته عليهم ومنه ما يقول القائل لغيره انظر الي نظر الله اليك اي ارحمني رحمك الله ويقال ايضا انظر الي بمعنى تعطف علي ويقال ايضا في الدعاء انظر الينا نظرة برحمتك ترحمنا بها وروى في خبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله في خلقه كل يوم ثلثمائة وستون نظرة يخفض فيها ويرفع ويعز ويذل والمراد في هذه النظرات ما يجدد في كل حال من تغيير الشؤون والاحوال واما وصف الله تعالى بانه ناظر فلا يصح على معنى الرؤية من قبل ان النظر الموجه في اللغة واذا كان بمعنى الرؤية والعيان وانه لا نسمي الباري سبحانه الا بما سمى به نفسه او سماه به رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم او اتفقت عليه الامة وقد ورد الكتاب بانه رائي بصير وانه يرى ويبصر ولم يرد بانه ينظر

فلذلك

ثلثة لا ينظر الله اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر

ان للنظر في كلام العرب معان كثيرة

لا يوصف الله بالنظر بمعنى الرؤية

فلذلك لا يوصف بالنظر على معنى الرؤية ويوصف بالنظر على معنى التعطف والرحمة وعلى ذلك يتأول قوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى قوله ولا ينظر اليهم اي لا يتعطف عليهم ولا يرحمهم. ولا يجوز ان يوصف رؤية الله عز وجل بانها نظر كما لا يوصف بانه ناظر على معنى انه رائي وكذلك لا يجوز ان يوصف بان له رؤية بعد رؤية كما لا يوصف بان له علم بعد علم فما وصف به من تكرر النظرات وتكثيرها فذلك يرجع الى معنى النظر الذي هو العطف واللطف والفضل والرحمة وذلك نوع من الفعل يجوز فيها طريقه طريق صفات الذات ان تكرر وتعدد وتكثر. سؤال. فان قال قائل اليس قد روي في الخبر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكنه ينظر الى قلوبكم فما معنى هذا النظر. قيل يحتمل ان يكون معنى هذا النظر الاحتساب والاعتداد اي انه لا يعتد بما يظهر على ظواهركم اذا لم يكن موافقة لبواطنكم وهذا كقول القائل فصديق فلان ما نظر الي اي لم يقع قصدي عنده موقعا اعتد به واحتسبه وانما كان كذلك لان الاعمال الظاهرة منوطة بصحة السرائر والاخلاص في النيات ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الاعمال بالنيات وان لكل امرئ ما نوى ها
يريد بذلك ان النية هي المصححة للاعمال وانها مع فقدها لا يقع موقع القبول والاجزاء. سؤال. فان قال قائل اليس ايضا قد روي في الخبر ان الله تعالى لم ينظر الى الدنيا منذ خلقها فما معنا ذلك. قيل قد بينا فيما قبل ان النظر الذي هو بمعنى الرؤية لا يقع فيه الاختصاص وانه تعالى هو الرائي لكل مرئي لا على طريق الاختصاص ولا يوصف بالنظر على معنى الرؤية من طريق اللفظ والعبارة لاجل ان السمع لم يرد به فاما الذي يوصف به من ذلك على لفظ النظر نفيا واثباتا فانما هو على معنى التعطيف والرحمة او تركها

او بمعنى القبول او ترك القبول على الوجه الذي ذكرنا في قولهم
فلان ما نظر الى فلان اذا ارادوا انه لم يعتد به ولم يكن
له عنده قدر وعلى ذلك يحمل معنى هذا الخبر لان الله تعالى لما خلق
الدنيا للفناء والزوال وحث على الزهد فيها وترك الاشتغال
بها في وصفه على هذا المعنى انه لم ينظر اليها اي لم يجعل قدرها
ولا قدر من ركن اليها وهذا يرجع في التحقيق الى منعه لطفه
المشتغلين بها المفرطين عن علم الآخرة لان ما وصفت
به من النظر على هذا الوجه راجع الى معنى التعطف والرحمة
وفعل الفضل واللطف لاهله ويكون حقيقته ان المشتغلين
بها المعرضين عن الطاعة قد حرموا من اللطف والتوفيق
من عنده ما عند حرمانه اعرضوا عن الطاعة واشتغلوا
بالمعصية وعلى ذلك يترتب ما وصف به الله تعالى وسبحانه
من النظر في قول القائل نظر اليه ولم ينظر اليه ⁂ ذكر
خبر آخر وتاويله روي في الخبر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال اطلقوا من العمل ~~ما تطيقون~~ ما تطيقون فان الله
~~تعالى~~ لا يمل حتى تملوا تاويل ذلك اعلم ان ما وصف
الله تعالى عز وجل بالملل على معنى السآمة وان استثقال الشيء
على معنى نفور نفسه عنه محال لان ذلك تقتضي تغيره وحلول
الحوادث فيه وذلك غير جائز في وصفه جل وعز شانه ولهذا
الخبر تاويلان من التاويل احدهما ان يكون معناه ان الله تعالى
لا يغضب عليكم ولا يقطع عنكم ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهدوا
في سؤاله والرغبة اليه فسمى الفعلين مللا تشبيها بالملل
وليست بملل على الحقيقة ⁂ والوجه الثاني ان يكون معناه ان
الله تعالى لا يمل اذا مللتم ومثل هذا قولك في الكلام ان
هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل وليس المراد بذلك انه
يفتر اذا فترت الخيل ولو كان المراد هذا ما كان له فضل
عليها لانه يفتر معها فاي فضيلة له ⁂ وانما المراد بهذا المثل
انه لا يفتر وان فترت الخيل وكذلك يقول القائل للرجل
البليغ في كلامه الا ان في خصومته فلان لا ينقطع حتى

ينقطع

اطلقوا من العمل ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا

ينقطع خصومه يريد بذلك انه لا ينقطع اذا انقطعوا ولو
اراد انه ينقطع اذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل
على غيره ولا وجب له مدح وقد جاء مثل ذلك في كلامهم
وفي الشعر ايضا قال قائلهم ⁂ صليت منا هذيل بحرب
لا نمل الشر حتى يملوا ⁂ لم يرد انه يمل الشر اذا ملوا ولو
اراد ذلك ما كان له فيه مدح لانه حينئذ يكون مثلهم بل اراد
لا نمل الشر وان ملوا خصومه فعلى هذا يكون معنى الخبر ان الله
جل ذكره لا يترك الاحسان الى عبيده وان تركوا طاعته
وقصروا فيها لان الله جل ذكره لا يوصف بالملل على
الحقيقة ⁂ ذكر خبر آخر وتاويله روي ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
⁂ ذكر تاويله اعلم انه لا يجوز ان يوصف الله عز وجل بانه
دهر او انه الدهر على الحقيقة وانما هذا مثل واصله ان العرب
في الجاهلية كانت تقول اصابني الدهر في مالي بكذا او نالتني
قوارع الدهر ومصايبه فيضيفون كل حادث يحدث مما
هو جاري بقضاء الله وقدرته وخلقه وتقديره في مرض
او صحة او غنا او فقر او حيوة او موت الى الدهر ويقولون
لعن الله هذا الدهر والزمان ولذلك قال قائلهم ⁂
امن المنون وريبها تتوجع ⁂ والدهر ليس بمعتب من يجزع
وقد يسمى الدهر ايضا عندهم المنون لانه جالب المنون
عندهم والمنون المنية وروى بعضهم هذا البيت امن المنون
وريبه تتوجع كانه قال امن الدهر وريبه تتوجع والدهر ليس
بمعتب من يجزع ⁂ وقال الله سبحانه نتربص به ريب المنون
اي ريب الدهر وحوادثه وكانت العرب تقول لا القاك
اخر المنون اي آخر الدهر وقد اخبر الله تعالى عن اهل الجاهلية بما
كانوا عليه من نسبة اقدار الله وافعاله الى الدهر فقال وقالوا
ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر فقال
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسبوا الدهر اي اذا اصابتكم
المصايب فلا تنسبوها اليه فان الله هو الذي اصابكم

لا تسبوا الدهر
فان الله هو الدهر

بها لا الدهر وانكم اذا سببتم الدهر وفاعل ذلك ليس
هو الدهر وقع السب على فاعل ذلك وهو الله تعالى • الا ترى
ان الرجل منهم اذا اصابته جائحة في مال او في ولد او بدن
سب فاعل ذلك وتوهمه الدهر فكان المسبوب هو
الله تعالى عز ذكره • ومثاله في الكلام ان يكون الرجل يسمى
زيدا وله عبد يسمى بكرا فامره ان يقتل رجلا فقتله
فسب الناس بكرا ولعنوه فقال لهم قائل لا تسبوا
بكرا فان زيدا هو بكر اي يريد زيدا هو القاتل لان الذي امره
هو حتى كانه هو الفاعل كذلك الدهر يكون فيه المصائب
والنوازل وهي باقدار الله عز وجل فسب الناس الدهر
لكون المصائب فيه وليس للدهر صنع فيقول القائل لا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر وزعم بعض اهل العلم ان هذا
الحديث قد اختصره بعض الرواة وغيروا معناه عن جهته
لان في الحديث كلاما اذا ذكر تاويله وقد روى الزهري
عن ابن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم بسب الدهر
فانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار وانا الدهر • وقد روي هذا الحديث
بهذا الشرح فبان ان التاويل على ما ذكرناه • وقد روي
قوله وانا الدهر على وجهين احدهما بفتح الراء من الدهر و
يكون معناه انه جعل ذلك وقتا للفعل المذكور ويرجع معناه
الى اني انا الباقي ابدا المقلب الاحوال التي تتغير بها
الدهر وقد روي ايضا بضم الراء واذا روي ايضا على هذا
الوجه يكون معناه ما تقدم اي انا المقيت للدهر و
المحدث للحوادث فيه لا الدهر كما يتوهمون ويكون فايدته
تكذيب لمن اقتصر على الدهر والايام والليالي في حدوث
الحوادث وتغيرها من الملحدة والزنادقة وتحقيقا لانه تعالى
جل ذكره الفاعل لجميع الحوادث المدلول بها لا مرور الليالي
والايام وان الايام والليالي ظرف للحوادث لانه يحدث به
او فيه شيء • ذكر خبر اخر مما يقتضي التاويل • روي في الخبر ان

النبي

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال عقيب كلام ذكره
مما لا يقتضي تاويلا ولا يوهم تشبيها وان اخر وطئة وطئها
الله تعالى بوج • ذكر تاويله • اعلم ان الوطأة التي هي بمعنى
المماسة جارحة بجارحة او تبعض الاجسام فلا يصح في
وصف الله تعالى لاستحالة كونه جسما واستحالة المماسة
عليه واستحالة تغيره بما يحدث فيه من الحوادث واذا كان كذلك
كان معناه محمولا على ما تقدم ذكره في ان ذلك يرجع الى
الفعل دون ان يكون معنى يتعلق بالذات مما يقتضي
حدوث معنى فيها ومعنى الحديث على هذا التأويل ان اخر
ما اوقع الله تعالى سبحانه بالمشركين بالطائف فكان
اخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحنين
وادي الطائف ووج اسم موضع فيه وكان سفين بن (في الهامش: ل ووج اسم موضع في وادي الطائف)
عيينة يذهب في تاويل هذا الحديث الى نحو مما ذكرنا ويقول
ان ذلك مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشدد
وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسني يوسف
فتتابع القحط عليهم سبع سنين حتى اكلوا القد والعظام (في الهامش: القحط)
والعرب تقول في كلامها اشتدت وطأة السلطان على
رعيته وليس يريدون بذلك وطء القدم وكذلك يقولون (في الهامش: ن)
وطئهم السلطان وطأ ثقيلا ويقال وطأة المقيد اذا اراد (في الهامش: وا)
وصف الوطء بالثقل ولذلك قال قائلهم • ووطئتنا
وطأ على حنق • وطء المقيد نابت الهرم • والهرم نابت
الهرم والمقيد اثقل شيء وطأ لانه يرسف في قيوده فيضع (في الهامش: فيضع له)
رجليه معا والهرم نبت ضعيف فاذا وطأه المقيد فتته
واذا كان هذا شايعا في العرف جاريا وجب ان
يحمل عليه معنى الخبر لاستحالة وصف الله تعالى بالجوارح و
المماسات • ذكر خبر اخر مما يقتضي تاويلا • روى جابر
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اهتز العرش (في الهامش: اهتز العرش لموت)
لموت سعد بن معاذ وقد روى ابو الزبير عن جابر (في الهامش: سعد بن معاذ)
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قصة الجنازة انه قال

اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ ٭ ذكر تاويله ٭
اعلم ان بعض اهل العلم ذهب في تاويل هذا الحديث
الى ان ذلك اهتزاز العرش على الحقيقة لموت سعد
ولسنا ننكر هذا التاويل لاجل ان العرش يجوز عليه الحركة
ولكن يبطل فائدة الخبر وانما اخبر بهذا فضيلة لسعد
رضي الله تعالى عنه ولا فضيلة في تحريك السرير والصحيح
من التاويل ان يقال الاهتزاز هو الاستبشار والسرور و
يقال ان فلان يستبشر للمعروف ويهتز له ومنه قيل في المثل
ان فلانا اذا دعي اهتز واذا سئل ارتز والكلام لابي الاسود
الدؤلي والمعنى فيه انه اذا دعي الى طعام ارتاح واستبشر
واذا دعي لحاجة ارتز اي نقبض ولم ينطلق ومنه قول الشاعر
وتأخذه عند المكارم هزة كما اهتز عند البارح الغصن
الرطب ٭ فمعنى الاهتزاز في هذا الحديث الاستبشار و
السرور واما العرش فعرش الرحمن على ما جاء في الخبر و
المعنى في ذلك ان حملة العرش الذين يحملونه ويطوفون حوله
فرحوا بقدوم روح سعد عليهم واقام العرش مقام من يحمله
ويطوف به من الملائكة كما قال تعالى وتقدس فما بكت عليهم
السماء والارض الاية يريد اهل السماء واهل الارض وكما
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في احد هذا جبل يحبنا
ونحبه يريد يحبنا اهله ونحب اهله يعني الانصار وقد جاء في الحديث
ان الموتى يستبشرون بارواح الموتى وان لكل مومن بابا من
السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ويعرج فيه روحه اذا نام
او اذا مات فكان حملة العرش من الملائكة يفرحون ويستبشرون بقدوم
روح سعد عليهم لكرمه عند الله وحسن عمل صاحبه واعلم ان
هذا الخبر ليس مما يرجع شيئا منه الى صفات الله عز وجل ولكنه
مشكل اللفظ فدخل في جملة ما ضمنا تاويله وتفسيره من مشكل
الحديث والاخبار ٭ ذكر خبر اخر وتاويله ٭ روى عقبة بن عامر
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو جعل القران
في اهاب ثم القي في النار ما احترق ٭ تاويل ذلك ٭

الاهتزاز هو الاستبشار والسرور
مثل
ان فلانا اذا دعي اهتز واذا سئل ارتز

اعلم

اعلم ان الناس اختلفوا في تاويل هذا الخبر على وجوه فقال بعضهم
ان معناه من من الله تعالى عليه بحفظ القران العظيم ٭
وقاه عذاب النار وقد روي عن الاصمعي ذلك واحتج
لذلك بحديث ابي امامة ان الله سبحانه لا يعذب قلبا و
عاء القران ٭ وقال بعضهم ان القران لو كتب في جلد ثم طرح
في النار ما احرقته النار وذلك في عهد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم علامة للنبوة ٭٭ وقال قوم تاويله ان القران
لو كتب في جلد ثم طرح الجلد في النار ما احترق اي ما احترق و
القران العظيم بحاله لم يبطل ولم يندرس وانما يندرس ويبطل
المداد ويحترق الجلد دون القران وهذا مثل قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم خاطبا عن الله عز وجل اني منزل عليك
كتابا لا يغسله الماء ولم يرد انه لو كتب القران في شيء وغسل
بالماء لم ينغسل وانما اراد ان الماء لا يبطله ولا يفنيه وكذلك
قوله ما احترق اي في حقيقة الامر لا يبطل ولا يندرس ومثل
هذا كثير وقال الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وهم قد كتموا الله
عز وجل لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما اراد ولا يكتمون
الله في حقيقة الامر لانهم فيما كتموه لم يغب ما كتموه عن الله
سبحانه وانما توهموا انهم كتموه ٭ وذهب ذاهبون من
اصحابنا انه لا يصح ان يكون معناه ان من حفظ القران لم
يعذب بالنار لانه قد روي في الخبر ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال يكون قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم واعمالكم
مع اعمالهم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون من
الدين مروق السهم من الرمية فبان انه اراد بقوله لا يعذب
قلبا وعى القران اذا حفظ حدوده وعمل بموجبه واعلم
ان هذا الخبر يدل على صحة ما نقول ان القران مكتوب في اللوح
والجلد غير حال فيه وانه لا يجب حلول الكلام في محل الكتابة
كما انه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوب في التوراة ولم يكن
حالا فيها وكذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما احترق
اي ان احراق الجلد وبطلانه لا يوجب بطلان الكلام المحل

وعن النبي عليه السلام ان القران المكتوب لو القي في النار ما احترقت

ن

بكم

انه ليس في محل الكتابة ومثل هذا الحديث ما روى عبد الله بن
عمرو عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا ينبغي لمن حمل القرآن
ان يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله سبحانه وذلك ان معنى
قوله وفي جوفه كلام الله سبحانه اي فيه حفظ كلام الله تعالى وذلك
ان الكلام ~~وذلك ان الكلام~~ محفوظ في القلوب متلو بالالسنة
مكتوب في المصاحف كما ان الله جل ثناؤه مذكور بالالسنة
معبود بالجوارح ولا يجوز ان يكون في شيء من ذلك حالا و
مثل هذا قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل والمراد حب
العجل لان العجل لم يحل قلوبهم واعلم انا لا نابا القول بان كلام
سبحانه محفوظا على الحقيقة بحفظ القلوب مكتوب على
الحقيقة في المصاحف بكتابة حالة فيها متلوا بالالسنة بتلاوة
فيها مسموع بالاسماع غير حال في شيء من هذه المخلوقات
ولا يجاوز ** خبر اخر ** فان قيل فما تقولون فيما روى ابو امامة
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما تقرب
العبد الى الله سبحانه بمثل ما خرج منه يعني القرآن * قيل لهم
ان خروج الشيء من الشيء على وجهين احدهما كخروج الجسم
من الجسم وذلك بمفارقته مكانه واستبداله مكانا اخر
وليس الله سبحانه جسما ولا كلامه ايضا جسم لانه لو كان
جسما لاقتضى محلا واحدا وذلك فاسد والوجه الثاني
من معنى الخروج كقولك خرج لنا من كلامك خير كثير واتانا
منه نفع بين اذا اردت انه ظهر لهم منه منافع واما الخروج الذي
هو بمعنى الانتقال فلا يصح على كلام الله سبحانه ولا على شيء
من الكلام لاجل انه ليس بجسم ولا جوهر وانما يجوز الانتقال
على الجواهر والاجسام فاما على الوجه الثاني فيصح والمعنى فيما
انزل الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وافهم عباده
وقد قال قائلون ان الها في قوله خرج منه يعود الى العبد
وخروجه منه وجوده متلوا على لسانه محفوظا في صدره مكتوبا
بيده * وذكر عكرمة انه شهد جنازة رجل مع ابن عباس قال
فجعل رجل يقول عند القبور يا رب القرآن اغفر له فقال

ابن

ابن عباس له اما علمت ان القرآن منه قال فغفط الرجل راسه
كانه اتا كبيرة ومعنى قوله ان القرآن منه اي هو صفة الله القائمة
بذاته ولم يجز ان يكون ما كان في حكمه ربوبيا محدثا * فان
قيل فما معنى قول عمرو بن دينار ادركت مشايخنا يقولون منذ
سبعين سنة ان القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود * قيل
معناه عند اهل النظر انه هو الذي تكلم به وهو الذي امر به ونهى
به واليه يعود يعني هو الذي يسألك عما امرك ونهاك به
** ذكر اخر ** وقد روى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فضل القرآن على
سائر الكلام كفضل الخالق على المخلوق وذلك انه منه * واعلم
ان قول القائل ان الشيء من الشيء قد يكون على وجوه احدها
ان يكون جزءا له كقولنا اليد من الانسان والواحد من العشرة
وقد يكون الشيء من الشيء على معنى فعله وظهر منه كقوله تعالى وسخر
لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يعني خلقا وملكا و
تدبيرا وقد يكون منه على معنى انه صفة له وعليه يتاول قوله ان كلام
الله من الله ومن اصحابنا من قال ان معنى قولنا كلام الله من الله
منه سمع وبتعليمه تعلم وبتفهيمه يفهم * وقد ذكر بعض اصحابنا
ان معنى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك انه منه
انه له قال والعرب تقول ان هذا منك بمعنى انه لك كما قال
القائل ** فمنك العطاء ومنك الثناء ** اي لك العطاء ولك
الثناء عليك واعلم ان المشبهة قد تاولت الصمد على انه
مصمت ليس باجوف فكيف يصح ان يقال خرج منه الكلام على انه
خرج من الاجسام المجوفة فعلمت بذلك تناقض قولهم
وان معنى الخبر على ما اشرنا اليه ** خبر اخر ** فان قيل فما تقولون
فيما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله
سبحانه قرأ طه ويس قبل ان يخلق ادم عليه السلام بالفي عام
فلما سمعت الملائكة قالت طوبى لامة ينزل عليها هذا * اعلم
ان معنى قوله قرأ اي اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد من خلقه
من الملائكة في ذلك الوقت والعرب تقول قرأت الشيء

اذا تتبعته وتقول ما قرأت هذه الناقة في رحمها سلى قط اي ما ظهر فيها ولد فعلى هذا يكون الكلام شايعا وقرائته اسماعه وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها وهي معنى قولنا قرأنا كلام الله ومعنى قوله فاقرؤا ما تيسر منه ومن اصحابنا من قال قرأ اي تكلم به وذلك مجاز كقولهم ذقت هذا الامر وذقته بمعنى اختبرته ومنه قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع اي ابلاهم الله فسماه الله ذوقا والجوع لا يذاق على الحقيقة لان الذوق في الحقيقة بالفم دون غيره من الجوارح كما قلنا والاول اوضح في تأويل هذا الخبر لان كلام الله تعالى ازلي قديم سابق لجملة الحوادث وانما اسمع وافهم من اراد من خلقه على ما اراد في الاوقات والازمنة لا ان عين كلامه يتعلق وجوده بمدة وزمان ∴ ذكر خبر آخر وتأويله روى ابو حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال دون الله سبعون الف حجاب من نور وظلمة وما يسمع من نفس شيء من حس تلك الحجب الا زهقت نفسه وروى ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال احتجب الله من خلقه باربع بنار وظلمة ونور وظلمة ∴ ذكر تأويل ذلك اعلم ان قوله دون الله سبعون الف حجاب اي هو حجاب لغيره من خلقه لا له لانه لا يصح ان يكون محجوبا لاستحالة ان يكون محصورا محدودا تعالى الله عن الحد والحصور والتشبيه والتمثيل والخلق محجوبون لا رب العالمين والحجب لهم وبهم المحجوبون بها ولا يصح ان يكون دونه حجاب يحجبه سبحانه عما يشاء كون ⁘ وقد روينا فيما قيل عن علي رضي الله عنه انه انكر على من قال لا والذي احتجب بسبع فعلاه بالدرة وقال يا لكع ان الله لا يحتجب من خلقه بشيء ولكن يحجب خلقه عنه رواه علي ∴ وقال محمد بن شجاع البلخي في معنى قوله احتجب الله من خلقه باربع ان الله تعالى عرفنا نفسه باياته ودلائله ثم خلق من النور والظلمة والنار وان له آيات لو اظهرها للخلق كانت معرفتهم به كمعرفة العيان وذلك نحو ما ذكره في قوله

فظلت

فظلت اعناقهم لها خاضعين ⁘ ومعنى احتجب بالنار اي خلقها دون تلك الدلالات التي تبهر العقول وتدل على معرفته و اعلم ان الغرض في هذا ان تعلم ان الحجاب يرجع الى المحجوب من الخلق وان الخالق لا يصح ان يكون محجوبا ولا محتجبا لما لا يصح ان يكون محدودا ولا محصورا فاذا علمت انه لم يرد بالخبر هذا المعنى وان الحجاب يرجع الى المحجوب من الخلق سلمت من الغلط وامنت من دخول الشبهة عليك فيما لا يجوز في صفة الله تعالى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ∴ ذكر خبر آخر ∴ روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا من غير شيء ⁘ وروى يعلى بن منية عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الله حيي يستتر فاذا اراد احدكم ان يغتسل فليتوار بشيء ⁘ ذكر تأويله ∴ اعلم ان وصف الله جل ذكره بالحياء على معنى ما يوصف به المخلوقين من الحياء الذي فيه انقباض وتغير وتجمع فلا يجوز لاستحالة كونه جسما متغيرا تحله الحوادث تعالى سبحانه عن ذلك ⁘ فاما ان يوصف بالحياء على معنى الترك فصحيح وقد عبرت العرب عن سبب الشيء باسمه فلما كان الحياء سببا لترك المستحيا منه كان معنى ما قال ان الله عز وجل يستحيي اي لا يترك به العبد خاليا من خير اذا رفعهما اليه في الدعاء ⁘ وعلى ذلك يتأول ايضا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يستحيي ان يعذب المتورع قال الذي يحاسب نفسه قبل ان يحاسب ومعنى ذلك ترك تعذيبه وعلى ذلك يتأول قوله عز وجل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك للحياء شيئا كما يترك للايمان ويقطع بالحياء عن المعاصي كما يقطع بالايمان عنها فلهذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان ⁘ وقال ابو وائل عن عبد الله بن مسعود ان آخر ما حفظ من كلام النبوة اذا لم تستحي فاصنع ما شئت يريد اذا لم يستحي الرجل ركب كل فاحشة وقارف كل قبيح ولم يحجزه عن ذلك دين ولا حياء ⁘ واما معنى قوله صلى الله تعالى عليه و

الحجاب يرجع الى المحجوب من الخلق لا الى الخالق

حديث
ان الله يستحي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردها صفرا من غير شيء

آخر ما حفظ من كلام النبوة اذا لم تستحي فاصنع ما شئت

ج

سلم ان الله حي ستير فقد فسرنا معنى الحياء ومعنى
ستير اي سا تر يستر على عباده كثيرا من عيوبهم ولا يظهر
عليهم وستير بمعنى سا تر كما جاء قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم
فاذا حمل الخبر على ما ذكرنا صح المراد وبطل قول من يوهم فيه
التشبيه ❊ تم الجزء الرابع ❊ والحمد لله تعالى حمدا كثيرا وصلى الله
تعالى على رسوله سيد الانبياء محمد
واله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر خبر اخر وتاويله ❊ روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ان رجلا قال لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم ذروني في البحر
لعلي اضل الله تعالى ففعلوا ذلك فجمعه الله ثم قال ما حملك
على ذلك قال الحياء منك يا رب فغفر له ❊ روى حميد
بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم في هذا الخبر لفظا مشكلا زائدا وهو ان
قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان رجلا اسرف
على نفسه فلما حضره الموت ~~قال لبنيه~~ اوصا فاحرقوني
ثم ذروني في الريح في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا
ما عذبه احدا ففعلوا به ذلك فقال صلى الله تعالى عليه و
سلم فيقول له ارب عند البعث ما حملك على ما صنعت
فيقول خشيتك فيغفر الله له عز وجل ❊ ذكر تاويله ❊ اعلم
ان هذا الخبر وان لم يرجع شيء من الفاظه الى ~~ما هو~~ صفة من
صفات الله تعالى فان لفظه مشكلا وكان القايل له مؤمنا
مغفورا له فوجب ان يوقف على معناه ليزول الاشكال واما
معنى قوله اضل الله اي انسيه كما قال تعالى لا يضل ربي ولا ينسا
❊ وما ذكره في قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر اي تنسا و
قيل في بعض الوجوه في تاويل قوله سبحانه ووجدك ضالا فهدى اي
ناسيا فذكرك ❊ والعرب تقول ضللت كذا واضللته اي

لغة العرب ضللت
اذا نسيت

النسيه

النسيه واذا كان ذلك معنى الضلال ها هنا يراد فان
الله سبحانه يميتني ولا يبعثني فاستريح من عذابه والعرب
تقول ضل الماء في البئر اذا غاب فيه ولم يتبين ويكون
تحقيق معنى قوله لعلي اضل الله اي لعل الله تبارك وتعالى لا
ينشرني ولا يبعثني واستريح من عذابه وهذا اظهار الجزع و
الخوف والخشية بابلغ ما يكون لا انه كان يعتقد قايله انه
يجوز ان يتمنا الله احدا ولا ابدا ايمكن ان يعوته شيء ❊
ومثل ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه انه كان يقول في
دعائه اللهم وان كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا
فذكر اهل العلم ان ذلك اظهار غاية الخوف والخشية حتى
يسئل ما لا يكون ان لو كان ما يكون حقا لا يفوته التضرع بكل
وجه في طلب ما يكون وما لا يكون اظهار الغاية والخشية يطلب
ما يعلم انه لا يكون فاما معنى قوله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا
ما عذبه احدا فلا يصلح ان يكون ~~محمولا~~ على معنى القدرة
لان من يوهم ذلك لم يكن مؤمنا بالله عز وجل ولا عارفا
به وانما ذلك على معنى قوله تعالى في قصص يونس عليه السلام
فظن ان لن نقدر عليه وذلك يرجع الى معنى التقدير لا الى
معنى القدرة لانه لا يصح ان يخفا على نبي معصوم ذلك ❊
وقال الفراء في قوله تعالى تاويله فظن ان لن نقدر عليه ان لن
نقدر عليه ما قدرنا ومثله ما قال ابو صخر الصدوق ❊
ولا عائدا ذاك الزمان الذي مضى ❊ تباركت ما تقدر فذلك
ولك الشكر ❊ اراد ما تقدر يكون فعلى ذلك يحمل قوله
لئن قدر علي ربي ليعذبني اي ان كان قدر وحكم علي بالعقوبة
وانه يعاقبني دايما وهذا الكلام خايف جزع وتاويل في الخبر
ان الله تعالى يغفر له وقد علم انه لا يغفر للكافرين وجب ان
يحمل لفظه على تاويل صحيح لا ينافي في المعرفة بالله عز وجل ولا يؤول
الى الكفر واذا حمل على ما ذكرنا بان الغرض وبان وجه الاشكال
فيه فاعلمه ان شاء الله تعالى ❊ ذكر خبر اخر وبيان تاويله ❊ روى
ابو صالح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

الشجنة في كلام العرب هي الشعبة من الشيء

قال ان الرحم شجنة متعلقة بمنكبي الرحمن يقول الله سبحانه
لها من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وذكر في
خبر آخر قال تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققتها من اسمي
من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ∴ ذكر تأويله
اعلم ان الشجنة في كلام العرب هي الشعبة من الشيء والقطعة
منه ومنه يقال شجرة متشجنة اي متفرقة كثيرة الاغصان
ومنه ما حكي انه قيل لاياس بن معوية الحديث ذو شجون فقال
شجونه خير منه ومعنى الشجون ان يتفرع من الحديث احاديث
كالوادي الذي تتشعب منه المجاري وتتفرق عنه الانهار
في الجهات ومعنى قوله تعلقت بمنكبي الرحمن اي اعتصمت
بالله ولاذت به وهذه كلمة تقولها العرب عند الاستظهار
والاستجارة يقولون استظهرت بفلان واستجرت به و
تعلقت بحبله وقال الشاعر في مثل هذا ∴ تعلقت
من دهري بظل جناحه ∴ فعيني ترى دهري وليس يراني
∴ اي اعتصمت به وقال الله عز ذكره وما من دابة الا
هو آخذ بناصيتها اي هو قادر على تصريفها كيف يشاء والعرب
يقول لصاحبه اذا آمنه ناصيتي بيدك وزمامي بيدك
وقيادي بيدك وليس يريد زمام ولا قياد ولا ناصية بيد
وانما هو مثل للمطيع والمطاع ~~وكذلك~~ فكذلك قوله
تعلقت بمنكبي الرحمن اي استجارت به واعتصمت والله تعالى
لا يوصف بالمنكب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما خاطبنا على لغة العرب
واذا ورد منه الخطاب حمل على مقتضى حكم اللغة فاذا
كان محتملا للوجهين احدهما له مخرج في اللغة وتأويل
صحيح لا يقتضي تشبيها ولا يؤدي الى المحال في وصف الله
جل ذكره والثاني يقتضي تشبيها وتكييفا وتمثيلا كان الاولى
ما حمل عليه من الوجهين ما لا يؤدي الى وصف الله جل ذكره
بالجوارح والآلات على انه ان حمل على ما يتوهم المشبهة
من منكب الجارحة فلم يصح معناه من قبل ان الرحم لا يصح

عليها

عليها التعلق وانما هو حق القرابة من طريق النسب فعلم
ان ذلك مثل والمراد ما ذكرنا وانما اراد في تعظيم امر الرحم
والحث على وصلها والزجر عن قطعها فاخبر عن ذلك
بابلغ ما يكون من التأكيد واعلم ان امثال هذا ايضا
من آي الكتاب قوله جل ذكره ان تقول نفس يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله وذلك كلام محمول على نوع من
التوسع على عادات العرب والتخاطب بمثله يقتضي من
معناه ان المراد امره ∴ وقد انتشر في كلامهم انهم يقولون
كبر فلان في جنب فلان ويريدون بذلك في طاعته و
خدمته والتقرب اليه كذلك معنى هذه الآية ان النفوس
تظهر الحسرات يوم القيمة على ما وقع من التفريط منها في
طاعة الله سبحانه والذي يؤيد هذا المعنى ويوضحه ان التفر
لا يقع في جنب الصفة ولا في جنب الجارحة لما اقترن
بذكره التفريط علم ان المراد ما قلنا ان معناه التقصير في
طاعة الله جل ذكره والتفريط في عبادته ∴ ذكر خبر آخر وبيان
تأويله ∴ روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
صلة الرحم تزيد في العمر وقال في خبر آخر صل رحمك تزدد
في عمرك وقال من احب ان ينسئ الله له في عمره فليصل
رحمه ∴ فان سأل سائل عن هذا الخبر وقال كيف نجمع بينه و
بين قوله جل ذكره في محكم كتابه واذا جاء اجلهم لا يستأخ
ساعة ولا يستقدمون وقال في موضع آخر ولن يؤخر
الله نفسا اذا جاء اجلها وان الاجل لا يتقدم ولا
يتأخر وكيف يجوز لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
ان صلة الرحم تزيد في العمر ∴ بيان تأويله وذكر الجواب
عن هذا السؤال ∴ اعلم ان ليس شيء من هذه الاخبار
مخالفا لما في الكتاب كيف وقد روي عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم في ذلك ما يؤيد ما في الكتاب وهو
نحو ما روي ان ام حبيبة قالت اللهم متعني بابي ابي سفيان
وباخي معوية فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد

تأكيد م

كبر فلان في جنب فلان يريدون به في طاعته وخدمته

يط

ون

سالت الله في اجال مضروبة وارزاق مقسومة لا يؤخر
منها شيء • وقال ابن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو الصادق المصدق ان الله تبارك وتعالى
يبعث ملك الارحام فيكتب اجل المولود في بطن امه ورزقه
وشقاوته وسعادته • وكذلك ابن عمر وجابر عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مثل هذا المعنى وهذه اخبار
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد جاءت تحقق كتاب الله
عز وجل ان لكل نفس اجلا لا يتقدم عن اجلها ولا يتأخر •

مطلب معنى الزيادة في العمر

واما معنى الزيادة في العمر فقد قال بعض اهل العلم ان معناه
السعة والزيادة في الرزق وقد قيل ان الفقر هو الموت
الاكبر ∴ وقال بعضهم ان الله سبحانه اعلم موسى بن عمران
عليه السلام ان يميت عدوه ثم رآه بعد ينسج الخوص فقال
يا رب وعدتني ان تميته فقال قد فعلت ذلك بأني
افقرته وهذا كما قال الشاعر ∴ ليس من مات فاستراح
بميت • انما الميت ميت الاحياء • انما الميت من يعيش
فقيراً • كاسفاً باله قليل الرجاء ∴ فلما جاز ان يسمى الموت
فقرا توسعاً جاز ان يسمى الحياة غناً وسميته زيادة
في العمر ويريد بذلك السعة في الرزق على طريق الثواب
والكرامة في الدنيا • وقال قائلون ان معنى الزيادة في
العمر نفي الآفات عنهم والزيادة في افهامهم وعقولهم و
بصائرهم وليس ذلك زيادة في ارزاقهم ولا في اجالهم
لان الاجال مؤجلة لا زيادة فيها والارزاق مقسومة لا
يزاد لاحد في رزقه ولا ينقص عنه شيء لان الله تعالى قد
قسم الارزاق بين عباده فقال نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقال
عز وجل ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون عنه
ساعة ولا يستقدمون ولم يخبر جل ذكره ان يغير الاجل والرزق
بمنزلة الرزق والاجل ∴ وقد اخبر انه يزيد من يشاء من
فضله ولم يخبر انه يزيد من يشاء في رزقه ويؤخر من يشاء

في

في عمره • وقال قائلون ان الله عز وجل يكتب اجل عبده مائة
سنة عنده ويجعل تركيبه وهيئته وبنيته ليعمره ثمانين
سنة فاذا وصل رحمه زاد الله في ذلك التركيب وفي
تلك البنية ووصل ذلك البعض فعاش عشرين سنة
اخرى حتى يبلغ الغاية وهو الاجل الذي لا استأخر عنه ولا
مستقدم فيه • وقال قائلون معنى ذلك ان يكون السابق
في المعلوم انه اذا وصل رحمه كان عمره اكثر منه اذا لم يصل
فيكون كله مما سبق في العلم على الحد الذي يحدث ويوجب
في المستأنف • فان قيل فما معنى قوله تعالى وما يعمر من معمر
في ابتداء الامر ولا ينقص من عمره عن الاول في الابتداء الا كل
ذلك في كتاب قد تبين صحته واظهر عذره لا انه يكون
زائداً ثم ينقص او ناقصاً ثم يزيد لان ذلك يؤدي الا يكون
الله عز وجل عالماً بالاشياء قبل كونها على حسب ما يكون
ولا يجوز ذلك في وصفه تعالى فعلم ان المراد بذلك توقيفنا
ان التفاوت الواقع بين الاعمار في اختلاف مدتها في
الطول والقصر والزيادة والنقصان كل ذلك في كتاب
مبين على علم واحد صدر من علم سابق محيط ∴ فصل
واعلم ان الذين خالفونا من القدرية فقالوا بقطع الاجل
ومعنى ذلك هو ان يكون الله تعالى قد جعل لبعض الاحياء
مدة حياته خمسين سنة ثم يقتله القاتل فيجعل ذلك سنة
ويقطع عليه بلوغه المدة التي قدر الله له وهذا عندنا يخالف
الكتاب والسنة ∴ وقول يؤدي الى وصف الله عز و
جل بالقهر والغلبة لانه اذا اراد ان يكون اجل زيد خمسين
سنة واراد عمره ان يكون سنة ولم يمكن من بلوغه الاجل
الذي اجله الله تعالى له واراد ان يبلغه وقطع عليه اجله
فقد قهره في ارادته وغلبه في حكمه وذلك لا يليق بوصفه
تعالى ∴ سؤال ∴ بان قيل فما تقولون في قوله سبحانه
وتعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قيل
قد تأول اهل العلم ذلك على وجوه كثيرة فمنهم من قال ان معناه

سا ويجعل صح
ليعمره ثمانين صح
ان لا يكون بداً
بقطع م
يمحو الله ما يشاء
ويثبت الآية

ان الله نسخ من الاحكام ما يشاء وذلك محوه ويثبت ما
يشاء وهو اثباته وتقريره وقد يوصف جل ذكره بالنسخ
والاثبات ولا يدع ذلك الى البداء ولا الى الزيادة في
العلم على خلاف ما ذكرنا ومنهم من قال معناه يمحو الله ما سبق
من الذنوب بالتوبة المتعقبة لها ويثبت التوبة وحكمها
• ومنهم من قال معناه انه يمحو بياض النهار ويثبت سواد الليل
ويثبت بياض النهار ويمحو سواد الليل ومنهم من قال معنى ذلك
توقيفنا ان الايجاد والاعدام والاثبات والنفي متعلق
بمشيئته على حسب ما سبق به علمه وجرى به قلمه نفيا لان
يكون ذلك الى غيره او من غيره • مسئلة • فان قال قائل
من القدرية اليس قد قال الله تبارك وتعالى مخبرا عن نوح
عليه السلام انه قال لقومه اعبدوا الله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى وقال عز وجل في
اية اخرى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون •
فقيل اما معنى قول نوح عليه السلام انه يؤخركم الى اجل مسمى
يعني ان امنوا واطاعوه يكون اجلا لهم ولم يثبت الله تعالى
لهم اجلا لم يبلغوه ولما قال الى اجل لكم مسمى فلم يصف
اليهم ذلك الاجل فبان ان المراد اجل من الاجال لو
امنوا واطاعوه كان لهم اجلا • واما قوله ثم قضى اجلا واجل
مسمى عنده فهو اجل الدنيا والاخرة ولذلك قال ثم
انتم تمترون اي تشكون في البعث وهو الاجل المسمى
للثواب والعقاب واجل الدنيا هو المسمى للفناء
والتكليف فيه وليس في ذلك شيء يؤيد قول القدرية
القائلين بقطع الاجل • واما من قال منهم بقطع الاجل
وابا جواز الزيادة فيه فيقال له هل لا زعمت انه يزيد في
الاجل المؤجل اذا وصل رحمه وتجنب الافات
وتعاهد من المطعومات ما يستعين به على استجلاب
الزيادة في عمره وصرف الافة عنه فان جمعوا بين الامرين
وقالوا جائز ان يزيد احدنا في الاجل الذي قدره الله

بنحو ما

بنحو ما ذكرنا كما جاز ان ينقص منه فقد فارقوا قولهم وخرجوا
عن الكتاب والسنة والمعقولات لانه كما قال لا استقدام
في الاجل وكذلك نفى الاستيخار وجمع بينهما في الحكم ومما
يوضح لك ان المعنى في قول نوح عليه السلام ما ذكرنا قوله
ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون يريد بذلك ما هو
لهم اجل فدل على ما قلنا • خبر اخر ومثل ذلك ما يجري هذا
المجرى والسؤال فيه كالسؤال فيما ذكرنا ما روي انه قال
صلى الله تعالى عليه وسلم الدعاء يرد البلاء والصدقة ترفع
البلاء وما روي انه قال عليه الصلوة والسلام ان الدعاء و
البلاء يتعالجان • وما روي انه قال عليه الصلاة والسلام الصدقة
تدفع القضاء المبرم • ومعنى هذه الاخبار كلها على نحو ما ذكرنا
وهو ان يكون السابق في العلم ما يحدث من المستانف انه
اذا دعا صرف عنه البلاء وكذلك اذا تصدق لانه يكون
المعلوم في الازل وصول البلاء اليه ثم اذا حضر الدعاء تغير
المعلوم لان ذلك يؤدي الا يكون ذلك في الازل
معلوما ولا مقضيا وذلك محال • وقيل ايضا ان المراد به
الغرض من الدعاء والصدقة اذا اتى بهما دفع بذلك عن
الفاعل لهما وزر الترك وعقوبة العصيان فيه ويكون
معنى التخصيص لذلك بالذكر والتحريض على فعله والحث عليه
• خبر اخر وتاويله • روى حماد بن سلمة عن عمار بن
ابي عمار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال ان موسى عليه السلام لطم عين ملك الموت عليه السلام
فاعور وقال بعض اهل الالحاد على طريق الاستنكار لذلك
ان جاز على ملك الموت العور جاز عليه العمى قال ولعل عيسى
عليهما السلام قد لطم عينه الاخرى فاعماه لانه كان اشد
كراهة للموت عن موسى وذلك انه قال اللهم ان كنت
صارفا هذا الكاس عن احد فاصرفها عني • بيان تاويله
• اعلم ان اهل النقل قد صححوا هذا الحديث وله تاويل صحيح
لا شك وذلك ان الله عز وجل قد جعل للملائكة ان تتصور

م

لانه كما نفي الاستقدام عن الاجل فكذلك نفي الاستيخار صح

الدعاء يرد البلاء

ان لا يكون نزل

وبليه

تماثلت من الصور المختلفة الا ترى ان جبريل عليه السلام
اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في صورة دحية
الكلبي ومرة في صورة اعرابي ومرة اخرى وقد سد بجناحيه
ما بين الافق وكذلك قوله سبحانه وتعالى جل ذكره وارسلنا
اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا الاية قال بعض اهل التاويل ان تقيا اسم
رجل يتصور جبريل عليه السلام بصورته لمريم عليها السلام فان
قالوا فكيف يسوغ لنبي ان يلطم عين ملك وان كان على
صورة اخرى ، قيل وقد قال بعض اصحابنا ان ما ينقل فيه
من هذه الامثلة تخييلات وان اللطمة اذهبت العين التي
هي تخييل وليست بحقيقة ، ومنهم من قال ان معنى قوله ان
موسى عليه السلام لطم عين ملك الموت عليه السلام توسع
في الكلام وهو مثل ما يحكى عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال انا
فقأت عين الفتنة يريد بذلك الزام موسى عليه السلام
الحجة ملك الموت حين راده في قبض روحه على حسب
ما روي في الخبر واعلم ان للعرب في نحو ذلك استعارات
يعرف معانيها ومجاري خطابهم المتوسع في استغراق كلامهم
والمتبحر في المعرفة بلغاتهم واذا كانت اللفظة مستعملة
عندهم على وجهين احدهما ان يراد به عين الجارحة وادخال النقص
فيها والثاني ان يراد به عين الشيء وذاته ويراد بالعور محقه
ومحوه لم ينكر ان يكون معنى هذا الكلام محمولا عليه على نوع من
التوسع وقد يقول القائل عورت عين هذا الامر اذا ازرته
تشبيها بمن ادخل نقصا على العين التي هي حدقة ، ولو قال
قائل ان ذلك ان كان على الحقيقة من موسى عليه السلام
وكان ادخال نقص على جارحة الملك باذن الله عز وجل
حتى يكون محنة للمظلوم من عباده للاظلم لم يكن ذلك منكرا
يدفعه العقول لان لله عز وجل ان يامر بما شاء من ذلك و
ياذن فيما شاء منه على ان ما قلنا اولا انه وجه في الكلام يصح
فيه المعنى على طريق الاستعارة والتوسع في الخطاب على

ان تقيا في الاية الكريمة اسم رجل ٩

عادة

عادة العرب فاذا كان كذلك لم يكن لما توهمه الزائغ عن
الحق معنى وبطل توهم الطاعن بذلك على انبياء الله
صلوات الله وسلامه ، ذكر خبر اخر وبيان تاويله روى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فيما يحكي
عن ربه سبحانه وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني في واحد منهما قذفته في النار ومن تقرب مني شبرا
اقتربت منه ذراعا ومن اقترب مني ذراعا اقتربت منه
باعا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في
ملاء ذكرته في ملاء خير منه واطيب ومن جاءني يمشي جئته
اهرول ومن جاءني يهرول جئته سعيا ، بيان تاويله
اعلم ان معنى قوله الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ان ذلك
صفة من صفاتي وانا المختص به دون غيري فمن نازعني في ذلك
بان يتكبر ويتعظم على الناس ادخله النار ، وهذا كما تقول العرب
ان فلانا شعاره ودثاره الزهد والورع اي صفته و
نعته وليس يريدون بذلك نفس الشعار ولا عين الدثار
واعلم ان العرب يعبر مرة بالرداء عن الدين ومرة بالرداء
عن السيف ومرة بالرداء عن العطية فيقولون فلان
غمر الرداء اذا كان واسع العطية وان كان قصير الرداء
بعينه وكذلك يعبرون عن صفاته بالرداء فيقولون
رداء فلان وازاره الفسوق والمروق عن الطاعة اي
نعته وصفته قال كثير عزة ، غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
، غلقت لضحكته رقاب المال ، وقد يجعلون الرداء
الحسن والنضارة اذا كان ذلك نعته وصفته كما قال
القائل وهذا ردائي عنده يستعيره ، ليسلبني نفسي امال بن
حنظل ، يعني يا مالك ابن حنظل وقد قيل في معنى الرداء
الذي هو الدين ما حكي عن علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه
انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليخفف الرداء وليباكر الغداء
قال بعضهم اراد الدين ويسمون السيف رداء لانه يتقلد
كما يرتدى بالرداء توسعا ، واما معنى قوله من تقرب مني

حديث الكبرياء ردائي الخ

معاني الرداء

شبرا تقربت منه ذراعا فيحتمل وجوها احدها ان يكون
معناه الاخبار بسرعة الاجابة لمن اطاعه ودعاه وتقرب
اليه واراد بالاقتراب قرب المنزلة والحظوة لديه لا قرب المسافة
~~المسافة~~ فيكون هذا الكلام تشبيها وتمثيلا • ويحتمل ان
يكون اراد انه تعالى من اتاني مسرعا بالطاعة اثبته بالثوا ب
اسرع من اتيانه • ويحتمل ان يكون معناه على ما قال جل ذكره
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي من اطاعني طاعة
واحدة جازيته عليها عشرا ويكون ذلك اخبارا عما
يفعله من تضعيف الثواب • ويحتمل ان يكون معناه اني
ازيد المتقرب الي بشكر تقتضي نعمائي وعدا لذاكرين ثوابا ده
واما المشي والهرولة فتوسع وهذا كما تقول العرب فلان
موضع في الضلالة وانه يضاع اشد السير وليس يراد به
هاهنا نفس السير وانما المراد به الاسراع في الضلالة
وعلى ذلك معنى قوله سبحانه والذين سعوا في آياتنا
معاجزين والسعي هو العدو والاسراع في المشي وليس
يراد بذلك انهم مشوا بل المراد بذلك استعجالهم المعاصي
ومبادرتهم الى فعلها • واما معنى قوله اذا ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي فذكر العبد لله تعالى في نفسه ان يكون بحيث
~~بحيث~~ لا يعلمه احد غيره ولا يطلع عليه سواه قال الله تعالى
عن عيسى عليه السلام تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
اي تعلم ما اجنه وما اسره وما اضمره في نفسي ولا علم
لي بما في غيبك مما اخفيته عني • واعلم ان النفس في
كلام العرب على معان منها نفس منفوسة مجسمة مركبة
ذات روح وتعالى الله ان يكون كذلك علوا كبيرا • و
منها النفس بمعنى الذم تقول العرب له نفس سائلة و
يريد بذلك الذم • ومنه يقال للمراة نفساء اذا سال
دمها عن النفاس وتعالى الله عن الوصف بذلك ايضا
• ومنها نفس بمعنى اثبات الذات وهذا كما يقولون
في كلامهم هذا نفس الامر يريدون بذلك اثبات الامر

ذكر العبد لله تعالى في نفسه

النفس في كلام العرب على معان

لا ان له

لا ان له نفسا منفوسة مجسمة وعلى هذا المعنى يوصف
الله تعالى عز وجل بان له نفسا وقد اخبر الله عز وجل
بذلك في آي من كتابه منها قوله تعالى كتب على نفسه
الرحمة وقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله
تعالى ويحذركم الله نفسه وقد قال اهل التاويل في ذلك
قولين منهم من قال يحذركم الله عقوبته ومنهم من قال
يحذركم الله اياه وزعم بعض اهل التاويل يريد بذلك
ان نفسي لك خلقا وملكا ولا اعلم ما في ملكك مما
خلقته الا ما علمتني • ومعنى الخبر على الوجه الذي يصح من
هذه التاويلات ان من اخلص لي في الطاعة و
اصح عمله وخلص من النفاق والريا اخفيت ثوابه و
هذا كما ذكره تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقوله عليه السلام مخبرا عن الله تعالى انه قال اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فله ما اطلعتهم عليه • واما
قوله تعالى من ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء ~~ذكرته في ملاء~~ لملاء
خير منه واطيب فقد قال بعض اهل العلم ان المراد بها
الملائكة وانه تعالى لا يستشهدهم على ما يفعل به من الكرامات
ويمدحه ويثني عليه عندهم • وقد جعل هذا الخبر قوم حجة
في تفضيل الملائكة على المؤمنين من بني آدم ومن ذهب
الى تفضيل الانبياء والاولياء من الآدميين على الملائكة
فانه يجيب عن ذلك بان معنى قوله خير منه يرجع الى الذكر
كانه قال بذكر خير من ذكره واطيب منه لاجل ان ذكر
العبد لله تعالى دعاء وتضرع وذكر الله عز وجل له اظهار
رحمة وكرامة وذلك خير للعبد وانفع فاعلم انه اذا احتمل
هذا الكلام ما حملناه وسائغ في معناه ما ذكرناه وكان
عليه تنزيه الله سبحانه عن تشبيهه خلقه مع اعطاء الخبر معنا
صحيحا وفائدة كثيرة كان حمله على ذلك اولى من حمله بما لا
يليق بالله عز وجل • ذكر خبر آخر وبيان تاويله • روى

من ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه واطيب

مكحول عن ابي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
عليكم بالجماعة فان يد الله تعالى مع الفسطاط . بيان تأويله
. اعلم ان الفسطاط في كلام العرب هو المدينة ولذلك
قيل لمصر فسطاطا ومعنى الخبر ان يد الله مع الفسطاط اي
ان الله مع السواد الاعظم ومع اهل الامصار وان من شذ
عنهم وفارقهم في الرأي فليس على الحق فاما معنى
اليد هاهنا فان من اصحابنا من قال انه بمعنى الذات كقوله
سبحانه مما عملت ايدينا اي مما عملنا وكقوله مما ملكت
ايمانكم اي مما ملكتم انتم وكقوله الذي بيده عقدة النكاح و
المعنى فيه انه هو المالك لعقدة النكاح بنفسه لا ان
رأينا من يملكه وهو اقطع اليد . واما معنى قوله تعالى
مع الفسطاط اذا قلنا انه الجماعة فانه يرجع في التحقيق
الى ان الله سبحانه معهم بالنصرة وهذا كما يقال ان الامير
مع الخليفة بالنصرة لا بالذات وفائدة هذا الخبر الترغيب
في لزوم الجماعة ومنابذة الفرقة وفيه دلالة على ان الجماعة
من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم معصومة وان الله
سبحانه عاصمهم من الخطايا وناصرهم ومثل ذلك ما
روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تزال جماعة
من امتي ظاهرين بالحق لا يضرهم من ناواهم واذا اتفقت
الجماعات على حكم علم ان تلك الطائفة المعصومة الظاهرة
بالحق فيها ومن نابذها وفارقها كان كما قيل في خبر آخر
من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية ومثله قوله عليه
السلام عليكم بالسواد الاعظم وقوله ايضا يد الله مع الجماعة
ومعاني هذه الاخبار متقاربة . سؤال . فان
قال قائل فان حملتم اليد هاهنا على معنى الذات فهلا حملتموها
هاهنا ايضا في قوله تعالى خلقت بيدي على الذات قيل لا
يصح ذلك والفرق بينهما ان الله عز ذكره انما قال لابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي محتجا عليه مفضلا لآدم
عليه الصلوة والسلام بهذا التخصيص مبطلا لقوله انا

حديث
عليكم بالجماعة فان يد الله مع الفسطاط

قيل لمصر فسطاطا

خير منه ولو حمل على معنى الذات سقطت الفائدة وبطل
موضع الاحتجاج من الله تعالى على ابليس فيه ولم يكن فائدة
لان قوله خلقت بيدي اثبات الذات ولا يصح ان يلغى شيء
من كلامه سبحانه . وقد يمكن ان يكون فائدة وقد بيننا
فيما مضى تأويل اليد على مذهبنا وذكرنا اقسامه وان ما
يضاف الى الله جل ذكره فعلى اي وجه يضاف بما يغني عن
اعادته هاهنا . ذكر خبر آخر وتأويله بيانا . روى البراء
بن عازب ان رسول الله صلى اله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اللهم ان فلانا هجاني وهو يعلم اني لست بشاعر فاهجه
اللهم والعنه عدد ما هجاني . بيان تأويل ذلك . اعلم
ان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم فاهجه يريد بذلك
جازه على الهجاء ومثل هذا كثير في اللغة من تسمية الجزاء باسم
الشيء قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
وليس الثاني اعتداء ولا سيئة في الحقيقة وانما سمي باسمه
لما كان جزاء له ونظيره ايضا قوله تعالى الله يستهزئ بهم وقوله
سخر الله منهم ذكر بعض اهل التأويل ان معنى ذلك انه يجازيهم
على السخر والاستهزاء فسمى الجزاء باسم المجازى عليه و
هذا كقول الشاعر . الا لا يجهلن احد علينا . فنجهل فوق
جهل الجاهلينا . فسمى الجزاء على الجهل جهلا كذلك معنى قوله
عليه السلام فاهجه اللهم اي جازه على هجائه عني بعقوبة
يجعلها به . ويحتمل ان نقول ان معنى قوله عليه السلام فاهجه
اللهم اي ذمه لان الهجاء الكلام الذي يقصد به الذم وقد
ذم الله تعالى الكافرين على كفرهم . فان قال قائل انه مجاز
على معنى ذمهم كان المعنى صحيحا واصلنا في ذلك
ان لا نجيز اطلاق اللفظ في وصف الله تعالى الا على الوجه الذي
وصف به نفسه لا نتعداه ولا نتقدم بين يديه . ذكر
خبر آخر وبيان تأويله . روى محمد بن زياد عن ابي هريرة
قال قال ابو القسم صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا

حديث
اللهم ان فلانا هجاني الح

حديث
عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل

من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل • بيان تأويل
ذلك • اعلم قد بينا معنى العجب المضاف الى الله تعالى
وقد روي في اضافة التعجب الى الله تعالى غير ما خبر
قد تقدم بيانها وان ذلك يرجع الى معنى الرضا والتعظيم
وان الله عز وجل يعظم من اخبر عنه بانه يعجب منه ورضا عنه
واما معنى قوله يقادون الى الجنة بالسلاسل فقد قيل ان معناه
انهم يكرهون الطاعة التي يصلون بها الى الجنة من حيث لما لف
ابدانهم وشهواتهم ويكرهها نفوسهم الى الجنة من حيث شق عليهم
حبسهم وبعدهم عن الراحات واللذات في الحال ولكنها سائقة
لهم الى الجنة وهي دار الراحات ومأوى الطيبات اي
هذه النفوس تطلب الراحات واللذات في الدنيا
وتكره الطاعات والعبادات لما فيها من المشاق وهي التي
تشوقهم الى اللذات وتعودهم الى الراحات • ذكر خبر
آخر وبيان تأويله • روى ابن ابي ليلى عن عطية عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ان الله عز وجل جميل يحب الجمال وكان بكر بن عبد الله
المزني كان يتجمل بالثياب ويدهن بالغالية ويلبس
الطيالسة الطرازية والقمص القوهية فقال له بعض جلسائه
لو قصرت في بعض هذه الكسوة فقال ان الله جميل يحب الجمال
• بيان تأويله اعلم ان وصفنا للشيء بانه جميل يحتمل وجهين
احدهما ان يراد به جمال الصورة والهيئة والتركيب وذلك
بان يستحليه الناظرون اليه وذلك مستحيل في وصف
الله تعالى منفي عنه • فان قال فكيف يستقيم ذلك مع ما
روي في خبر آخر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربي
في احسن صورة • قيل ان هذا الخبر ايضا محتمل للتأويل
ومحمول على الوجه الصحيح مما يحتمله مما لا يقتضي التشبيه ولا
يؤدي اليه وذلك بان يكون معناه وانا في احسن
صورة او يكون معناه كما قال بعضهم وانا في مكان هو احسن
صورة او يكون معناه وانا في احسن صورة عند الله

يفهم

حديث
ان الله جميل يحب الجمال

جل

جل ذكره يخبرنا برضائه عنه عليه الصلوة والسلام وتلقيه
جل ذكره بالكرامة والبشارة به سؤال • فان قيل
فاذا لم يجز ان يحمل على جمال الصورة لاستحالة ان يكون الله
جل ذكره جسما ذا تركيب وهيئة فعلى ما ذا يحملونه • قيل
ان اهل اللغة قد يستعملون مثل هذه اللفظة من فعيل على
معنى مفعل كوصفنا الله تعالى بانه حكيم والمراد به انه محكم لما
فعله وكذلك يجوز ان يقال انه سبحانه جميل يعني انه مجمل
والجمال المضاف اليه على وجهين احدهما ان يكون على
معنى تحسين الصورة والخلق اي انه يحسن خلق من يشاء
منهم وهيئاته وصورته كما يقبح خلق من يشاء بتشويه صور رته
وهيئته • والوجه الثاني المضاف من الجمال الى الله عز
وجل هو بمعنى الاحسان والفضل اي هو المظهر النعمة
المبتدي من يشاء من خلقه رحمته وكرامته وذلك شائع
عند اهل اللسان ومتعارف فيما بينهم الا ترى انهم يقولون ل
اجمل في هذا الامر اذا اوصاه بان يأتي فيه الجميل من
الفعل والمذهب • وان الله عز وجل موصوف
بانه محتمل على الوجهين جميعا من تحسين الصورة والابتداء
بالفضل والنعمة فاما جمال الصورة والهيئة على الوجه الذي
يستحليه الناظرون مما يستحلون من هيئات الخلق فلا يليق
بالله سبحانه • فاما معنى قول بكر المزني فراجع الى مثل ما
روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا انعم
الله على عبده احب ان يرى اثر نعمته عليه وهو معنى قوله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث والتحدث بها اظهارها ونشرها
فيما سبيله من نعم الله ان لا تظهر للناظرين واظهارها شكر
لله تعالى عليها وما يمكن ان تظهر واظهارها شكره وعلى ذلك
يحمل قول بكر المزني وهو احد المعنيين الذين حملنا عليه
خبر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم • ذكر خبر آخر وبيان تأويله
• روى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على

حديث
ان الله رفيق يحب الرفق

الرفق ما لا يعطي على العنف تأويل ذلك . اعلم ان معنا قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله رفيق اي ليس بعجول
وانما يعجل من يخاف الفوت فاما من كانت الاشياء في
ملكه وقبضته فليس يعجل بها وقوله يحب الرفق اي يحب
ترك العجلة في الاعمال والامور كما قال الشاعر . ثم استمر الرفق في لبسه
الرفق في ليته . ارفق للعذراء في خدرها . يريد لم ار ي
مثل ترك العجلة ومعنى الرفيق معنى الحليم وقد يجوز ان يستعمل احد هما
بدل الآخر وقد قيل ايضا ان معنى الرفيق بمعنى المرفوع كما
يكون حكيم معنى محكم وجميل بمعنى مجمل والمعنا في ذلك انه
هو الخالق المرفوع بفعل رفعه من يشاء على معنى انه ينفع من يريد
بفعله ويلطف لمن يريد واعلم ان هذا الخبر وان كان من
من اخبار الآحاد وانه لم يرد بما يستحيل في صفة
في وصفه تعالى فلم ينكر بان يتأول عليه على الوجه الذي
قلنا . وقد ورد في بعض الاخبار ايضا ما ذكر
فيها اسامي الله ان الله جل ذكره صبور ولم يرد به نص
القرآن ولا تواترت به الاخبار ومعناه معنى حليم وقد
اختلف اصحابنا في معنى وصفه تعالى بانه حليم فمنهم من
قال ان معنى الحليم الترك لتعجيل العقوبة لمن يستحقها ومنهم
من قال نفي الصفة عنه وان الله سبحانه لم يزل حليما على
هذا المعنى وهو مذهب النجار . ذكر خبر آخر وبيان تأويله
. وان قال قائل فما تقولون فيما رواه محمد بن كعب القرظي
ان الله تعالى يجيء في ظلل من الغمام والملائكة ويقف
على ادنا اهل الجنة درجة فيسلم عليهم ويردون السلام
ثم رجع الى مكانه . قيل ان اهل النقل ضعفوا هذا الخبر فمنهم
من قال انه وقع اليه كتب من يهود قريظة ومن نظر
مكان ينظر فيها وروى عنها . وقيل ايضا ان الذي رواه
عنه رقبة وسلمة بن وهرام كلاهما ضعيفان وعلى ما
اضعف منها على انه ان كان صحيحا فمعناه محمول على معاني
سائر افعاله تعالى مثل قولنا يعدل ويحسن ويخلق و

مطلب
معنى الرفيق معنى الحليم بدل

لفظ الصبور لم يرد
في القرآن ولا في
الاخبار المتواترة

حديث
ان الله يجيء في ظلل من الغمام
والملائكة

١٣٢

ويحرك ويسكن ويأتي وليس ذلك بمعاناة ومعالجة
لانا نتقال وحركة كما يكون ذلك منا لانه تعالى لا تنفعل
في نفسه فاما قوله في ظلل من الغمام والملائكة والله فيها
بمعنى مقدرها ومدبرها وان ذلك على التقديم والتأخير
معقدا على من قال بمذهبه من المعتزلة والنجارية ان الله في كل
مكان على معنى انه مدبر لكل مكان مقدر لما فيه ونحن نأبا
ذلك ونقول على مذهب بعض اصحابنا ان الله جل ذكره
في السماء على معنى انه فوقها وعليها كما قال فسيحوا في الارض
اي فوقها وكما قال لاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها . واما
معنى وقوفه على اهل الدرجات في الجنة فقد قيل ان معناه
ان الملائكة عز وجل وصف نفسه بكرامته لاهل الدرجات
درجة بعد درجة الاعلى فالاعلى فاما معنى قوله ثم رجع الى
مكانه وليس ذلك معنى الانتقال الى المكان لانه ليس في
مكان ولا يجوز عليه الانتقال وانما معناه العود الى افعاله
قبل ان يحدث لهم ما احدث وذلك توسع في الكلام كما
يقال جاك الخبر بعيدا والمراد بسرعة الاقبال عليك و
اذا احتمل اللفظ ما ذكرنا وكان خلافه يؤدي الى التشبيه
والى وصفه تعالى بما لا يليق به كان اولى الامور على الوجه
الذي يصح معناه ويوافق معنا قوله سبحانه ليس كمثله شيء
خبر آخر . فان قيل فما تقولون فيما روي انه صلى الله
تعالى عليه وسلم دخلت على ربي في جنة عدن شابا
جعدا في ثوبين اخضرين . قيل معنى قوله دخلت على ربي
كمعناه قول المسلمين في الموسم اتيناك ربنا شعثا
غبرا من كل فج عميق لتغفر ذنوبنا ويقال ايضا في الكلام
الجائز المجاري في العرف اقبل الله على فلان بالكرامة واقبل
فلان على الله بطاعته اي دخلت جنة ربي بتقريبه لي واكرام
اياي فرأيت فيها شابا وليا من اوليائه على هذا الوصف
دون ان يكون هذا المذكور هو الله عز وجل . وقد
يقال دخلت في غير ما يكون في مكان ايضا وذلك

على مذهب من قال

حديث
دخلت على ربي في جنة
عدن شابا جعدا
في ثوبين اخضرين

متعارف بين اهل اللغة كما تقول دخل في ارك البركة
وادخل الله في امورهم البركة اي بارك لهم فيه * و
يقال دخل فلان على رأيي وامري ويقال ايضا دخل فلان
علي في منزلي لا انه دخل عليه ببدنه وانما المعنى انه دخل
داره وكذلك معنى قوله دخلت على ربي اي دخلت
دار ربي وهي الجنة والدار التي اعدها لاوليائه ويحتمل ان
يكون معناه وانا في الجنة شاب جعد وان ذلك
كان رويا منام والشيء قد يرى في المنام على خلاف ما
يكون به فاذا احتمل هذا الكلام ما ذكرنا كان حمله عليه
اولى * جواب * فان قيل فما تقولون فيما روي عن مجاهد
انه قال يقول داود عليه السلام يوم القيمة ربي ادنني — حديث
فيقول ادنه فيدنوا حتى يمسه قال فمس شعر
ركبته يشير الى ان مس ركبته قيل ان مجاهدا رحمه الله
مأخوذ من قوله ومتروك ولكنه ان صح فيحتمل ان يقال
معناه ادنه يحلك اياي وتوب الي بالخضوع
حتى يمسه عفو الله وصفحه ورحمته * وقيل ايضا يحتمل
ان يكون ذلك على المثل انه يدنوا بالتضرع والخشوع
اليه حتى يصير كهيئة المماس في المثل على الوجه الذي
لا يكون بينه وبين ما يمسه حايل على ان مجاهدا ليس
بحجة * وقد قيل ايضا انه لم يذكر في الخبر ركبته من ويحتمل
ان يكون ركبة بعض خلقه امره بالدنو منه امر تعبد
بخضع لله جل ذكره بذلك حتى ينال عفوه ورحمته
* جواب * فان قيل فما تقولون ايضا فيما روي عن مجاهد
انه قال في تاويله قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا انه يقعده معه على العرش * قيل ايضا هذا غير ماخوذ
به من قوله وتاويله مع انه يحتمل ان يقال فيه انه معه على
معنى النصرة والمعونة كما قال لا تحزن ان الله معنا وكما قال
واعلموا ان الله مع المتقين على معنى النصرة والمعونة *
وذلك ان مع في الكلام يحتمل وجوها احدها بمعنى الصحبة

ما ورد به قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا انه يقعده معه على العرش

في

في البقعة والمجاورة لمن فيها وذلك لا يليق بالله
سبحانه ويكون ايضا بمعنى العلم كما قال وهو معكم اينما
كنتم والمعنى فيه انه عالم بكم سامع لكلامكم راي لاعمالكم — لكم
واشياحكم وذلك جايز في وصفه ويشمل الكافر و
المؤمن فاما اذا قيل انه مع المؤمن مخصوصا فانه يكون
بمعنى النصرة والمعونة فيكون معنى الخبر ان الله تعالى يكرم
نبيه المصطفى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بابلغ الكرامة — خ
حتى يقعده في ارفع المقاعد عنده وهو معه بالنصرة
والمعرفة والمقاعد المقربة من الله تعالى مقامات الكرامة — خ
ودرجات الكرامات دون ما هو من طريق الصحبة
في المكان والمجاورة لمن فيه * ذكر جواب وتاويله *
فان قالوا فما تقولون فيما روي السقبي ان الله عز وجل
ملا العرش حتى ان له اطيطا كاطيط الرحل الجديد قايلا هكذا
ووضع احديهما على الاخرى قال ووضع ساقه على ركبته اليسرى
قيل قوله ملا العرش يحتمل ان يكون المراد به عظمته ورفعته وعزه
وآلاءه ونعماه وهذا كما قال عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها والامانة ليست بجسم — جسام
واما معنى قوله هكذا فيحتمل ان يقال اراد به التحير والعظمة التي
لا يجوز لغيره واما معنى وضع حاد ساقه على ركبته اليسرى — لعله حد لها ساقه
فليس على معنى اثبات الجارحة والاشارة الى معناها
بل اراد به هو المتفرد بمثل هذه العظمة وانه العالي المستولي
على كل ما خلقه واعلم انه شايع في الكلام ان يقال ملات
قلبك فرحا وغما وليس المراد به امتلاء من طريق شغل
المكان من جهة المباشرة ويقال فلان ملا هذا البلد علما
والمراد به انتشر فيه من الكتب التي العلم فيها مكتوب وما
روي وذكر فيه ولا يكون المراد به على نحو ملا الاواني بالماء
التي فيها واذا احتمل الكلام هذين المعنيين ولم يجز احدهما
على الله تعالى صح ان المراد به ما قلنا * تم الجزء الخامس بعون الله
تعالى وحسن توفيقه * والاتي ابتداء الجزء السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء اخر ... وذلك انه قيل ما معنا ما روي عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال ان العرش يثقل على كواهل
حملته من ثقل الرحمن حتى يعرفون عظمته بثقله على كواهلهم
في خبر هذا المعنى قيل اما معنى قوله من ثقل الرحمن فليس
ذلك ثقلا كثقل الخشب والاشباح وانما هو ثقل كقول
القائل قد ثقل علي كلامك وليس ثقل الكلام كثقل الاجسام
وقد يقال الحق ثقيل مر وليس المراد به ثقلا كثقل الاجسام
الثقيلة وانما المراد به ما في تحمله من الصعوبة والمشقة
على النفس قد قال الله سبحانه وتعالى انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا فثقل الرحمن جل ذكره على الملائكة ثقل هيبته في قلوبهم
وما يجدونه في بعض الاحوال من ذكر اقواله العظيمة بعقوبة
فكلما وجدوا ذلك ازدادوا الله تعظيما وذكرا وانما قلنا
ذلك لانه لا يجوز وصف الله جل وعز بالمماسة والاعتماد
على الاجسام وان يكون جبالة ثقل واذا احتمل الكلام
ما ذكرنا وكان شائعا في اللغة وجب ان يحمل تأويله
عليه دون ان يحمل على ما لا يليق بوصفه سبحانه ... ذكر جزء
آخر وتأويله ... فان قيل فما تقولون فيما روي ان جبريل حديث ان جبريل عليه السلام ابطأ على النبي عليه السلام فقال اني وجدت ربي يصلي
عليه السلام ابطأ على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
اني وجدت ربي يصلي ... وفيما روي ان بني اسرائيل
سألوا موسى عليه السلام فقالوا ايصلي ربنا فاوحى الله تعالى
اليه ابلغهم اني اصلي كيما تغلب رحمتي غضبي لولا ذلك لاهلكوا
... وفيما روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسري به
الى السماء السابعة اتاه جبريل عليه السلام فقال رويدك
يا محمد فان ربك يصلي فقلت وان ربي يصلي قال نعم قلت
واي شيء يقول قال سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي ...
ذكرنا تأويله ... اعلم ان الصلاة على وجوه فاذا اضيفت معاني الصلاة
الى الله عز وجل فمعناه الثناء والرحمة والبركة واذا اضيفت
الى الملائكة فمعناها الاستغفار وطلب الشفاعة واذا

اضيفت

اضيفت الى المؤمنين من الادميين والمراد به الدعاء قال
الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما فصلاة الله سبحانه اظهار رحمته
ومدحه وثنائه وصلاة ملائكته استغفارهم وسؤالهم
الفضل والدرجة لمن يصلون عليه ومعنى قوله ابلغهم اني
اصلي اي اغفر وارحم واستر ومعنى قوله كيما تغلب رحمتي
غضبي اي حتى تسبق الكائن من رحمتي غضبي ورحمته في الحقيقة
عند نا ارادته تنعيم من علم تنعيمه وغضبه على من علم تعذيبه
وعقوبته على الدوام ثم سمي الكائن عن الرحمة رحمة والكائن
عن الغضب غضبا كما سمي المعلوم علما والمقدور قدرة
والموهوب هبة ... واذا كان كذلك حملنا معنا قوله
سبقت رحمتي غضبي وكيما تغلب رحمتي غضبي على الكائن
من رحمته وغضبه والمراد به اظهار بركته وكرامته لاهل
البركة والرحمة كما ظهر تعذيبه وعقابه لاهل العقوبة ... واعلم
ان معنى الصلوة في اللغة بمعنى الدعاء لغير وبمعنى المكاء
والتصدية كما قال تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية والمكاء الصفير والتصدية التصفيق ... ويقال سميت الصلاة الشرعية صلاة
للصلاة الشرعية صلاة وهي القراءة والتسبيح والركوع
والسجود وتعبر عن جملة هذه الافعال ايضا صلوات
من طريق الشرع لا من طريق اللغة ولا يجوز ان يوصف
الله سبحانه بهذا النوع من الصلوات تتضمن هذه الحركات
والهيئات لانه لا يجوز لكونه تعالى جسما محدودا يتحرك و
يسكن وجاز وصفه بالصلاة التي هي الثناء والدعاء و
الرحمة وما وصف به من ذلك على هذا المعنى لا على غيره
. جزء اخر ... وان قيل وما تقولون فيما روى عبد الله بن
عمرو في حديثه ثم يتجلى للخلق فيلقاهم فيقول من تعبدون
فيقولون ربنا فيقول هل تعرفون ربكم فيقولون سبحانه
اذا اعترف لنا عرفناه ... وفي بعض هذه الالفاظ اذا
عرفنا نفسه عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق

فلا يبقى مؤمن الا خر لله جل ذكره ساجداً ۰ قيل اما
رؤية الله عز وجل فجائز نظراً وواجبة للمؤمنين وقد
تقدم بيان ذلك ۰ واما قوله يكشف عن ساق
فلم يضف ذلك الى احد ومعناه عن شدة لان مثل
هذا الكلام يستعمل في اللغة على معنى شدة الامر كما قال
الشاعر ؞ وقامت الحرب بنا على ساق ؞ قال
ابن عباس في قوله يوم يكشف عن ساق اي عن شدة
الامر وقال الحسن في قوله تعالى والتفت الساق بالساق
اي التفت ساق الدنيا بساق الاخرة ۰ و
قال الضحاك معناه امر الدنيا بامر الاخرة ۰ وقال عمر رضي الله
تعالى عنه معناه اعمال الدنيا بمحاسبة الاخرة وذلك
امر عظيم ؞ جواب ؞ فان قيل فما تقولون فيما روى
عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال رأيت ربي جعدا قططا قيل هذا حديث
ضعيف عند اهل النقل فان صح فمعناه يرجع الى الرائي
ويكون ذلك رؤيا نوم والمرء قد يرى نفسه في النوم
على خلاف ما هو به لان هذه الاوصاف لا يليق
بالله سبحانه ولم يرد بمثله كتاب ولا سنة متواترة ولا
اجمعت عليه الامة فيكون ذلك من طريق الاسم
لا من طريق المعنى لان معناه مستحيل في وصفه تعالى
لاستحالة كونه جسما جعدا وذا منجز وقد مضى بيان
ذلك في اول كتابنا ؞ جواب ؞ فان قيل فما تقولون
فيما روى حماد عن ابي المهزم عن ابي هريرة ان الله تعالى
خلق نفسه من عرق الخيل قيل هذا حديث منكر عند
اهل النقل وابو المهزم مجهول وقال في حماد عبد الرحمن
بن مهدي انه لم يكن يعرف هذه الاحاديث حتى خرج
في رحلة الى عبادان فلا احسب الا شيطانا دس
في كتبه ۰ وكان حماد ذا غفلة ۰ وكان لا يحفظ وكان له
ربيبه وكان زنديقا وكان يتهم بانه دس

وابن ابي العوجا

في

في كتب حماد وقيل ان بعض الزنادقة اخذ في زمان
المأمون فقيل له تب فقال كيف اتوب وقد وضعت
كذا وكذا حديثا وسمعت الناس يحدثون بها ولقد جهدنا
ان نزيد في كتاب الله حرفا فلم نقدر عليه على انه لو كان
صحيحا كان يمكن ان يتأول انهم سألوا النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وقالوا ارنا ربنا الذي كنا نعبد في الجاهلية من دون
الله يريدون من الشياطين الذين دعوهم الى معصية الله
عز وجل ۰ واعلم ان هذا الحديث ونحوه من الاخبار المنا
التي لا يجوز الاشتغال بها وبتأويلها لظهور فسادها و
وضوح الخلل في اسنادها واجماع اهل النقل انها لا اصل لها
؞ ذكر خبر آخر وتأويله ۰ فان قيل فما يقولون فيما روي
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان بني اسرائيل
سألوا موسى عليه السلام بما شبهت كلام الله سبحانه قال
باشد ما يكون من الصواعق وليس بذلك ۰ وبما روي
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اذا تكلم الله عز وجل
بالوحي سمع اهل السماء في السماء صلصلة كجر السلسلة
على الصفوان فيقولون ماذا قال ربنا فيقال الحق الحق فيقول
الملائكة الحق الحق ثم قرأ قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ؞ ذكر تأويله
۰ اعلم ان كلام الله تعالى ليس بصوت ولا حروف عنده
يكون بالصوت والعبارة هي دلالة عليه وامارات له تظهر
للخلق فيسمعوا عندها كلام الله سبحانه فيفهموا المراد فيكون
ما سمع موسى عليه السلام من الاصوات مما سمع يسمى كلام
الله عز وجل ويكون ذلك في نفسه غير الكلام ۰ ويحتمل ان
يكون معناه ان تسمى العبارة عن كلام الله كلام الله كما
يسمى الدلالة على الشيء باسمه وكما يسمى الواقع عن القدرة
قدرة والكائن عن الرحمة رحمة فيكون معنى قولهم بما شبهت
كلام الله اي بما شبهت العبارة والدلالة عليه مما سمعته
عندها وسماعها كلام الله عز وجل لاستحالة ان يكون

وضع الاحاديث الكثيرة

قصة

فانما العبارة عنه تارة بما سمعه موسى

لكلام الله تشبيه • ويحتمل قوله بأشد ما يكون من الصواعق
ان يكون اراد به ما وجد عند سماعه من التعظيم والاجلال
والهيبة كما يستعظم الصواعق والكاين عنها • واذا
قامت الدلالة على انه لا يجوز ان يكون كلام الله تعالى و
تقدس مخلوقا ولا ان يكون اصواتا تتجدد شيئا فشيئا
فوجب ان يحمل التأويل فيه على ما قلنا ولسنا ننكر ان يكون
لكلام الله عبارات هي اصوات منها بلغات مختلفة و
منها ما يكون علامات له يخلق الله تعالى عندها العلم والسمع
لكلامه • وقد يكون الدلالة على كلام الله بالكتابات
ايضا ويكون الكتاب غير المكتوب كما يكون العبارة غير
المعبر عنه فعلى هذا التأويل يحمل الخبر وما ضاهاه ∴ ذكر
خبر اخر • فان قيل فما تقولون فيما روي عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال اذا سجد احدكم فانه يسجد على قدم
الرحمن • قيل قد تبينا فيما قبل هذا لمعنى القدم المروي على
غير هذا الخبر مما اضيف الى الله سبحانه وتعالى • والعجب
لكونه المشبهة ربما في الخلق في احتجاجها بذلك اذ من
قولها ان الله سبحانه على صورة ادم عليه السلام وان له
حدا وغاية وانه في السماء وعلى العرش مستوي استواء
استقرار ثم يحتج بابن ادم انه يسجد على قدم الرحمن •
وقد علمته على زعمها يكون من يقول ان الله تعالى في الارض
وهذه مقالة ينقض بعضها بعضا ومعنى الخبر ان صح ان العبد
يتوضأ للصلاة فيكتسب بذلك الاجر ويحط الله تعالى به
عنه الوزر ثم يدخل العبد في الصلوة فيفتتحها بالتكبير و
بما سنه النبي عليه الصلوة والسلام مما يقوله المصلي بعد
تكبيرة الافتتاح للصلاة ثم يقرأ ويركع ويرفع راسه فاذا
سجد كان سجوده آخر ركعة على ما قدمه للرحمن فكان قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد ابن ادم على قدم الرحمن يعني
على ما قدم للرحمن الم تسمع قوله عز وجل ان لهم قدم صدق
عند ربهم فهذه القدم الصدق فهي ما قدمه العباد من

خير

خير مهدوه لانفسهم ويحتمل ان يكون معناه ان المصلي
يسجد على قدم الرحمن اي انه يطيع ربه على ما قدم الله تعالى
جل ذكره من الحكم له بانه يصلي وبما سبق له من الوعد
الجميل عليه كما قال الله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى اولئك عنها مبعدون واذا احمل الكلام ما ذكرنا
واستحال وصف الله عز وجل بالجوارح وجب ان يحمل على ما
قلناه دون ما توهمته المشبهة لاستحالته ∴ ذكر خبر اخر وبيان
تأويله • روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
ان اقرب اهل الجنة منزلة من الله عز وجل من ينظر في وجه الله
جل ثناؤه كل يوم مرتين • وروي عنه ايضا صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال اللهم اني اسألك لذة النظر الى وجهك
الكريم • يذكر تأويله • اعلم ان اطلاق وصف الله عز وجل
بان له وجها قد ورد به نص الكتاب والسنة وذلك من
الصفات التي لا طريق الى اثباتها الا من جهة النقل ولو لم
يرد بذلك خبر لم يجز اطلاقه اذ لا دلالة له من جهة العقول
تقتضي ذلك وتوجبه • وذهبت المعتزلة في تأويل ذلك
الى ان معناه انه هو وان وجه الشيء قد يكون نفسه وتأولوا
قوله سبحانه فاينما تولوا فثم وجه الله اي فثم الله وان وجه
الله هو الله وشبهوا ذلك بقولهم هذا وجه الطريق ووجه
الحائط ووجه الثوب ووجه الامر • وهذا عندنا خطأ
لان القول به يؤدي الى جواز القول بان لله عز وجل وجها
وانه يجوز ان يدعا به فيقول يا وجه اغفر لنا وقد اجمعت الامة
على المنع من ذلك • وذهب اصحابنا الى ان الله عز وجل
ذو وجه وان الوجه صفة من صفاته القائمة بذاته • و
ذهبت المشبهة الى وجه الجارحة والالة وقد بينا في اول
هذا الكتاب انه لا يصح وصف الله سبحانه بالجوارح والا
وان ذلك يؤدي الى نقض توحيده والى القول بانه اجزاء
متبعضة واجسام مركبة وذلك محال في وصفه تعالى فاما
الذي يجب ان يكشف عنه من تأويل هذا الخبر على اصلنا اذا

حديث
ان اقرب اهل الجنة منزلة
من الله عز وجل من ينظر الى
وجه الله كل يوم مرتين

وجه الشيء قد يكون نفسه

وجه السؤال اليه فقيل كيف خص النظر الى وجهه وعلق بذكر
الوجه وكيف قال لذة النظر الى وجهك وهل الوجه الذي
هو صفة وحي واذا كان حيا ولم يكن هو الذات فما
الفايدة لتخصيص النظر اليه • والجواب عن ذلك انه قد يذكر
صفة الشي والمراد به الموصوف توسعا كما يقول القايل
رايت علم فلان اليوم ونظرت الى علمه وانما يريد بذلك اني
رايت العالم به ونظرت الى العالم كذلك اذا ذكر الوجه فها هنا
فالمراد به من له الوجه وعلى هذا يتاول قوله سبحانه وتعالى انما
نطعمكم لوجه الله لان المراد به هو الذي له الوجه وكذلك قوله
تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فان المراد به ابتغاء ربه الاعلى
الذي له الوجه واما ما ذهبت اليه المعتزلة من تشبيه ذلك بوجه
الثوب والحايط ليس هو نفس الثوب والحايط بل هو ما واجه
به واقبل به وكذلك وجه الامر ما ظهر منه فيه الراي الصحيح
دون ما لم يظهر • واذا لم نجد في اللغة استعمال معنى الوجه
على معنى الذات على الحقيقة في موضع وقد ورد اطلاقه في
الكتاب والسنة بذلك لم يكن لما ذهبت اليه المعتزلة وجه
ووجب ان نحمل الامر فيه على ما قلنا انه وجه صفة لا يقال
هو الذات ولا غيرها • سؤال • فان قال قايل فانه
لا يعقل وجه الا جارحة او بعض او نفس الشي • قيل في
هذا جوابان احدهما انه اثبات وجه يخالف معقول الشاهد
كما ان اثبات من اضيف اليه الوجه اثبات موجود يخالف
معقول الشاهد • والثاني ان الوجه على الحقيقة لا يكون نفس
الشي لما بينا ان ذلك لا يوجد في اللغة حقيقة واما
اطلاق البعض على الوجه الذي هو جارحة فتوسع عندنا و
ان كان حقيقة فلم يكن وجهالانه بعض فيجب ان لا يكون
وجه الا بعضا اذا لم يكن وجها لانه بعضه لا لانه جارحة
لم ينكر اثبات وجه خلا من الوصفين • واعلم ان حد
اصولنا في هذا الباب ان كلما اطلق على الله عز وجل من هذه
الاوصاف والاسما التي تجري على الجوارح فينا فانما تجري

ذلك

ذلك في وصفه على طريق الصفة اذ لم يكن وجه اخر يحمل
عليه مما يسوغ فيه التاويل وذلك لصحة قيام الصفة
بذاته وان قيامها به لا يقتضي انتقاض توحيده وخروجه
عما استحقه من القدم والالهية فاما وصفه بذلك على
الحد الذي توهمته المشبهة الممثلة تشبيها بالخلق في اثبات
الجوارح والالات فخلاف الدين والتوحيد وحملها على ما
ذهبت اليه المعتزلة ابطال فايدتها واخراجها على كونها معقولة
مفيدة على وجه • والحق واقف بين احد هذين المذهبين من
التعطيل والتشبيه وان يتمسك بحكم الكتاب والسنة ويتبع
ما ورد النص فيها لا على التعطيل كما ذهبت اليه المعتزلة ولا
على التمثيل كما ذهبت اليه المشبهة • واعلم ان هذا الباب
يفتح لك طريق الكلام في هذه الاضافات والاطلاقات
ويوقفك على محجة الحق فيه ويعرفك كيف به سلوكنا لها وانا
لا نسلك في ذلك مسلك من يروم نفي الصفات من
الملحدة والمعتزلة ولا مسلك من اثبتها على حكم التمثيل من المشبهة
وهكذا طريقنا في اثبات اليدين لله تعالى جل ذكره وكذلك
القول في العين فافهم • سؤال اخر • فان قيل فلم لا يقولون
على هذا الوصف قدم صفة وصورة لان الاضافة قد
حصلت في الخبر اليه على هذا الوجه فقيل على صورته وقيل
قدمه قيل انما لم نحمل ذلك على الصفة لامتناع المعنى فيه وان
الصفة ليست مما يوصف بالوضع في الاماكن وقد وجدنا
لذلك تاويلا صحيحا قريبا يمنع هذه الشبهة وهو ما ذكرنا قبل
انه قدم المتجبر على الله تعالى عز وجل يضعها في النار على معنى
استخفاف العقوبة على عتوه على الله جل ذكره وبينا
ان لفظ الجبار مشترك وليس هو مما لا يوصف به الا الله
عز وجل بل روي في بعض الاخبار ان جلد الكافر يبلغ في النار
اربعين ذراعا بذراع الجبار ولان المراد به ها هنا الرجل
الطويل ومن الشايع في لغة العرب قولهم هذه نخلة جبارة اذا
كانت طويلة • واما الصورة فقد بينا ايضا انه لا يصح

اريد بالجبار الرجل الطويل
تقول العرب نخلة جبارة
اذا كانت طويلة

ان يكون صفة لما اخبر انه خلق عليها آدم ولا تكون الصفة
مثالا لآدم عليه السلام فيخلق عليها ولا يصح ان يحمل على
صورة بمعنى الصفة وانما حملنا ما اطلق من ذلك الوجه
واليدين والعين على الصفة من حيث لم يوجد في واحد منها
ما يستحيل ويمتنع وليس كلما اضيف الى الله تعالى فهو على طريق
الصفة بل ذلك ينقسم اقساما منها بمعنى الملك ومنها بمعنى
الفعل ومنها بمعنى الصفة وانما يكشف الدلائل ويميز مواقعها
على حسب ما بيناها ورتبنا فاعلم ان شاء الله تعالى ٭ ذكر خبر
آخر وتأويله ٭ فان قيل فما تقولون فيما روى عكرمة عن ابن
عباس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربي
في صورة شاب امرد عليه حلة حمراء وفي بعض الاخبار ان
عبد الله بن عمر ارسل الى عبد الله بن عباس يسأله فقال كان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فارسل عبد الله بن عباس
نعم قد رآه في صورته على كرسي من ذهب في صورة شاب
رجل ٭ ~~وفي خبر آخر عن عكرمة في صورته على كرسي من ذهب~~
~~يحف به اسد من ذهب في صورة شاب~~ رجل وفي خبر آخر
عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى
قال رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه بعينيه حتى بتحتين التاج
المحوص باللؤلؤ ٭ وعن الحكم بن ابان قال سمعت عكرمة يقول
سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد ربه قال نعم قال فقلت
لابن عباس اليس الله تبارك وتعالى يقول لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار فقال لا ام لك ذلك نوره اذا
تجلى بنوره لم يدركه شيء ٭ وعن عمارة بن عامر عن ام الطفيل
انها سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يذكر انه
رأى ربه في صورة شاب موفر رجلاه يصر عليه نعلان
على وجهه فراش من ذهب ٭ وعن سالم مولى مسلم بن يزيد
قال خرجت من مسجد الرسول عليه الصلوة والسلام فرأيت
عكرمة ~~مولى ابن عباس~~ لا تبرح حتى اشهدك على قول هذا
الرجل فاذا الرجل معاذ بن جبل قال اخبرني ما اخبرك ابوك

ما اضيف الى الله ينقسم اقساما

حديث

رأيت ربي في صورة شاب امرد عليه حلة حمراء

عن ابن عباس

مولى ابن عباس قال

قال

قال حدثني ابي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حدثه انه
رأى رب العالمين في حصر بين الفردوس الى نصف ساقيه
في صورة شاب يلتمع البصر ٭ ذكر تأويل ذلك ٭ والكلام
في تخريجه على الوجه الذي يليق بصفة الله تعالى مما لا ينقض التوحيد
ولا يؤدي الى تكذيب الرسول عليه الصلوة والسلام فاول
ما في ذلك ان احد عقد التوحيد واركانه توحيد ذات الله
عز وجل على المعنيين اللذين تقدم ذكرهما في اول الكتاب
من نفي الانقسام واستحالة التبعيض عليه والثاني افراد
التدبير في انشاء المخترعات وذلك من الاصل الواجب
في تصحيح عقد التوحيد وهو مما لا يسوغ ان يرد السمع الا
بتحقيقه وتثبيته ولا يجب ان يرد بنقضه وابطاله خبر
صادق على وجه من الوجوه الا ان يكون المراد به ما لا يرجع الى
وصفه عز ذكره بذلك ويكون له طريق في التأويل مما لا
يأباه عقل ولا ينكره سمع على النحو الذي نبينه ونرتبه بعد
٭ ثم بعد ذلك فان حمل هذه الاحاديث التي ذكر فيها
هذه الاوصاف التي ذكرناها في هذا الفصل مما تدور على
عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وقد ضعف اهل العلم
بالجرح والتعديل عكرمة في روايته وروي عن ابن عمر رضي الله عنه
انه قال لنافع لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس
واذا كان مداره في الاحاد عليه وهو عند اهل النقل ضعيف
كان ذلك احد ما يوهنه ٭ ومع ذلك فان قبله قابل وحكم
بصحته حاكم وطلب لذلك وجها من التأويل يطلب به التخلص
من التشبيه ليجمع بين قبول هذا الخبر وبين ما يعتقد في التوحيد
كان طريق ذلك ممكنا من وجوه احدها ان يكون معنى
ذلك انه يحتمل ان يكون اراد صلى الله تعالى عليه وسلم به
انه ممن لا يشغله الشواغل التي في حسن الصور والتركيب
على الوجه الذي دبره الله عز وجل وركبه عن الله وعن رؤيته و
طاعته بكونه معصوما محروسا من آفات الشهوات وعوارض
الغفلات معرفا لنا بذلك فضل الله عز وجل عليه فيه وانه

التوحيد

ضعف عكرمة بروايته

ممن لا يلهيه حسن المناظر وانما يرى ربه عز وجل فيها
لاهي على الوجه الذي ذكرنا وتكون فايدته انه لما اسرى
به الى السماء ودخل الجنة ورأى فيها من الزين والآلات
وحسن الصور على تلك المناظر التي وصف في الخبر وان
ذلك يرجع الى ما رأى في الجنة من هذه الخلق وما زينت
بها وانه انما رأى في جميع ذلك ربه لم يقطعه نظره اليها
عنه • ويحتمل ايضا ان يقال ان هذه صفة ترجع الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لان قول القايل رايت زيدا راكبا
يحتمل وجهين احدهما ان يكون الركوب للرائي والثاني ان
يكون الركوب صفة للمرئي واذا احتمل الوجهين وكان
ما ذكر من هذه الصفات مما لا يصح ان يرجع الى الله سبحانه
وجب ان يحمل على الوجه الآخر وهو ان يكون الرجوع فيها
الى الرائي والى ذكر معاينته وصفاته فاذا قلنا بذلك احتمل
الكلام فيه بعد ذلك وجهين احدهما ان يكون ذلك رؤيا
منام كما روي نصا في حديث ام الطفيل عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال عليه الصلوة والسلام رايت ربي
في النوم وذكره ويحتمل ايضا ان يقال ان ذلك وان كانت
رؤية عيان في حال اليقظة فان ذلك يرجع الى النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ويكون المعنى انه كان في حال رؤيته
الله عز وجل في باب الثبات والقوة والتمكن من حاله
من حيث لم يستفزه هذه الحالة ولا ازعجته واوهنته كما
يكون المذكور في الخبر على تلك الهيئة في اتم احواله واقواها
ويكون الفايدة فيه ما خصه الله تعالى عز ذكره به من التمكين
والتلبيث في تلك الحالة واذا احتمل هذا الكلام هذه المعاني
وكانت مفيدة اذا حمل عليها لمعان صحيحة كان حمله عليها
اولى من حمله على ما لا يليق بالله عز وجل • سؤال • واذا
قال قايل فلم لا يحملوا هذه الاوصاف صفات الله عز وجل
ثم يجرونها مجرى الصفات التي ورد بها الكتاب كاليد والعين
والوجه قيل لامور احدها ان هذه الاخبار لم ترد المورد

الذي

الذي يقطع العذر ومع ذلك ففيها ما قد علمت طرقه من
جهة الرواية والآحاد ايضا وانما يعمل خبر الواحد فيما طريقه
طريق العمل على الظاهر دون القطع على الباطن وما جرى
هذا المجرى من الاحكام فان طريقها الاعتقاد والقطع ولا
يمكن القطع بامثال هذه الاخبار وتجويز هذه الاوصاف
في صفات الله عز وجل من هذه الطريقة لا يصح وانما
خرجناها على بعض هذه الوجوه التي ذكرناها لئلا يخلو
نقلها من فايدة والا يكون ورودها كلا وردها والا
يكون خاوياً لمن ابطلها وعطلها واذا امكن ترتيبها
وتخريجها على ما بينا كان فيه اظهار فايدتها وابانة معناها
على الوجه الذي يصح ويليق بالله سبحانه فلذلك حملنا
على ما ذكرنا دون ما قالوا وبالله التوفيق • ثم سالنا
عند انتهائنا الى هذا الموضع في كتابنا ان نتامل تصنيف
الشيخ ابي بكر محمد بن اسحق بن خزيمه رضي الله عنه الذي
سماه كتاب التوحيد وجمع فيه نوع هذه الاخبار
التي ذكرت فيها هذه الالفاظ المتشابهة وحمل ذلك
على انها صفات الله عز وجل وانه فيها لا يشبه سائر
الموصوفين من الخلق فتاملنا ذلك وبينا وجوهها
وما ذهب فيه رحمه الله عن الصواب في تاويله واوهم
خلاف الحق في تخريجه وجمعه بين ما يجوز ان يجري مجرى
الصفة وما لا يجوز ذلك فيه وذكرنا الفاظاً ذكرها
في كتابه الذي رواها وجمعها فيه مما لم يدخل فيما املينا
قبل وبينا معانيها وان كنا قد اومينا الى اصل ذلك
واشرنا الى طريقه • ذكر خبر من ذلك • روي عن
ابي هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه
وهو موضوع عنده ان رحمتي نالت غضبي • وفي خبر
آخر عن ابي هريره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه ان رحمتي

تغلب غضبي؛ بيان تأويله. اعلم ان وصف الله تعالى بان
له نفسا واطلاق القول في ذكره بالنفس مما
لا يأباه وقد بينا فيما قبل ان معنا الاطلاق يرجع الى انه
موجود لان ذات الشيء هي نفسه ووجوده وقد
ورد بذلك نص الكتاب والسنة وعلى اطلاقه اجماع
الامة. واما معنى قوله عليه الصلوة والسلام فهو موضوع عنده ع
وقد بينا ايضا فيما قبل ان معنى عند مما يضاف
الى الله عز وجل يحتمل وجوها احدها ان يراد به الكرامة والثاني في
ان يراد به معنى العلم كما قال جل من قائل واولئك عند الله
هم الكاذبون اي في علمه واما عند على معنى قرب المكان ل
على معنى المسافة والمساحة فلا يليق به عز وجل والذي
يليق بهذا الموضع من معنى عند ان يكون على معنى انه عالم به و
يكون معنى الخبر ان ما كتبه في كتابه معلوم له لا يخفى عليه منه
شيء لم يستعن بكتابته عليه لئلا يذهب علمه به فاما معنى
قوله لما قضى الله الخلق فيحتمل ان يكون معناه لما حكم الله
عز وجل بخلق ما يخلق ويحتمل ايضا قضا بمعنى الاعلام
كقوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب اي اعلمنا
هم فكانه اراد لما سبق في علمه وحكمه انه يخلق ما يخلق خلق
كتابا كتب فيه بمعنى انه خلق فيه كتابا دالة على ما اراد ان
يكون في المستقبل من الاوقات من الحوادث التي تحدث
فيها وهذا كما روي في الخبر الاخر ان اول شيء خلق الله تعالى
القلم ثم خلق اللوح فقال له اجر بما هو كائن الى يوم القيمة
. واما معنى قوله ان رحمتي تغلب غضبي فقد بينا معنا
الرحمة والغضب في صفات الله تعالى عز وجل وان
ذلك يرجع الى صفة واحدة هي رحمة وتوصف بانها ارادة
لينعم من علم انه ينعمه بكراماته في الجنة وكذلك يقال هذه
الصفة غضب اذا كانت ارادة لتعذيب من علم
انه يعذبه بعقوبته في النار من الكافرين ثم يقال للصادر
عن رحمته رحمة كما يقال للكائن عن قدرته قدرة وللكائن

عن

معنى اضافة عند الى الله عز وجل

قضى الله

من امره امر وكذلك يقال للكائن عن غضبه غضب
على هذا الوجه ايضا وانما حملنا ذلك على هذا الوجه
لئلا يصح فيها التسابق والتزايد والسبق والغلبة لان
ما هو صفة له سبحانه مما هو الرحمة والغضب على الحقيقة لا
يجوز وصفه بالتسابق والسبق والغلبة واذا ربت على
هذا المعنى كان تقدير نحوها افادتنا بذلك ما يظهر
من رحمته لاهل الرحمة ومن غضبه لاهل الغضب وان من
رحمه فقد غلبت رحمته عليه على معنى وصول القضا در
عنه اليه وظهر ذلك عليه ظهورا بانه ممن وصل اليه
الكائن من غضبه وذكرنا نحو ذلك من الوجوه في تأويله
فيها مما يغني عن اعادته. واما معنى قوله كتب بيده
على نفسه فقد اوضحنا انا لا نأبا القول باطلاق يد هي صفة
لا نعمة ولا قدرة اعتمدنا في ذلك نص الكتاب
والسنة واجماع الامة على اطلاقها واضافتها الى الله عز
وجل والقول في ذلك مقصور على ما ورد فيه الخبر ان
الخبر ورد مقيدا بذكر اشيا مخصوصة مضافة الى اليد
فلا يجوز ان يتعدى ما ورد به الخبر لاجل ان اصل اطلاق
هذه الاضافة والصفة الخبر ولا مجال للعقل فيه وكذلك
القول في تقييده في الموضع الذي قيد فيه لا طريق
له غير الخبر. وقد روي انه كتب التوراة بيده وغرس س
شجرة طوبا بيده. فاما خلق آدم بيده فهو نص
الكتاب ومعنى قولنا كتب بيده اي خلق كتابه فيما
خلق فيه من اللوح او غيره مضافة الى الصفة المضافة اليه
بذكر اليد ووصفها تخصيصا وتبيينا وتمييزا من جهة التفضيل
وقد تكلمنا على المعتزلة قبل ذلك وتغييرهم لذلك وحملهم
ما اطلق من ذكر اليد في الكتاب والسنة على معنى الذات ت
او على معنى القدرة او النعمة بما يغني عن رده معا هنا.
ذكر خبر اخر مما ذكره فيه صاحب هذا التصنيف بزيادة
لفظ لم يجر فيما تقدم ذكره مع تفسيرنا المعظم ما رو

فيه وكشفنا عن اصله في ذكر اضافة الوجه الى الله عز وجل
* روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان المراة
عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان فاقرب
ما يكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها * وفي حديث
آخر مما ذكره في هذا الباب انه قال ما التمست المراة
وجه الله بمثل ان تقر في بيتها وما ذكر ايضا روى ابو سعيد
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال في صفة اهل
الجنة وما بين القوم وبين ان ينظروا الى وجه ربهم
في جنة عدن الا رداء الكبرياء على وجهه ثم ذكر هذا
القائل ترجمة باب في هذا النوع زيادة لفظة توهمها
معنى الخبر وليس في ذلك نص وهو ان قال باب
ذكر ضوء وجه ربنا وذكر فيه الخبر الذي ذكر فيه الاسبحات
الوجه متوهما ان ذلك يرجع الى الضوء * ذكر بيان
تأويل ما ذكر وما زيد فيه على ما ذكرنا وابانة خطا هذا
المتوهم * واما قوله عليه الصلوة والسلام واقرب ما يكون
من وجه ربها وهي في قعر بيتها والمراد بذلك احد وجهين
احدهما ان يكون معناه اقرب ما يكون من طاعة ربها
الذي الوجه صفة من صفاته تعالى * والثاني ان يكون
المعنى فيه واقرب ما يكون من وجه ربها اي من قصد
وجه ربها وطلبه والاخلاص في طاعته ويكون الوجه بمعنى
الاتجاه والتوجه نحو الشيء والقصد اليه * ومثله قوله
في الخبر الآخر ما التمست المراة وجه الله بمثل ان تقر في بيتها و
التأويل فيه على الوجهين ايضا واما قوله عليه الصلوة والسلام
في صفة اهل الجنة وما بين القوم وبين ان ينظروا الى وجه ربهم
في جنة عدن الا رداء الكبرياء على وجهه فمعناه النظر الى الله
عز وجل الذي له الوجه على ما قلنا في وجهه وقوله في جنة
عدن فان ذلك يرجع الى الناظر لا الى المنظور اليه لما تقدم
ذكره فاما قوله الا رداء الكبرياء على وجهه فيحتمل ان يكون
المراد به الا ما له من صفة الكبر ونعت العظمة من حيث

له

له ان ينفعهم النظر ولا يتفضل عليهم به معرفا لهم بذلك ان
النظر الى الله عز وجل ابتداء نعمة وفضل وله ان يتفضل عليهم
به معرفا لهم بذلك ان النظر الى الله عز وجل ابتداء نعمة وله ان لا
يتفضل به لانه المتصف بالكبر والمنعوت بالعظمة وله ان
يتفضل وان لا يتفضل وقد تقدم تأويل قوله الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري والمراد به ان ذلك صفة من صفاته
ونعت من نعوته واما قول هذا المصنف في الترجمة باب ذكر
ضوء ربنا عز وجل فغلط منه ونقض لاصله في ان هذا الباب
لا ~~يتجاوز~~ المنقول والمنقول وانه لا يجوز ان يزاد فيه ما لم — لا يتعدى به صح
يرد به نص خبر ولم يذكر في شيء من هذه الاخبار التي ذكر
فيها الوجه هذه اللفظة بل انما توهم هذا القائل من طريق
التأويل ان معنى سبحات وجهه من طريق الضوء فزاد في
وصفه ما لم يرد فيه نص وقد ذكرنا تأويل السبحات وما — ويل
قوله حجابه النور وحجابه النار على حسب ما روي ولا يجوز
ان يعتقد فيه ما يجب منه وصفه بالضوء لفظا ولا معنى
لما ذكرنا فيما قبل ولذلك تأولنا قوله تبارك وتعالى الله
نور السموات والارض على الوجه الذي يصح في وصفه انه
نور لا على معنى اثباته نورا مضيئا ذا شعاع * ذكر زيادة
لفظة اخرى مما ذكرها هذا القائل في باب اثبات اليد
* روي عن الشعبي قال سمعت المغيرة بن شعبة على منبره
يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى عليه
السلام سال ربه عز وجل فقال يا رب اخبرني ادنى اهل الجنة
منزلة قال هو عبد ياتي بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة واخذوا
منازلهم فيقال له ادخل فيقول كيف ادخل وقد سكن
اهل الجنة الجنة واخذوا منازلهم فيقال له اترضى ان يكون
لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا او مثل ملكين
وقيل مثل ما كان لثلاث ملوك قال رب رضيت قال لك
مثله ومثله ومثله وعشرة اضعافه ولك منها ما اشتهت
نفسك ولذت عينك قال رب واخبرني باعلاهم منزلة

قال سوف اخرك غرست كرامتهم بيدي وختمت عليه
ثم لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر مصداق ق
ذلك في كتاب الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين الاية ❊ ذكر تاويله ❊ اعلم انا قد بينا ان اطلاق
وصف الله عز وجل بان له اليدين لا جارحتين ولا نعمتين
بما ورد به نص الكتاب والسنة ~~وقد تقدم ذلك وتحقيق~~
~~معناه على الوجه الذي يكون فيه اتباع الكتاب والسنة~~
وقد تقدم ذلك وتحقيق معناه على الوجه الذي يكون فيه
اتباع الكتاب والسنة من غير تعطيل ولا تشبيه ❊ فاما
قوله وختمت عليه فيحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد بذلك
اني حكمت لهم به حكم العطاء والهبة لهم والتفضل عليهم بها
وهذا مثل ما يجري في قول القائل ختمت عليك انك تفعل
او لا تفعل بمعنى اني حكمت عليك واوجبت اليك و
خصصتك به ❊ والوجه الثاني ان يكون معناه وجعلت
لك خاتمة افضالي عليهم قد رأوه منزلة لا غاية ونهاية
انا به لهم بهذا التفضيل واختصاصا لهم بهذا التشريف وقد
بينا فيما قبل ان مثل هذا الكلام انما يجري على معنى التفضيل
في العادة وتخصيص المذكور بزيادة رفعة وشرف فيه واذا
احتمل ذلك كان الاولى ان يحمل ذلك عليه دون ان
يحمل على ما لا يليق بالله سبحانه من وصفه بالالة والجارحة
واظهار الافعال بالمباشرة والمعالجة تعالى عن ذلك
ومن اوهم ذلك في تاويله فقد اخطأ ومن نفى الوصف
باليد فقد عطل وعدل عن لفظ الكتاب والسنة ❊ وقد
روي في خبر اخر رواه ابو موسى الاشعري عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل
ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء
الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ❊ واعلم انه ليس ينكر استعمال
لفظ اليد على معنى النعمة وكذلك استعماله على معنى الملك
والقدرة وقد يجري في كلام الناس بلا خلاف

بينهم

بينهم ان الامور كلها بيد الله عز وجل وان ايادي الله تعالى
على خلقه كثيرة كما يقولون ان امور الخلق تجري بقدرة الله
وان نعم الله على خلقه وافرة وليس اذا استعملت لفظة
اليد في النعمة والملك والقدرة وجب ان يكون محمولا على
ذلك في كل موضع اطلق فيه وكذلك اذا قلنا ان معنى اليد
في هذا الخبر بمعنى النعمة لم يمتنع ولم يمنع ان يكون ما ذكر في قوله
لما خلقت بيدي لا يكون على معنى النعمة والقدرة واذا كان
كذلك فلو تاول متاول هذا ها هنا وهذا هاهنا على معنى النعمة
لم ننكر ذلك عليه على ان نص الكتاب قد ورد ببسط
اليد وهو قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فانكر الله تعالى قول
اليهود لما قالوا يد الله مغلولة ورد عليهم فقال غلت ايديهم
ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء و
لم ينكر عليهم اطلاق اليد ولا رد عليهم اضافتهم اليد اليه بل
اثبتها لنفسه ووصفها بالبسط ❊ فصل اخر ❊ وذكر
صاحب كتاب التوحيد في ترجمة باب ما يوهم فيه الغلط
وهو ان قال باب اثبات الله عز وجل وان زعمت انوف
المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل
ثم احتج لذلك ايضا بقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها وبقول
امية بن ابي الصلت ❊ رجل وثور تحت رجل يمينه و
النسر للاخرى وليث مرصد ❊ وان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم صدقه فقال صدق امية بن ابي الصلت واعلم
ان موضع الغلط في ذلك ما اوهم ان القول باضافة الرجل
الى الله سبحانه يجري مجرى القول باضافة اليد اليه وقد بينا
فيما قبل ان نصوص الكتاب والسنة على الوجه الذي لا يحتمل
التاويل فيه غيرها فلما مع اطلاق الامة باسرها عليها و
تحجبها بالمفارسة والوحشة اضافة اليد الى الله عز وجل و
اجماعهم على استجازة ذلك وترك انكاره مع ان الاكثرين
على انكار القول باضافة الرجل الى الله تعالى وانكار الجمع من اهل
العلم والنظر من مثبتي صفات الله عز وجل ومنكريها ان

تعالى ان الرجل صفة من صفات الله عز وجل وأما تأول
من تأول منهم الخبر الذي اطلق فيه لفظ الرجل على معنى اضافة
الملك والخلق لا على معنى الصفة ❊ فاما احتجاجه بقوله تعالى
ألهم ارجل فغير صحيح في هذا الموضع من قبل ان الله عز وجل
انما اراد به رد الكافرين عن عبادة الاصنام وعرفهم انهم يعدلو ن
عن عبادة من له رجل يمشي بها ويد يبطش بها وعين يبصر بها
واذن يسمع بها فكيف يعبدون من ليس له شيء من ذلك
يفرعهم على عبادة الاصنام التي هي جماد وموتان ليس لها
فعل ولا قدرة ولا تسمع ولا تبصر واذا كان القصد بالآية
الى ما ذكرنا لم يكن فيها ما يوجب اثبات وصف الله عز وجل
بالرجل كما ليس فيها ما يوجب وصف الله سبحانه بالاذن
ولا ما يوجب وصفه كان له ارجلاً وايدياً والمتمسك بظاهر
الآية محتجاً بها على ما ذكر يوجب عليه ان يكون الامر فيه على
ما خلنا من اثبات ما اجمع المسلمون على انكاره من القول بالايدي ل
والارجل والاذان والاعين ❊ ثم ذكر صاحب هذا التصنيف
في الباب الذي ترجمه بذلك ما روي عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انه قال يضع الجبار قدمه في النار وقد
ذكرنا تأويل ذلك فيما قيل على وجوه تقدم ذكرها الا على
معنى اثبات القدم صفة لله عز وجل ولم يذكر رواة هذا
الخبر لفظ الرجل الا بعضهم قال في جزء حتى يضع الجبار رجله
او قدمه فاحتمل ان يكون لما التبس عليه اللفظ وتوهم ان
القدم لا يكون الا رجلا ذكر بدل القدم الرجل واكثر
الفاظ هذا الخبر بذكر القدم وانه يضع فيها قدمه ولا يخلو
الكلام من ثلثة اوجه اما ان يكون على معنى اضافة الصفة
اليه وهذا مما يمنع منه الخبر لانه قال فيه فيضع فيها قدمه وقدم
الصفة لا يجوز وصفها بالوضع في المكان واما قدم
الجارحة فلا تليق بالله سبحانه لانه يستحيل ان يكون اجزاء مؤلفة
واجساما مركبة وقد تبينا فساد ذلك فيما قبل فلم يبق الا
ان معنى القدم الذي اضيف اليه في هذا الخبر بمعنى الخلق والملك

على احد

على احد الوجهين اللذين ذكرنا تأويلهما او على ما قاله النضر
بن شميل ان ذلك على ما تقدم في علم الله عز وجل
ممن يكفر من خلقه وعليه يتأول قول من روى في هذا الخبر حتى
يدلي فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول
قط قط وذلك بادلا الخلق فيها وهم القدم على معنى انهم
هم الذين تقدم لهم العلم من الله جل ذكره بانهم يدخلو نها
❊ ولم يذكر صاحب هذا التصنيف في الباب الذي ترجمه
بالرجل الا ذكر القدم سوى ما ذكر في بعض هذا الخبر من
الراوي على طريق الشك حتى يضع قدمه فيها او رجله فبان له
انه عدل عن الصواب واوهم الخطأ بترجمة الباب بما ليس
فيه وهذا النحو مما يضيق فيه الامر حتى لا يمكن التوسع فيه بوجه
من جهة الرأي والهوى لانه موضع لا يعتمد فيه الا على الخبر من
الكتاب والسنة الصحيحة ❊ وما توهم انه يزعم به الوقف
الجهمية من ترجمة الباب بذكر الرجل مع خلو الباب من ذكره
على وجه الصحة فهو على خلاف ما توهمه ❊ ثم ذكر صاحب
هذا التصنيف ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهم انه قال في قوله تعالى وسع كرسيه
السموات والارض ان الكرسي موضع القدمين والعرش
لا يقدر قدره ❊ واعلم انه قد روي عن ابن عباس في تأويل
الكرسي شيئان احدهما ان معنى الكرسي العلم وان معناه و سع
علمه السموات والارض وروي عنه ان الكرسي موضع القدمين
ولم يذكر قدمين من يحتمل ان يكون موضع قدمين لبعض
خلقه من الملائكة او غيرهم اذ لم يقل هو موضع قدمي الله عز ذكره
ولو قيل ذلك ايضا لكان متأولا على الوجه الذي يصح
كما ذكرنا في قوله يضع الجبار قدمه في النار وقد بينا فيما قبل
ان القدم هو الشيء المتقدم في اللغة وان المتقدم تارة بالو جود
وتارة بالصفة وتارة بمعنى تقدم العلم به ويحتمل ان يكو ن
الكرسي موضعا لنوعين من خلقه مما قدم خلقه لهما واذا
احتمل لفظ القدم ما ذكرنا من المعاني ولم يكن يختص معناه

بالجارحة فقط كان الاولى ان يحمل على ما يصح من وصف
الله تعالى دون ما يستحيل فصل آخر ثم ذكر صاحب
التصنيف بابا ترجمه بالاستواء على العرش واوهم معنى
التمكن والاستقرار وذلك خطأ لان استواءه على العرش
سبحانه ليس على معنى التمكن والاستقرار بل هو على معنى
العلو بالقهر والتدبير وارتفاع الدرجة بالصفة على الوجه
الذي يقتضي مباينته ثم ذكر في هذا الباب منقطعا
عن عمر رضي الله تعالى عنه ان امرأة اتت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم فقالت ادع الله لي ان يدخلني الجنة فعظم الرب
تبارك وتعالى ثم قال ان كرسيه وسع السموات والارض
وان له اطيطا كاطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله وقد
بينا تأويل هذا الخبر فيما قبل واوضحنا ان معنى ثقله على حملة
الحملة ثقل التعظيم والاجلال لا ثقل الجثة وذكرنا قول القائل
الحق ثقيل مر وليس ذلك على معنى الثقل بالوزن وبينا
انه لا ينكر ان يخلق الله تعالى اطيطا في الكرسي ويكون ذلك
علامة للملائكة فيما يريد ان ينزل من العقوبة ببعض خلقه
فيثقل ذلك عليهم ثقل استثقال بما يكون فيما يجدد
لهم من الهيبة والاجلال • ثم ذكر ايضا حديث اسماء
بنت عميس قالت كنت مع جعفر بارض الحبشة فرأيت
امرأة على رأسها مكتل من دقيق فمرت برجل من الحبشة
فطرحه عن رأسها فنسفت الريح الدقيق فقالت اكلك
الى الملك يوم يقعد على الكرسي ويأخذ للمظلوم من
الظالم • واعلم انه كما لا يصح ان ينفى عن الله عز ذكره ما
اطلقه لنفسه من الصفة براي اهل الاهواء الذين لا يوثق
بهم كذلك لا يصح ان يضاف الى الله عز وجل وصف من
غير ان يكون مضبوطا عمن يوثق به وقول هذه المرأة فيما
لم يوثقه دليل ولا حجة فيه في اثبات صفات رب العالمين
وكيف يستجيز ذلك مثل هذا الخبر في اثبات صفات الله
عز وجل وليس ذلك مما اثبته نص كتاب ولا سنة و

لو ثبت ذلك لكان محمولا على ما يحمل عليه سائر اوصاف
افعاله كنحو ما ذكر في تنزله الى سماء الدنيا وما ذكر في قوله
جل ذكره واتاه الله بنيانهم من القواعد والاصل في ذلك
ثبوت اللفظ بنص في كتاب الله او سنة رسول الله من طرق
موثوق بها ثم يرتب عليه التأويل فاما ولم يثبت من طريق
صحيح لفظ القعود في سنة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فلا وجه للتعلق به • وقد ذكرنا عن مجاهد فيما قبل تأويله لقوله
تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا انه يقعده على
العرش معه ولم ينكر اقعاد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
العرش وتأولنا لفظة معه على ما يليق به من معنى النصرة و
المعونة لانها لفظة مشتركة مستعملة في معنى العلم كقوله وهو
معكم اينما كنتم وبمعنى النصرة كقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
واما الذي يكون بمعنى المجاورة فلا يليق به جل ذكره فصل
آخر ثم ذكر صاحب هذا الكتاب الذي ذكرنا قبله
في ترجمة باب ذكر البيان ان الله جل وعلى في السماء • واعلم
انه ليس بشيء ينكر قول من قال ان الله في السماء لاجل ان الكتاب
قد ورد به وهو قوله أأمنتم من في السماء ومعنى ذلك انه
فوق السماء لا بمعنى فوقية التمكن في المكان لان ذلك صفة
الجسم المحدود والمحدث ولكن بمعنى ما وصف به انه فوقها من طريق
الرتبة والمنزلة العظيمة والقدرة ثم ذكر هذا القائل في ذلك
قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه و
قوله جل ذكره بل رفعه الله اليه وهذا منه غلط من قبل ان صعود
الكلم الطيب اليه ليس على صعود من سفل الى علو بالتنقل
لاستحالة ذلك على الكلام لكونه عرضا لا يبقى وكذلك
العمل الصالح وانما معنى صعود الكلم الطيب اليه قبوله ووقوعه
عنده موقع الجزاء والثواب وقوله يرفعه لا على معنى رفع
من مكان الى مكان ولكنه رفع له على معنى انه قد يقبل وان
الكلام اذا اقترن به العمل الصالح قبل دون ان ينفرد الكلام
عن العمل فاما قوله تعالى في قصة عيسى ثم رفعه الله اليه

لعله فاما ما لم يثبت

معنى صعود الكلم الى الله

انه رفعه الى الموضع الذي فيه غيره لا يذكر ولا يعبد فيه الا الله
لا على معنى انه ارتفع اليه كما يرتفع الجسم من سفل الى جسم
في علو بان يقرب منه بالمسافة والمماسة ثم ذكر قوله
تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وتوهم انه يحتج على الجهمية
فقال اليس العلم محيط يا ذوي الالباب ان الله عز وجل
لو كان في كل مكان ومع كل بشر وخلق كما زعم المعطلة
الجهمية لكان متجليا لكل شيء وكذلك جميع من في الارض كما
دك الجبل وهذا منه وهم فاسد من قبل ان تجلي الرب
سبحانه للجبل على معنى انه جعل الجبل حيا عالما رائيا حتى رأى الله
سبحانه ثم ذكر عند الرؤية علامة لموسى عليه السلام انه
لا يراه احد في الدنيا الا دكه سوى من خصه بالرؤية ابانة
وتشريفا وليس معنى تجلي الله سبحانه لخلقه بان يكون معهم
بالمماسة والصحبة في المكان والمجاورة ولا ذلك مذهب
المخالفين ايضا حتى يتوهم عليهم انه يجب عليهم اذا قالوا
ان الله في كل مكان ما قال وانما يلزم مخالفه ما لا يلزمهم ويتوهم
عليهم ما لا يقولونه ويتوهم لذلك الخطأ في التأويل والمذهب
ليعلم انه لا يبني كلامه على اساس صحيح اختل عليه واضطرب
فلم يصح منه مذهبه ولا افسد مذاهب مخالفيه ثم ذكر في تاييد ذلك
ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لفاطمة رضي الله
تعالى عنها وهي تسأله خادما قولي اللهم رب السبع ورب
العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والانجيل والفر
قان والقرآن العظيم فالق الحب والنوى اعوذ بك من كل شر
انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شيء وانت
الاخر فليس بعدك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر
واعلم ان هذا الخبر يبين صحة ما قلنا في تأويل وصف الله جل
ذكره انه فوق كل شيء لا بمعنى المسافة والمماسة وذلك
ان كل من كان فوق شيء على معنى المماسة والتمكن والعلو
عليه على هذا الوجه كان دونه شيء وهو على ما عليه من المكان.
فلما ابان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليس دونه شيء

علمنا

علمنا ان معنى انه فوق كل شيء لا على معنى التمكن والمماسة
والمسافة وقد اوهم هذا القائل خلاف ذلك وهذا الذي
روي من الخبر يدل على فساد ما اوهمه ثم ذكر في هذا الباب
ايضا ما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ان الملائكة تحضر الميت فاذا كان الرجل الصالح قيل اخرجي ايتها
النفس الطيبة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان
فيقولون ذلك حتى تخرج واذا اخرجت عرجت الى السماء
فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال مرحبا بالنفس
الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري
بروح وريحان ورب غير غضبان كذلك تنتهي الى السماء
التي فيها الرب تبارك وتعالى وكذلك ما ذكر عن عمران بن حصين
حصين ان قريشا جاءت الى الحصين وكانت تعظمه و
قالت له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر الهتنا ويسبهم فجاؤا
معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودخل
الحصين فلما رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اوسعوا
للشيخ فقال حصين ما هذا الذي يبلغنا عنك انك تشتم
الهتنا وتذكرهم وقد كان ابوك حصينا وخيرا فقال يا حصين
ان ابي واباك في النار يا حصين كم من اله تعبد اليوم فقال
سبعة في الارض واله في السماء فقال اذا اصابك الضر
لمن تدعوا قال الذي في السماء قال واذا هلك المال من تدعوا
قال الذي في السماء قال يستجيب لك وحده وتشركهم معه
الحديث بطوله اعلم ان معنى قوله صلى الله تعالى عليه و
سلم حتى ينتهي الى السماء التي فيها الرب يحتمل وجها احدها
ان يكون معناه الى السماء التي فيها خزاين الارواح وشايع ان يقال
ان مثل ذلك في اللغة كقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل
والمعنى حب العجل وقد ذكرنا فيما قبل انا لا ننكر القول بان الله
في السماء اتباعا للفظ الكتاب ولكنا نابا ان يكون معناه
على معنى كون الجسم في الجسم بالتمكن عليه وفيه لان ذلك
يؤدي الى القول بحدثه وبعضه تعالى عن ذلك وتأولنا

ايضا حديث الجارية لما قال لها اين الله فقالت في السماء
فلم ينكر عليها بل قال اعتقها فانها مؤمنة وثابت اشارتها
مناب اقرارها ودلت على ما في قلبها من الاخلاص والمعرفة
بالله وكذلك شهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بايمانها
فصل آخر ثم ذكر صاحب هذا الكتاب الذي اوردنا
اصلاح بعض ما غلط في ابهامه واخطأ مذهب الحق في ايراد
حديث النزول وقد بينا تاويله فيما قبل غير انه ذكر في قصته
الفاظ اقتصر على تاويلها فذكر من ذلك ما روي فضالة
بن عبيد عن ابي الدرداء عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ان الله تبارك وتعالى في ثلث ساعات
يبقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الاولى الذي لم يره
احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ثم ينزل في الساعة
الثانية الى جنة عدن التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر
ولا يسكنها من بني آدم غير ثلثة النبيين والصديقين والشهداء
فيقول طوبى لمن دخلك ثم ينزل في الساعة الثالثة الى سماء
الدنيا بروحه وملائكته فتنتفض فيقول قومي بعزتي ثم يطلع
الى عباده فيقول هل من مستغفر فاغفر له هل من داع فاجيبه
حتى يكون صلاة الفجر ولذلك قال وقرآن الفجر ان قرآن الفجر
كان مشهودا فيشهده الله تعالى وملائكته الليل والنهار و
قد ذكر في بعض الفاظ هذا الحديث في خبر آخر ثم ينظر في الساعة
الثانية في عدن وهي مسكنه لا يكون معه فيها الا النبيون والصديقون
والشهداء وفيها ما لم تره عين ولم يخطر على قلب بشر ثم يهبط
في الساعة الثالثة الى سماء الدنيا فيقول هل من سائلني فاعطيه
الخبر . اعلم ان الذي يجب ان يبين في تاويل هذه الزيادة
ينظر هذا بعد ذكر ما تقدم معنى النزول وتاويله قوله ثم ينظر في عدن و
هي مسكنه ومعنا ذلك انها دار كرامته ومثوبته وهذا
كقولنا الكعبة بيت الله وهي ايضا اضافة تشريف وتخصيص
لا على معنى انه يسكنها سكون مجاورة لكنها مسكن الساكنين
من انبيائه واوليائه وهي له مسكن على معنى اضافة التخصيص

و

والتشريف وقوله لا يكون معه فيها الا المتقون والنبيون
فيها بالحلول والسكون وانه جل ثناؤه معهم بالنصرة و
الكرامة على ما تقدم ذكره في ابانته مع . واما قوله ثم يهبط في
الساعة الثالثة فعلى نحو معنى قوله ينزل وذلك اخبار عن
فعل يفعله كما روينا عن الاوزاعي في تاويل قوله ينزل الله انه
قال ويفعل الله ما يشاء . واما معنى قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت
فليس ذلك على معنى تغيير حكم قد استقر بامر يبدو له و
لكنه على معنى ما له من تغيير الاحوال وتصريف الاسباب على
ما يشاء ويريد . واما قوله ثم ينظر في الساعة الثانية فليس
ذلك بمعنى نظر الرؤية ولكنه نظر بمعنى التعطف والرحمة وهو
ما يبديه من نعمه ويجدده من كراماته واما قوله عليه الصلوة و
السلام ثم ينزل في الساعة الثالثة الى سماء الدنيا بروحه
وملائكته فيحتمل ان يكون الروح جبريل اضافه اليه تشريفا و
ابانة بالذكر تخصيصا وقد ذكره في كتابه تعالى فقال نزل به
الروح الامين على قلبك يعني جبريل عليه السلام . واعلم
ان قوله ينزل بملائكته الى سماء الدنيا يؤيد ما نقول انه ازال
فعل وانه نزول بمعنى ما يحدث عن امره ويضاف اليه
لاجل انه عن امره حدث كقول القائل ضرب الامير اللص
اذا امر به فصل آخر ثم ذكر صاحب هذا الكتاب و
لم يختلفوا ابوابا في ان الله عز وجل كلم موسى موهما فيه خلاف
ما بين الناس ولم يختلفوا على تفاوت مذاهبهم في ان الله
كلم موسى عليه السلام وخصه بالتكليم بما ابانه من غيره وتكلف
ع ذكر اي وسنن في ذلك ولا معنى لتكلفه ما اغنى عنه الاظهار
وزوال الخلاف فيه بين اهل الصلوة كلهم وانما اختلفوا
في معنى ذلك ولم يقوله ولا قصد موضع الخلاف . ثم ذكر
بعد ذلك ترجمة افرد بها جميع ما تقدم ذكره وما تاخر
مما ينتحله من القول بان القرآن غير مخلوق وانه كلام الله سبحانه
وتعالى لم يزل فقال باب في معنى صفة تكلم الله بالوحي والنداء
وان كلام ربنا لا يشبه كلام المخلوقين لان كلام الله تعالى

متواصل لا سكت بينه ولا صمت لا ككلام الآدميين
الذي بين كلامهم صمت وسكت لانقطاع النفس أو
التذكر أو العي • واعلم أنه قد نقض بهذه الترجمة ما هو أصل من
أصول السنة في أن كلام الله تعالى غير مخلوق ولا محدث و
أنه لم يزل كلاما لله تعالى وذلك بما ذكره في قوله أنه كلام
متواصل لا سكت بينه من قبل أن ما كان كذلك فالثاني
متجدد بعد الأول وكذلك الثالث بعد الثاني وما كان
كذلك كان حادثا مخلوقا ولم ترد الجهمية القائلون بخلق
القرآن على ذلك لما قالوا أنه كلام ما يجدده حالا فحالا ويجدده
مرة بعد أخرى فنقض ما أسس وهدم ما بنى وقد تقدم من
شرط واضع هذا الكتاب في باب صفات الله تعالى
وكيفيتها • على هذا الوجه وأنه يجريها مجرى التسليم دون
البحث والتغيير وهذا منه نقض لذلك الأصل ثم توهم أن
ما روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
حجته في ذلك وهو قوله إذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع
أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا قال صلى الله عليه وسلم
فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام
فإذا أتاهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال
ربك قال فيقول الحق فينادون الحق الحق • وفي حديث
عكرمة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إذا
قضى الله تعالى في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا
بالقوله كأنها سلسلة وإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا
قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير • وفي بعض الأخبار
فيفزعون يرون أنه من أمر الساعة قال فيسمعها مسترقو
السمع وهم كذا واحد فوق آخر وأشار سفيان بأصبعه و
ربما أدرك الشهاب المستمع فيحرقه وربما لم يدركه فيلقيها
على فم الساحر والكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس
قد قال كذا وكذا فوجدناه حقا فيصدق بالكلمة التي تسمع
من السماء فاعلم أن هذا الخبر مما تقدم تأويله ومما بيننا

انه انما

انه انما أثبت الصلصلة للسماء وبين في الخبر الآخر أن ذلك
لضرب الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة
على صفوان ولم يتضمن هذا الخبر شيئا مما ترجم به الباب
في قوله أن كلام الله متواصل لا سكت بينه ولا صمت وإنما
ذلك توهم منه برأيه الفاسد ولو اشتغل بما قدم في أول
كتابه من وعده أنه لا يتعدى لفظ الخبر وما نطق به الكتاب
ولا يزيد فيه من عند نفسه لاستراح من هذا الغلط وأراح
مقلديه فيه وقد بينا فيما قبل أن معنى ذلك راجع إلى العبارات
والدلالات التي هي الطرق إلى الكلام وبما يفهم مراده منه
وأنه ليس معنا قوله إذا تكلم الله بالوحي أنه يجدد له كلام
لكنه يجدد إسماع وإفهام ويخلق عبارات ويصف دلالات
بها يفهم الكلام ثم يقال على طريق التوسعة والمجاز لهذه العبارات
كلام من حيث أنها دلالات عليه وقد مضى شرح
ذلك فيما قبل بما يغني عن رده ها هنا • واعلم أنه لا يصح
على أصلنا في قولنا أن كلام الله غير مخلوق ولا حادث بوجه
من الوجوه أن نقول أن كلام الله تعالى كلام بعد كلام
لأن ذلك يوجب حدوث الكلام وإنما يتجدد الإسماع
والإفهام ونصب العبارات وإقامة الدلائل على الكلام
الذي لم يزل موجودا وحدوث الدلالة والعبارة لا يقتضي
حدوث المدلول المعبر عنه كما أن حدوث الدعاء والذكر
لا يقتضي حدوث المذكور المدعو ولسنا نقول أيضا أن
الله عز وجل إنما تكلم في الأزل ثم لم يتكلم بعد ذلك كما توهمه
بعض من غلط على أصولنا فظن إذا قلنا أن لله كلاما وصفة
لم يزل به متكلما ولا يزال به متكلما فقد قلنا أنه تكلم به مرة ثم
لم يتكلم بعد ذلك حتى حمله إنكار ذلك على القول بأن
الله تعالى يتكلم كلاما بعد كلام لا سكت بينه ولا صمت
فنقض بذلك أصله أن كلام الله تعالى غير حادث ولا
متجدد وأبان عن خفاء مذهبنا عليه وتوهمه خلاف ما هو
به وذلك أنا نقول أن الله لم يزل متكلما ولا يزال متكلما

وانه قد احاط كلامه بجميع معاني الامر والنهي والخبر والاستخبار
وان العبارات عنه والدلالات عليه كثير تتجدد وتتزايد ولا تقتضي تجدد المدلول وتزايده واذا حصلنا
هذا الاصل علمت حقيقة ما نقول وان الغلط في
ذلك انما وقع لمن توهم ان تجدد العبارات تجدد
الكلام ولم يعرف على الحقيقة بين ما هو كلام على الحقيقة
وبين ما هو عبارة عنه ودلالة عليه فصل اخر
ثم ذكر صاحب كتاب التوحيد ابوابا وتراجم في باب
الرؤية وروى اخبارا اكثرها مما ليس فيها ما يشكل معناه
ومنها ما يشكل بعض الفاظه فيقتضي بيانا وتفصيلا غير انه
خلط ما ليس منه وتاول فيه اخبارا لا تدل على ما قال ثم خلط
فيه قوله ان من الكفار من يرى الله عز وجل يوم القيمة
وانه يراه رؤية امتحان وان تلك الرؤية قبل ان يوضع
الجسر بين ظهري جهنم وان ذلك لما يكلم الكفار بالنظر
والابعاد ويكلم المؤمنين بالرحمة والقبول كذلك يراه
زعم بعض اهل الكتاب ويراه المنافقون ولا يجدون
في رؤيته لذة وسرورا وانما تجد اللذة والسرور
في رؤيته المؤمنون فقط ٭ واعلم ان هذه مقالة محدثة
لان الناس في رؤية الله تعالى على مقالتين فمنهم
من قال هي الممتنعة لا يراه كافر ولا مؤمن وهو مذهب
الجهمية والمعتزلة وقائلون قالوا وهم اهل الحق ان رؤية الله
سبحانه جائزة وانما يراه المؤمنون يوم القيمة دون الكفار
لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فاخبر ان الكفار
محجوبون عن رؤية الله تعالى واخبر ان الوجوه الناظرة و
هي المشرقة وهي وجوه المؤمنين المخلصين هي الناظر
الى ربها جل وعز يومئذ فدل على هذا التقييد وهذا النص
على ان الكافرين لا يرون الله تعالى وما كنت اظن ان احدا
قال رؤية الكفار سوى ابن سالم البصري وكان مذهبه
مذهوا فيه مرغوبا عنه مبدعا فيه عند علماء العراق و

الصواب رؤيته للكفار وورود

زعم ط

الناس في رؤية الله فرقتان

الحجاز يهجونه بذلك وينسبونه الى البدعة بهذا القول
حتى رايته لهذا المصنف وقد خص بذلك ايضا بعض
الكافرين لانه قال ان المنافقين وبعض الكافرين يرون
الله تعالى يوم القيمة وكان ابن سالم يذهب الى ان سائر
الكفار يرونه ثم وجدت هذا المصنف تعلق في ذلك بخبر
رواه ابو سعيد الخدري قال سالنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيمة فقال هل تضارون في
الشمس ليس دونها سحاب قلنا لا قال فهل تضارون
في القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب قلنا لا قال فانكم
ترون ربكم كذلك يوم القيمة قال يقال من كان يعبد شيئا
فليتبعه فيتبع الذين يعبدون الشمس الشمس فيتساقطون
في النار ويتبع الذين كانوا يعبدون القمر فيتساقطون في
النار ويتبع الذين كانوا يعبدون الاوثان الاوثان و
الاصنام الاصنام وكل من كان يعبد شيئا من دون الله
فيتساقطون في النار ويبقى المؤمنون ومنافقون بين اظهر
وبقايا من اهل الكتاب قال وقللهم بيده فيقال لهم الا تتبعون
ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله ولم نرى الله عز وجل
قال فيكشف عن ساق فلا يبقى احد كان يسجد لله الا خر ساجدا
ولا يبقى احد كان يسجد رياء وسمعة الا وقع على قفاه ٭ و
في بعض الفاظ هذه الاخبار الا وعلى ظهره طبق كلما اراد
السجود خر على قفاه قال ثم يرفع رؤوسنا وقد عاد لنا
في صورته التي رايناه فيها اول مرة فيقول انا ربكم فيقولون
نعم انت ربنا ثلاث مرات ثم يضرب الجسر على جهنم قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاكون اول من يجوز
من الرسل بامتي ولا يتكلم احد يومئذ الا الرسلون
وفي بعض الفاظ هذا الخبر ويبقى هذه الامة فيها منافقوها
فياتيهم الله في غير صورته فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله
منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه
فياتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقولون انت ربنا

سم

جدًا

فيدعوهم ويضرب الصراط بين ظهري جهنم • وذكر في
بعض الفاظ هذا الخبر ويبقا المسلمون فيطلع عليهم رب
العالمين فيقول الا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله
منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى ياتينا ربنا وهو يامرهم
ويثبتهم ثم يتوارا ثم يطلع فيقول الا تتبعون الناس
فيقولون نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى
نرى ربنا وهو يامرهم ويثبتهم قالوا وهل نراه يا رسول
الله قال وانكم لا تضارون في رويته تلك الساعة
ثم يتوارا ثم يطلع عليهم فيعرفهم بنفسه ثم يقول انا ربكم فاتبعو (في)
فيقوم المسلمون ويضرب الصراط وهم على مثل جياد الخيل
والركاب وقولهم عليه سلم سلم وذكر في بعض الفاظه
ايضا قال ثم يتمثل الله تعالى للخلق فيلقا اليهود فيقول
من تعبدون الى ان قال حتى يبقى المسلمون قال فيقول
من تعبدون فيقولون نعبد الله لا نشرك به شيئا
فيقول فهل تعرفون ربكم فيقولون سبحانه اذا اعترف
لنا عرفناه فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقا
مومن ولا مومنة الا خر لله ساجدا • واحتج ايضا
لحديث سهيل عن ابيه عن ابي هريره قال فيلقا العبد
فيقول الم اكرمك الم اسودك الم ازوجك الم اسخر لك
الخيل والابل قال بلا يا رب قال افظننت انك ملاقي
قال لا يا رب قال فاليوم انساك كما نسيتني قال
ثم يلقى الثاني فيقول ما انت فيقول انا عبدك امنت
بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت
ويثني ما استطاع بخير فيقال له الا نبعث عليك شاهدا
قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه قال فيختم على فيه
ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل
وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي
يسخط الله عليه • قال ثم ينادي منادي الا اتبعت (يسخط)
كل امة ما كانت تعبد قال فيتبع الشياطين اوليائهم

الى

الى جهنم ونبقى ايها المومنون فيأتينا ربنا فيقول
على ما هولاء فيقول نحن المومنون عباد الله امنا بربنا
ولم نشرك به شيئا وهو ربنا وهو ياتينا ويثبتنا وهذا مقامنا
حتى ياتينا فيقول انا ربكم فانطلقوا فينطلق حتى ياتي الجسر
وعليه كلاليب من نار تخطف • عند ذلك حلت الشفاعة
اللهم سلم سلم فاذا جاوز الجسر فكل من انفق زوجا من المال
في سبيل الله مما يملكه فكل خزنة الجنة تقول يا عبد الله يا مسلم تعال
هذا خير فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ~~انه لعبد~~ (ان هذا العبد لا نرى بابا ويلج ولغوم)
لا توى عليه يدع بابا ويلج من ~~اخر~~ اخر فضرب كتفه وقال اني لارجو ان
تكون منهم • ذكر الجواب عنهم عن ذلك • اعلم انا انما
ذكرنا الفاظ هذه الاخبار واستقصيناها من مجموع كلامه لانا
انه لا حجة فيه على ما قال ثم نبين بعد ذلك تاويل ما كان فيه
مشكلا من اللفظ ونظهر صحة معناه على الوجه الذي يليق بالله
عز وجل ولا يودي الى تشبيه بخلقه وقد ذكرنا فيما قبل بعض
هذه الالفاظ وبينا تاويله وطريق تخريجه وتفسيره على
الوجه الصحيح ولكنا نذكر الان ما لم يتضمنه كلامنا قبل ليكون
ما نذكره مع ما سبق ذكره جامعا لمن يهتدي به الى تاويله على
الوجه الصحيح • واما ما ذكر هذا القايل من ان بعض اهل
الكتاب والمنافقون يرون الله عز وجل يوم القيمة روية
امتحان واختبار لا روية فرح وابتهاج احتجاجا بهذا الخبر فلا
دليل له فيه وذلك بان الفاظ هذا الخبر تدور على ثلثة اوجه
احدها ما قيل فيه فيكشف عن ساق ويخرون لله سجدا
وليس في ذلك ذكر اللقا ولا اثبات روية المنافقين وقد
قدمنا معنى قوله يكشف عن ساق على ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال يكشف عن شدة او يكشف عن امر
عظيم يريد به هولا من اهوال القيمة ولم يذكر في هذا اللقا
روية الكفار لله عز وجل واما الوجه الثاني فهو ما قيل فيه
فيطلع الله تعالى عليهم وليس في ذلك مما يختص بمعنى الروية
لان الاطلاع عليهم قد يكون بغير ان يروه بان يظهر لهم

فعلا من افعاله وعلما من اعلامه وآية من اياته واما قوله فيقول
الا يتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك اي من
هذا القول الذي تدعونا فيه الى اتباع الناس وهذا يدل
على ان ذلك لم يكن رؤية اذ لو كان ذلك رؤية عيان
لقالوا نعوذ بالله من هذا القول ولم يقولوا نعوذ
بالله منك فدل على ان هذا الاطلاع على هذا الوجه
الذي ذكرنا ليس هو مما يخص معنى الرؤية فلا دلالة فيه على
ان الكافرين يرون الله تعالى يوم القيمة وكذلك معنى
قوله بعد ذلك ثم يتوارى ثم يطلع فيقول الا تتبعون الناس س
فان ذلك يرجع الى خلق من خلقه ذلك من الملئكة يناديهم
بامر الله عز وجل ويخاطبهم عن وحيه فيكون التواري و
الاطلاع راجعا اليه دون ان يكون راجعا الى الله عز وجل
فاما قوله فيقول انا ربكم فاتبعوني وليس فيه ايضا دليل
على رؤية الكفار لله عز وجل لان هذا خطاب وليس
فيه معنى الرؤية ولا ذكر فيه انهم يرونه بل فيه انه يخاطبهم
بذلك وقد يجوز ان يخاطب الخلق من غير ان يروه فاما
ما قيل في الخبر الآخر ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فيلقى اليهود
فيقول من تعبدون فاعلم انه لا يجوز ان يكون لله مثال
يتمثل به للخلق لاستحالة ان يكون له شبيه ولا مثل بوجه من
الوجوه واذا لم يجز ذلك احتمل معنى هذه الكلمة ان يقال فيه انه
اراد ان خلقا من خلقه ان يتصور لهم من الملائكة ويخاطبهم
بامر الله تعالى فيقال على التوسع تمثيل الله لخلقه والمراد به ملائكته
ووليته كما قلنا انهم يقولون في اللغة ضرب الامير اللص
وانما امر به فينسب اليه الفعل اذا كان عن امره واذا كان
كذلك واستحال ان يكون لله تعالى من خلقه مثال وجب
ان يحمل على ما قلنا وان يكون المتمثل للخلق هو الذي يلقى اليهود
ويخاطبهم عن امر الله عز وجل بقوله من تعبدون فاما معنى قوله
عليه الصلوة والسلام في الخبر الآخر فيأتيهم الله في صورته التي
يعرفون فيقولون انت ربنا فقد تقدم تاويل ذلك وبينا

انه

انه نظير ما في الآية في قوله جل ذكره هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله في ظلل من الغمام وان في بمعنى الباء كذلك قوله فيأتيهم
الله في غير صورته معناه بغير صورته واضاف الصورة اليه
من طريق الملك وقيل ايضا ان الآتي في غير صورته غير الله
جل ذكره بدلالة قوله انهم يقولون نعوذ بالله منك ولو
كان الآتي هو الله تعالى لكان قولهم نعوذ بك ولم يقولوا
نعوذ بالله منك حتى يأتينا ربنا هذا مكاننا فاما قوله فيقولون ن
فاذا جاء ربنا عرفناه فقد بينا عن الرب تبارك وتعالى
على ما تقدم ذكره في تاويل الآية في قوله وجاء ربك
وان ذلك بظهور فعل لا بتحول ذات من مكان الى مكان
فاما قوله فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فمعناه يأتيهم بصورته
التي يعرفون فيقولون انت ربنا ومعنى ذلك الاتيان
فعل من افعال الله عز وجل او فعل بعض ملائكته فيضاف اليه
من طريق انه يقع بامره فاما قولهم انت ربنا فيحتمل وجهين معناه
احدهما ان يقال ان معنى انت معنى ربنا تخاطبه صدقا
فيتحققون بذاته وخطابه انه عن الله عز وجل ويحتمل ان
يكون ذلك عند تجلي الله عز وجل للمؤمنين من خلقه فيقولوا
عند رؤيتهم له وظهور تلك الصورة التي يعرفون مما اضفنا
الى الله تعالى ملكا وخلقا انت ربنا اعترافا بالربوبية وفصلا
بين حالهم واحوال الكفرة الجاحدين واما ما رتب عليه هذا
القائل هذه الآية في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون وان ذلك يرجع الى الكافر الجاحد وان المنافق
وان كان بقلبه مكذبا فهو بلسانه مقر وان الله تعالى
ذكره يريهم نفسه رؤية امتحان واختبار وليكون حجبه اياهم
بعد ذلك نداما فهذا مما لا حاجة بنا الى ترتيبه على هذا
الوجه من قبل ان ما ذكر من الاخبار ليس فيها ما يحمل ويدل
على اثبات رؤية المنافقين والآي قاطعة بتخصيص النظر
الى الرب يوم القيمة للمؤمنين وتحجبه الكافرين واذا كان
كذلك وليس للناس في هذه المسألة الا قولان على الوجه

الذي بينا بأن لك أن هذه مقالة محدثة لم يسبق هذا
القائل إليه غيره حتى فصل بين الكافر من أهل الكتاب وغيرهم
وبين المنافقين المؤمنين وإذا كان كذلك علمت أن
ما ذكر من ألفاظ هذه الأخبار ومعانيها محمولة على ما ذكرنا على
الوجه الذي لا يؤدي إلى تمثيل الله تعالى بخلقه مع قبول الخبر و
إفادة معناه وبان لك فساد ما اختاره هذا القائل
من إثبات رؤيته بعض الكفار لله تعالى وأن لا تعلق فيما
احتج به ❊ فصل آخر ثم ذكر صاحب كتاب التوحيد
بابا في إثبات ضحك الرب تبارك وتعالى فقال إن ضحكه
لا يشبه ضحك المخلوقين كما أن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين
وقال نؤمن بأنه يضحك ربنا كما أعلمنا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ونسكت عن صفة ضحكه جل وعلا إذ الله تعالى
استأثر بصفة ضحكه فلم يطلعنا على ذلك ثم ذكر حديث
حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال إن آخر من يدخل الجنة لرجل
يمشي على الصراط فينكب مرة ويمشي مرة إلى أن قال في آخر الخبر
فيقول الله تبارك وتعالى ما يرضيك مني أي عبدي أيرضيك
أعطيك من الجنة مثل الدنيا ومثلها معها فيقول
أتهزأ بي وأنت رب العزة قال فضحك عبد الله حتى
بدت نواجذه ثم قال ألا تسألوني لم ضحكت قالوا لم
ضحكت قال لضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألا تسألوني
لم ضحكت قالوا لم ضحكت يا رسول الله قال لضحك الرب
تبارك وتعالى حين قال أتهزأ بي وأنت رب العزة ❊ ثم
ذكر حديث أبي هريرة أن الناس قالوا للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر الحديث
بطوله وقال يبقى رجل بين الجنة والنار هو آخر أهل الجنة
دخولا مقبل بوجهه على النار فيقول يا رب اصرف وجهي
عن النار فقد أحرقني ذكاؤها وقشبني ريحها فيقول الله عز

وجل

وجل فهل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير
ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما يشاء من عهد
وميثاق فيصرف وجهه عن النار فذكر بعض الحديث قال
فيقول أو ليس قد أعطيت العهود والمواثيق لا تسأل
غير الذي أعطيت فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك
فيضحك الله تعالى منه ثم ذكرنا في الحديث ❊ ذكر ما يجب
أن يبين مما في هذا الفصل من الغلط ❊ اعلم أن وصف
الله عز وجل بالضحك على ما ورد به الخبر شائع وأما على ما
توهمه هذا القائل أنه ضحك صفة كالكلام فخطأ وقد بينا
فيما قبل تأويل الأخبار التي روي فيها الضحك وفسرناه
وبيناه وجهه وأوضحنا أن أصل معنى الضحك في لغة العرب
هو الظهور والبروز والإيضاح على وجه مخصوص منه قالوا
ضحكت الأرض بالنبات إذا أظهرت نباتها ومنه قول القائل
❊ تضحك الأرض من بكاء السماء ❊ أي تظهر زهرتها
من مطر السماء وشبهها وأن معنى ما وصف الله جل ذكره
به من الضحك فهو على معنى إظهار ألطافه وفوائده ومننه
ونعمه وكذلك معناه في هذا الخبر أنه يظهر نعمه لهذا الرجل
الآخر دخول الجنة إخبارا وليس ذلك ضحك صفة كما توهمه وإلا
فيه كما قدر أنه مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلم يطلع على ذلك
خلقه وذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خاطبنا بلغة
العرب فإذا وجدنا لكلامه وجها في اللغة صحيح المعنى مفيدا
حملناه عليه ولم ننكر أن يكون ذلك هو المراد والعجب من
هذا القائل تارة يروي الحديث فيتكلم على معناه وتارة يقول
نسكت لأن الله تعالى لم يطلعنا عليه والطريق فيهما واحد وكلما
أمكن الاستدراك معناه من جهة اللغة واستقامة الفائدة
فيه لم ننكر أن نحمل الخبر عليه ولا يجب أن يقال بأن ذلك مما لا
يوقف على معناه وأن الله جل ذكره استأثر بعلمه لأن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم إنما خاطبنا به ليفيدنا وخاطبنا
بلغة معروفة وطريقة معقولة ولم يعلمنا أن ذلك مما لا نعلم

وصف الله تعالى بالضحك

وان له معنا غير ما يمكن التوصل اليه من طريق اللغة فاما معنا
قوله اتهزأ بي وانت رب العزة فهذا توسع في الخطاب
ومعناه ان مثله انما يقوله الهازي لتعذر حاجته مما اطمع فيه
وانما استخرج الله جل ذكره منه ذلك على هذا الوجه من
الخطاب ليعلمنا انه الذي لا ينقطع عنه رجا عبيده كيف
تصرفت بهم الاحوال انهم ابعد ما كانوا من الرجا في
رحمته يقربهم منها حتى يكون اقرب اليه في الحال التي كانوا
عنده ابعد منها وهذه بشارة من الله جل ذكره تعالى
للمؤمنين رحمته لئلا ييئسوا منها ، فان قال قائل و
كيف قيل في الخبر لم ضحكت يا رسول الله قال ضحكت لضحك
الرب ، قيل ان ضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بتغير بدت فيه تظهر عند فرح وسرور وضحك
الرب جل شانه اظهار نعمة ورحمة ومعنى الجزان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر فرحا وسرورا
انما يظهر الله تعالى عز وجل من نعمته وفضله ورحمته على
من كان من امته في ابعد حاله من رحمة تعالى ظهور مثلها
فيه من النعم وشكر الله جل ذكره على ما خص به الاشقيا
من امته والابعد من رحمته ثم ذكر صاحب هذا الكتاب
ابوابا في شفاعة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و
لم يكن ذلك مما يقتضي ذكره الكلام في التوحيد
ومع ذلك فلم يجر فيه شي مما يجب ان يتبين الحظ فيه
من طريق التوحيد واعرضنا عنه **فصل** ثم سالتم
بعد ذلك عند انتهايها الى هذا الموضع من كتابنا ان
نتامل ايضا مجموع الشيخ ابي بكر احمد بن اسحق الصبغي وهو
صاحب ابن خزيمة رحمه الله وهو الكتاب الذي سماه
كتاب الاسماء والصفات فتاملنا ذلك فوجدناه قد
رتب ابوابه على الاسماء والصفات وابتدا بذكر الامر
بالايمان بالمتشابه وحكى بعد ذلك عن بعض السلف
ان ما ذكر من المتشابه في الكتاب والسنة في باب الصفات

تقف

واسماء الرب جل ذكره فانها تمر كما جاءت بلا كيف ،
وذكر عن ابن عيينه انه قال كلما وصف الله تعالى به نفسه
فقراءته تفسيره ليس لاحد ان يفسره الا الله جل ذكره
ثم ذكر الجواب ، اعلم انا قد ذكرنا في مقدمة هذا
الكتاب ان كلما كان لنا طريق الى معرفته من طريق اللغة
وافاد معنا صحيحا اذا حمل عليه وانه لا ينكر ان يقال ان المراد
به ذلك اذا كان موافقا لما يتبين عليه اصل التوحيد ولم
يقتضي وجها من وجوه التمثيل لله عز وجل بخلقه وبينا
ان ما قاله بعض السلف من ذكر الكف عن ذلك محمول
على احد وجهين اما ان يكون اراد به امر من ليس من اهله
في استنباط تاويله والنظر الى معرفة معناه او يكون
ذلك عند تعذر الطريق الى معناه وابانوا ان ذلك
ليس بفرض وان من كف عنه سلما للاوبعدان لا يعقد
فيه اعتقادا فاسدا يودي الى تشبيه الله تعالى بخلقه
لم يكن في حرج ، وذكرنا ان سائر ما ذكر من هذا الباب
مما جمعه المخالفون في تصانيفهم مما يمكن تخريج معناه على
الوجه الصحيح من غير تشبيه ولا تمثيل وان لكل ذلك
طريقا في اللغة يشهد بصحته ومن معناه فوجب ان
يكون معناه قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم على ما قلنا ان الراسخين في العلم يعلمونه ومع ذلك
يصدقونه ويعرفون بصحته وان معنا ما روي عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نزل القران على خمسة
اوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال به فاحلوا الحلال
وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وامنوا بالمتشابه واعتبروا
بالامثال على ما قلنا انه مما لا يعلمه الراسخون في العلم مؤمنين
به وكذلك معنى ما روي عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الامر ثلثة امر تبين رشده
فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اختلف فيه فكله
الى الله عز وجل فذكر الحديث ومعناه ان ما اختلف

فيه موكول الى الله عز وجل اى هو مردود الى كتاب
الله تعالى والى ما بيّنه واوضح حكمه وايضح وجهه و
هو معنى قوله تعالى فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله
معناه الى كتاب الله ليتبينوا الحق فيه به وقد استقصينا
هذا الكلام فى اول هذا الكتاب بما يغنى عن رده
وعرفناكم طريقنا فى متشابه القرآن والسنة وانا لا
نقطع القول بان فيه ما لا يعلمه الا الله عز وجل بل يجوز
ان يكون لاهل العلم طريق الى معرفة ذلك يتوصلون
اليها بالفكر والاستنباط واوضحنا كم تاملنا بعد ذلك
ما ذكر فيه من الاخبار مما يدخل فى النوع الذى وضعنا كتابنا
لتاويله وتخريجه وتبيين معناه فكلما وجدنا فيه زيادة
لفظة لم يدخل فيما تقدم ذكره مما يقتضى تاويلا اضفنا
الى ما تقدم وذكرناه وبيّنا وجهه فمن ذلك انه
ذكر فى باب العين الحديث الذى ذكر فيه الدجال من
حديث سهر بن حوشب عن اسماء ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم جلس مجلسا فحدثهم عن الاعور
الدجال فقال اعلموا ان الله تعالى صحيح ليس باعور وقد
بيّنا فيما قبل هذا الخبر وذكرنا ان ما قيل فيه ان الدجال
اعور وان ربكم ليس باعور فان المراد به نفى النقص لا
اثبات الجارحة • فاما هذه الزيادة التى ذكرها فى
هذا الخبر من قوله اعلموا ان الله صحيح فمؤيد لما تقدم ذكره
ان المراد بنفى العور نفى النقص لا اثبات الجارحة ومعنى
وصف الله جل ذكره بانه صحيح اثباته على فائدة الكلام
فى صفات المدح والتعظيم ومن جمل كمال صفات المدح والتعظيم
اثباته بصيرا وان له بصرا هو صفة له قائمة به لا قائمة بجارحة
لاستحالة وصفه تعالى بالجوارح والالات ثم ذكر بعد
ذلك ايضا زيادة لفظة فى معنى الرؤية عن عاصم بن
لقيط بن عامر انه خرج وافدا الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ومعه صاحبه قال فاتينا رسول الله

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم حين انصرف من صلاة الصبح
قال وذكر الحديث وقال فيه فتخرجون من مصارعكم تنظرون
اليه وينظر اليكم وقد بيّنا فيما قبل ان معنى ما يوصف الله
تعالى به من النظر الى الشئ فهو بمعنى التعطف والرحمة
وعليه يحمل قوله وينظر اليكم اى يرحمكم ويتعطف عليكم ومصار ن
ومثله فى حديث ابن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله علم
صلى الله تعالى عليه وسلم بينما اهل الجنة فى نعيمهم اذ
يسطع لهم نور فرفعوا رؤسهم واذا الرب عز وجل
قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل
الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم الا انه
قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من
النعيم ما داموا ينظرون اليه وذكر الحديث • واعلم ان
هذا النظر ايضا لا يمتنع ان يكون المراد به التعطف والرحمة
وان الله جل ذكره يتعطف عليهم فيريهم نفسه جل وعلا
ومثله ما روى عن كعب انه قال ما نظر الله الى الجنة قط
الا قال طيبى لاهلك قال فازدادت طيبا الى ما كانت
سبعين ضعفا وهذا ايضا نظر تعطف ورحمة لانه اظهار
نعم وتجديد كرامات وقد يمكن ان يتاول النظر بمعنى الرؤية اذا كان
مقرونا بالى او كان معه ذكر الوجه مضافا اليه بالى ولكن اكثر
ما ذكر فى هذه الاخبار من لفظ النظر فالمعنى فيه نظر التعطف
والرحمة • واما معنى قوله اذ يسطع لهم نور فيحتمل ان يكون ن
اراد به ما يجدد لهم من كرامات الله عز وجل فى تاييده بهم
بالطافه واسعادهم بما يزيدهم من معارفهم وانوارها
فعند ذلك يرفعون رؤسهم على معنى ما يقال رفع
فلان رأسه اذا ارتفعت حالته عن الانخفاض اى بما يجدد
لهم من الكرامات يزدادون رفعة فعند ذلك اشرف
الرب عليهم من فوقهم ومعنى ذلك من فوق رجائهم لانهم
لم يطمعوا حينئذ فى رؤيته فيرون الله جل ذكره ويتجدد لهم
لذة الرؤية من غير استشراف وانتظار ويؤيده الخبر الآخر

يقال رفع فلان رأسه
اذا ارتفعت حالته
ح

وهو ما قيل فيه ان منادي الرب ينادي اهل الجنة ان لكم
عند الله موعدا يريد ينجزكموه فيقولون الم يبيض وجوهنا
الم . فيتجلى لهم الرب جل ذكره عند ذلك فاتان
هذا الخبر ان رؤية الله جل ذكره يكون لهم مبادهة من
غير استشراف ولا توقع وهكذا العلم اهل الجنة ليس لاهلها
في شيء منه انتظار وافضلها وانما عند رؤيتهم الله جل
وعز فعلى هذا يتاول هذا الخبر لاستحالة المقابلة على الله عز و
جل للاجسام والتحيز في الجهات فصل اخر ثم
ذكر بعد ذلك اخبارا في ذكر ما اضيف الى الله عز وجل من الوجه
وقد مضى تاويل ذلك على الوجه الصحيح من مذهبنا فلا نريد
ايضاحا هاهنا ونقول لو جمع ما ذكر في القران والسنة من
ذكر الوجه المضاف الى الله عز وجل لا يخلو من معاني احدها
ما اريد به الاخلاص كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يجاء يوم القيمة
بصحف مختومة فتنصب بين يدي الله عز وجل فيقول الله
تبارك وتعالى للملائكة القوا هذا واقبلوا هذا قال فتقول
الملائكة وعزتك وجلالك ما راينا الا خيرا قال فيقول
وهو اعلم ان هذا كان لغير وجهي ولا اقبل اليوم من العمل
الا ما ابتغي به وجهي وكنحو ما روي عنه عليه الصلوة و
السلام انه قال من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى
بنى الله له مثله في الجنة وكنحو قوله صلى الله تعالى عليه و
سلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهم
لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ولا يعفو رجل عن
مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا رفعه الله تعالى بها
يوم القيمة ولا يفتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح
الله عليه باب فقر فهذا الخبر التي من الاخبار معنى ذلك
الوجه فيها الاخلاص لله في الطاعة والوجه الذي ان يراد
بذلك الوجه المضاف الى الله عز وجل صفته على حسب ما
نقول وذلك قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وكقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين القوم وبين ان

ما وصف الله به من الوجه

ينظرون الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه وكقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم اتاني جبريل فقال لي يا محمد ان ربك سائلك
ماذا جزاء من اذهبت كريمتيه في الدنيا فقلت لا علم لي الا ما
علمتني قال جزاؤه الخلد في داري والنظر الى وجهي ومثله
ما روي في تاويل قوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى
وزيادة وعن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال
الزيادة النظر الى وجه ربهم جل وعز وكذلك روي عن
ابي موسى الاشعري وعن حذيفة ومثله ايضا ما روي عن
علي رضي الله عنه انه كان يقول في دبر صلاته بسطت يدك
واعطيت فلك الحمد ربنا وجهك اكرم الوجوه . ومثله
ما روي فيما تقدم ذكره من الخبر في قوله لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره واما الوجه بمعنى الذات
فلا يوجد في اللغة اصلا والوجه الذي هو بمعنى الجارحة
فلا يليق بالله عز وجل وقد بينا تاويل قوله فاينما تولوا
فثم وجه الله وان معناه فثم الله الذي له الوجه فعلى
ذلك ترتب كلما ورد عليك من ذكر الوجه في السنن
والاخبار واي الكتاب فصل اخر ثم ذكر
بعد ذلك ما روي من الاخبار في ذكر العين وقد
تقدم شرحه غير انه روي في خبر عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرا انه كان سميعا بصيرا
فوضع اصبعه الدعاء على عينه وابهامه على اذنه وقد بينا
تاويل ذلك وان الفائدة فيه انكار قول من ذهب
اليه من اهل البدع الى ان معنى ما وصف به جل ذكره انه
سميع بصير انه عليم لا على اثبات سمع وبصر على الحقيقة
لا بمعنى العلم ولم يرد صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك
اثبات الجارحة لاستحالة وصفه بالجوارح بل اراد به تحقيق
معنى السمع والبصر في وصفه على غير معنى العلم وتدلك
على ذلك ان الجارحة معناه عن السمع والبصر لا يمدح
بكونها وانما قصد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مدحه سائر كل

علم بذلك وجب ان يحمل عليه وهذا كما اشار المحتج الى
القمر ليلة البدر عند تحقيق الرؤية ليعلمهم انه يرى بالابصار
عز وجل لا يحمل على معنى العلم كما ان البدر يرى بالبصر لا على معنى
انه معلوم فقط ولم يرد تشبيهه تعالى بالبدر وانما اراد
تحقيق الرؤية على الوجه الذي يمتنع تأويل العلم ومثله ما
روي في خبر انه قال كان ملك في بني اسرائيل نذر ان
يمشي على ثدي النساء ففرشت له النساء فجعل يمشي
على صدورهن فبينما هو على صدر امراة منهن فقالت اذ
رفعت رأسها الى السماء اللهم ان هذا بعينك فقال
تعالى ذكره على تمرد يا ارض خذيه قال فخسف به الارض
والناس ينظرون اليه وهذا مما ذكر فيه العين مضافا
اليه وقد قلنا ان ذلك مما لا يمتنع وليس المراد عين الجارحة صح
ولكن المراد به عين صفة كما قلنا في اليد والوجه او يكون
المراد البصر ما ذهب اليه بعض اصحابنا وقد روي في بعض
الاخبار ما يؤيده قال ابو موسى الاشعري كنا مع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال يا ايها الناس انكم لا تدعون اصم
ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا فنفى الصمم والنقص
والعمى عنه واثبت السمع والبصر فدل ذلك على تحقيق معنى
وصفه بالبصر ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها تبارك
الذي وسع سمعه كل شيء فاثبتت له سمعا ولم تثبت له
اذنا فدل ذلك على ان صفته التي يوصف بها مما ينفي النقص
من الصمم عنه هو السمع لا الجارحة

فصل اخر

ثم نذكر بعد ذلك من السنن المأثورة في ذكر اليد المضافة
الى الله عز وجل واتبع هذا الباب بما روي فيه من ذكر الكف
والقبضة واليمين وقد تقدم شرح اكثر هذه الاخبار الا
انا نذكر لك جملة تقف على تخريج جميعها ، اعلم ان اليد
في اللغة تشتمل على معان منها الجارحة والملك والتعطف
وما اضيف الى الله عز وجل من ذلك فما هو في معنى الجارحة
فيه فهو بمعنى الصفة في وصفه لاستحالة وصفه تعالى بالجوارح ح

وصحة

معاني اليد

وصحة وصفه بالصفات وقد يضاف اليه اليد على معنى
الملك والقدرة والنعمة ايضا وانما تميز بين معانيها بوصفها
المذكورة فيها وقرائنها المقترنة بها فاما قوله تبارك وتعالى
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقوله عليه الصلوة والسلام
خلق الله تعالى آدم بيده يوم الجمعة فهو على معنى الصفة لا يليق
به معنى النعمة والقوة والملك وكذلك قوله كتب بيده على
نفسه ان رحمتي تغلب غضبي وهذا النوع لا يليق به الا معنى
الصفة فاما ما يليق به معنى الملك والقدرة مما اضيف
الى الله عز وجل من اليد وكما روي ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يقول في دبر صلاته لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل
شيء قدير فهذا يحتمل معنى القدرة والملك وكذلك
قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تكون الارض خبزة واحدة
يتكفاها الجبار بيده كما يتكفأ احدكم خبزته في السفر
نزلا لاهل الجنة واما الذي يحتمل ان يكون ارادة النعمة
تقدم ص مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الخبر الذي تقدم ذكره
فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها انامله وقد بينا ان المعنى
في ذلك ما وصل الى قلبه من نعم الله تعالى والطافه وقد
يكون اليد ايضا مضافة اليه بمعنى النصرة والمعونة وذلك
يرجع الى معنى النعمة كما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه
قال يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الاعظم وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم يد الله مع القاضي حين يقضي ويد الله
مع القاسم حين يقسم ويد الله مع الجماعة واذا شذ
الشاذ منهم اختطفه الشيطان والذي هو بمعنى الملك
ايضا كقوله كثيرا في الاخبار المروية والذي نفسي بيده لا
حوضي اكثر من عدد النجوم والذي نفسي بيده لو ان فاطمة
سرقت لقطعتها والذي نفسي بيده لوددت اني
اقتل في سبيل الله • واما ما روي في هذا الباب من
ذكر اليمين نحو قوله فخرج كل طيب بيمينه وقوله ثم فتح

احدى يديه بالاخرى فقد تقدم بيانه وان المراد به
ظهور فعل ظهر من بعض خلقه من الملائكة اضيف الله على
معنى انه عن امره كان كقولهم قطع الامير اللص واما قوله
عليه الصلوة والسلام ما تصدق احد بصدقة من طيب الا
اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن
حتى تكون اعظم من الجبل فان اليمين هاهنا بمعنى النعمة و
الفضل وذلك بفضله في القبول وتضعيف الثواب
عليها والمراد بالكف القدرة ايضا كما قال القائل ٭ ورود لفظ الكف
هون عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها ٭
ومثله ما روى عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قرا على المنبر والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه قال مطوية في كفه يرمى
بها كما يرمي الغلام بالكرة فهذا ايضا يرجع الى معنى القدرة
والقبضة يرجع معناها الى الملك كقول القائل ما هذه
الدار الا في قبضتي وليس يريد قبضة الجارحة وكذلك
معنى مطويات فانيات من قولك اطوى هذا الامر والحديث
بمعنى افنه اي اسكت عنه واقطعه وقد صلى الله تعالى عليه
وسلم بذلك امر المعاد في نفوس المشركين المنكرين له
وان ذلك مما لا ينكر في قدرة الله عز وجل ولذلك
شبهه برمي الغلام بالكرة تحقيقا لما اراد من معنى القدرة
فاما ما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل و
النهار منذ خلق الله تعالى السموات والارض وان
ذلك مما لا ينقص مما في كف الله تعالى شيئا وباليد الاخرى
فيها الميزان يخفض ويرفع ٭ فيحتمل ان يقال ان المراد بقوله
يد الله ملأى لا يغيضها نفقة اي نعمه واياديه وفضله و
قوله مما في كف الله تعالى اي مما في قدرته على ما تقدم تأو يليه
وقوله اليد الاخرى فيها الميزان يخفض ويرفع وانما اراد بذلك
اشارة الى العدل والفضل وانه اذا بسط نعمه وفضله

لم ينقص مما في قدرته شيء بان يعجزه واذا عدل بحق ملكه
له فيهم يخفض ويرفع ويبسط ويقبض وكذلك ما روى
المحمص عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ما التقت فئتان قط
الا وكف الله بينهما فاذا اراد ان يهزم احدى
الطائفتين امال كفه عليها فهذا ايضا يرجع الى معنى القدرة
واظهار النصرة والخذلان ٭ وكذلك ما روى عن كعب
انه قال ان السفينة تجري على كف الرحمن انها تجري بقدرته كم
وان الله عز وجل هو المسير لها وهو معنى قوله هو الذي يسيركم
في البر والبحر الاية واما ما روى عن هشام بن حكيم ان رجلا
قال يا رسول الله انبتدأ الاعمال ام قد قضي فقال ان الله
عز وجل لما اخرج ذرية ادم عليه السلام من ظهره اشهدهم
على نفسه ثم افاض بهم كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء
للنار ومعنا ذلك يرجع الى نوع الفضل والعدل في مقدوراته
المقدرة في امور عباده وانه قد سبق حكمه لمن يلحق
بالفضل ولا حق بالعدل ٭ وكذلك ما روى من
ذكر الاصابع والانامل محمول على احد معنيين اما على النعم و
الفضل كما يقال لفلان على فلان اصبع حسن والمراد بذلك
اثر حسن من طريق النعمة او يراد به القدرة كما يقال ما فلان
الا في قبضتي وتحت اصبعي واما ما روى في الخبر ان ملكين اتيا
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا ان امنا كانت
تكرم الزوج وذكر الحديث وقال فيه قال النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم واقوم على يمين الرحمن مقاما لا يقومه احد غيري قوم
والمراد بذلك احد تأويلين احدهما ان يكون معناه فا
على يمين عرش الرحمن فذكر الرحمن واراد عرشه كما قال
تعالى واسئل القرية واراد اهلها واشار الى مقام الاولياء
وهم اصحاب اليمين والثاني ان يكون معناه ما يظهر له من
نعم الله وكراماته وذلك بان يقوم مقاما يظهر الله تعالى
عز وجل من فضله ما يبين له به عن سائر الانبياء والملائكة بين
وانما قلنا ذلك لان اليمين جهة اليسار الجهة من

صفات الاجسام المحدودة . وكذلك معنى ما روي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان على يمين الرحمن منابر وكراسي عليها رجال وكذلك
قوله عليه الصلوة والسلام اذا كان يوم القيمة مد الله تعالى
الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدمه
فاكون اول من ادعا وجبريل عن يمين الرحمن ومعنى ذلك
على ما تقدم ذكره من الوجهين اما ان يراد به يمين عرش
الرحمن او يراد به تقريب المنزلة وتحقيق الرفعة والعظمة و
اما ما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يجاء بهم
بجسم يوم القيمة فيوقفون على جسر جهنم فمن كان مطواعا
لله تعالى تناوله الرحمن بيمينه حتى ينجيه ومعنى ذلك ما
يلحقه من رحمة الله وكرمه وعفوه وقد ذكرنا فيما تقدم
استعمال العرب اليمين في معنى النعمة والفضل واما
ما روي ابو امامة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال ان الله خلق الخلق وقضى القضية وعرشه على الماء
فاخذ اهل اليمين بيمينه واهل الشمال بشماله وكذلك ما
روى ابو موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ان الله عز وجل خلق آدم عليه السلام فقبض قبضتين
فقال هؤلاء اهل اليمين ولا ابالي الى اصحاب الجنة وهؤلاء اصحاب
الشمال ولا ابالي اصحاب النار فكلا الخبرين مطعون في
اسنادهما اما حديث ابي موسى فان يزيد الرقاشي فيه نظر
وحديث ابي امامة جعفر بن الزبير فيه نظر على انه ان ثبت
فتاويل ذلك على ما قلنا فقيل انهم هم الذرية لانهم خلقوا
في جانبي آدم عليه السلام خلق المؤمنون في يمينه والكافر ون
في يساره واليمين والشمال لآدم وذلك يرجع المخلوقين
فيهما من الخلق وانما قلنا ذلك لما روي في الخبر عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من طريق موثوق به وكلتا يدي
الرحمن يمين وبينا فيما قبل ان فائدة ذلك التنبيه على
نفي الجوارح لان اليمين التي بمعنى الجارحة فلا بد ان يكون ما

يقابلها

يقابلها يسار فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وكلتا يديه
يمين اشارة الى نفي التشبيه والجارحة ولم يثبت لفظة
في خبر من طريق صحيح بذكر الشمال مضافا اليه جل ذكره في كل
ما ذكرناك جميع ما ورد من هذه الاخبار من لفظ الكف
واليد واليمين والاصبع والقبضة والانامل من غير ان
يخرج عن جملة معاني ما ذكرنا فيخرج عن طريق الضلال والهلاك
رشدك الله تعالى **فصل** ثم ذكر بعد ذلك
ما روي في ذكر الساق والرجل والقدم والرجل اليمين والاخرى
فروي في ذكر الساق حديث الرؤيا وما روي فيه هل بينكم
وبينه آية تعرفونه بها فيقال الساق فيكشف عن ساق
فيسجد له كل مؤمن .. الجواب . اعلم ان هذا الخبر قد تقدم
البيان في تاويله واوضحنا انه لا يجوز ان يقال ان لله ساق
او يكشف عن ساقه من قبل ان الالفاظ المروية في الاخبار
وما ورد في القران من ذلك في قوله يوم يكشف عن ساق
فانها ورد مطلقا غير مضاف ولا مقيد وقد روي عن ابن
عباس تاويل ذلك وان معناه يوم يكشف عن شدة و
ان ذلك كلام العرب لانهم يقولون قد قامت الحرب
على ساق اي على شدة وروى ابو موسى الاشعري عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله يوم يكشف عن ساق قال
عن نور عظيم وورد لفظ النور مطلقا ايضا غير مضاف
الى الله عز وجل فيحتمل ان يكون المعنى في ذلك ما يجدد لهم
عند رؤيته عز وجل من الفوائد والالطاف والمكاشفات
التي تظهر سرائرهم . واما ما روي من الاخبار في الرجل فمن
ذلك ما روي عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم امية بن ابي الصلت في بيتين من شعر
فقال .. رجل وثور تحت رجل يمينه . والنسر للاخرى وليث
مرصد .. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدق
وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
تحاجت الجنة والنار وذكر الحديث وقال فيه واما النار فانهم

العرب يقولون قد قامت الحرب على ساق اي على شدة

يلقون فيها فتقول هل من مزيد قال فلا تمتلئ حتى يضع فيها
رجله ◦ وفي حديث عمارة بن عامر عن ام الطفيل امراة
ابي بن كعب انها قالت سمعت النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم وذكر انه راى ربه في المنام وذكر الحديث وذكر فيه
الرجل ∴ الجواب ◦ واعلم انا قد ذكرنا هذا الخبر ايضا وبينا
تأويله وذكرنا انه يحتمل ان يكون المعنى فيه ما يصف الله تعالى
في النار من الكافرين وهم الخلق الكثيرون فتمتلئ جهنم بهم
وانه سمي ذلك رجلا على عادة العرب في تسمية الجماعات
رجلا لانهم يقولون للجراد الكثير رجل ويقولون جاءت رجل
من جراد يعنون بذلك جمعا كثيرا ◦ ويحتمل ان يكون الله
جل وعلى اراد بالرجل هاهنا الخلق الكثير واضاف اليه
على طريق الملك والفعل فاما ما في بيت امية بن الصلت صح
فيحتمل ان يقال انه اراد به يمين العرش ويساره
وان هذه الاملاك التي تحمل العرش منهم من هو قائم
عن يمين العرش ومنهم من قائم عن يساره واما ما روي
من ذكر الروية في رؤيا المنام فقد مضى بيانها وانه لا
ينكر ان يكون الشيء يرى في المنام على خلاف ما هو
به وقد بينا لذلك وجها وجوزنا ان يكون رأى
صورة على تلك الهيئة راى الله تعالى فيها على معنى
انه راى عند رويته لها وذلك على احد معنيين احدهما
ان يكون معناه انه لم يلهه النظر اليه عن ذكر الله ورؤيته
له بالقلب والثاني ان يكون معناه انه راى ربه فيها معتبرا
بها لا ان الهيئة والصورة لله جل ذكره فصل
اخر ثم ذكر بعد ذلك شيئا واخبارا كثيرة يريد بها نصرة
القول بان كلام الله تعالى لم يزل ولا يزال وينكر قول من حكي عنه
او يتوهم عليه انه يقول ان الله لم يتكلم الا مرة واحدة ثم لم يتكلم
بعد ذلك ◦ وليس في جميع ما ذكر ما ينكر غير انه رحمه الله قد
اوهم روايته هذه الاخبار التي ذكرها ان الله عز وجل
يتكلم كلاما بعد كلام ويقول قولا بعد قول وان

لم

العرب يسمون الجماعات رجلاً

وجميع ما ذكر ما ينكر غير انه ل

وان لم ينص عليه تصريح هذه العبارة والاولى في ذلك
ان يقال ان كلام الله تعالى لم يزل موجودا ولا يزال
وانه يفهم خلقه معاني كلامه اولا فاولا وشيئا بعد
شيء وان الذي يتجدد الاسماع والافهام دون
المسموع والمفهوم وفي ذكر هذا القدر ما يغني عن
تعداد الاخبار فيه ◦ وايهام الحفظ بانه يتكلم في وقت
كذا ويتكلم عن وقت كذا الا جل ان كلامه لا يختص الا و
والازمان كما ان علمه وسمعه وقدرته لا يصح ان
يقال فيه شيء من ذلك وانما يتجدد المعلوم والمقدور
يحدثه شيئا بعد شيء دون العلم به والقدرة عليه
والذي ذكره من الاخبار نحو ما روي ان الله جل ذكره تكلم
بعد ما خلق ادم عليه السلام وتكلم يوم اخذ الميثاق
وتكلم لما ان خلق بيده ادم وتكلم لما خلق وتكلم لما خلق
الجبال وتكلم بعد ان بعث ابراهيم عليه الصلاة والسلام و
تكلم بعد ان بعث ايوب وبعد ان بعث يوسف وموسى
عليهم السلام واورد في ذلك قصته ∴ واعلم انه كما
ينكر قول من قال ان الله سبحانه لا يتكلم الا مرة واحدة
كذلك ينكر قول من قال ان الله تكلم مرة بعد اخرى
لان كل ذلك يوجب حدث الكلام فان قيل اليس قد روي
الخبر ان الله عز وجل ناجى موسى بثمان مائة الف كلمة واربعين
الف كلمة وصايا كلها قيل ان ذلك يرجع الى تكثير الاسماع
والافهام لا الى معنى الكلام الذي لم يزل واما كلام الله الذي
هو صفة من صفات ذاته يخبر بايش منه وكلام واحد بشيء
واحد يفهم منه ويسمع ما لا يحصى ولا يعد من الفوائد والمنافع
ونظير ذلك ما نقول ان علمه واحد ولكنه يحيط بمعلومات
لا يتناهى والذي يقع عليه الكثرة والقلة المعلومات دون
العلم وهذا هو معنى جملة ما ذكر من هذه الاخبار على كثرتها مثل
قوله قال الله ويقول الله وليس المراد تكرار القول وتجديده ◦
سؤال فان قال قائل اليس قد روي عن النبي صلى الله

ت

ناجى موسى له

الكثرة والقلة في المعلوم دون علمه تعالى

تعالى عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يتكلم ويكلم عباده
بعد ان تقوم القيمة وكما قال عز وجل يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم ويوم يقول لجهنم هل امتلأت
وما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعدي بن
حاتم ما منكم من احد الا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه
ترجمان قيل هذا راجع الى التكليم والافهام لا الى تجدد
الكلام ومثال ذلك مثال الاسماع من سمعه والتعليم
من علمه والتقدير من قدرته بانه عنه تصدر ولا يكون هو
بنفسه والمراد بذلك انه يفهمهم خطابه يوم القيمة من غير
ترجمان فاذا حاسبهم يوم القيمة وفهمهم كلامه واسمعهم
خطابه من غير واسطة لا كما افهمهم في الدنيا بالوسائط و
الوصل والكتب فصل اخر ثم ذكر في ترجمة باب اوهم
فيه ما ليس هذا بمذهب وذلك في تضاعيف هذه الابواب
التي ذكرها في هذه النوع باب ذكر الاي المتلوة والسنن
المأثورة في ان الرب تعالى لا زال متكلم الى ابد الابد قال
الله عز وجل والله يقول الحق وقال فالحق والحق اقول ثم ذكر
في ذلك حديث سعيد بن المسيب انه لقي ابو هريرة فقال
ابو هريرة اسأل الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة
فقال سعيد وفيها سوق وذكر الحديث وقال فيه قال ابو هريرة
اخبرني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان اهل الجنة اذا فعلوا
نزلوا فيها بفضل اعمالهم فيؤذن لهم لمقدار يوم الجمعة من ايام
الدنيا فيزورن الله تعالى جل ثناؤه وذكر الحديث وقال فيه
ابو هريرة فقلت يا رسول الله وهل نرى ربنا فقال نعم هل تتمارون
في رؤية الشمس وفي القمر ليلة البدر قلنا لا قال فكذلك
لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس احد الا
حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول للرجل يا فلان اتذكر يوم
عملت كذا وكذا ويذكره ببعض عدواته في الدنيا فيقول يا
رب الم تغفر لي فيقول بلى بسعة مغفرتي ◦ واعلم ان
اطلاق القول بان الله جل ذكره لا زال يتكلم الى ابد الابد يوهم

بـ اذا دخلوا

الخطاء والله يتجدد له كلام بعد كلام وما يتجدد فهو حادث
وكذلك لا يجوز ان يقال ان الله لا زال يتكلم الى ابد
الابد لانه يوهم الخطاء فكذلك القول في الكلام والصحيح
ان يقال ان كلام الله تعالى لم يزل ولا يزال وانه يسمع
من يشاء من خلقه ويفهم من اراد منهم افهامه في الوقت
الذي يريد ان يسمعه ويفهمه ما يريد من ذلك من غير تجدد
قول وكلام واذا قيل في الفاظ هذه الاخبار فيقول الله
تعالى ويكلم الله فليس المراد به تجديد القول والكلام
وانما المراد به تجديد الاسماع التي ذكرها من هذه الالفاظ
التي تضيفها مما يوهم حدوث قول الله تعالى وتجدد
شيء منه بعد شيء ويجب ان تعلم ان ذلك مرتب
على ما قلنا لا على الوجه الذي يقتضي حدوث كلام الله
وتجدد كلام له بعد كلام فعلى ذلك قرينة ان الله تعالى
فصل اخر ثم ذكر في ترجمة باب ذكر كيفية تكلم الله
عز وجل بالوحي فذكر حديث عبد الله بن مسعود ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا تكلم الله عز وجل
بالوحي سمع اهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة
على الصفوان فيفزعون يرون انه من امر الساعة ثم وا
حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير ◦ واعلم انا قد بينا قبل معنى هذا الخبر ذلك
الصلصلة للسموات ومن مضافة اليها في الخبر نصا ومعنى ذلك
ما يخلق الله عز وجل من العبارات عن كلامه ليفهم بها من
يشاء من خلقه وليس ننكر العبارات نحو كلامه وان يكون
اصواتا مخلوقة في غيره مثل اصوات لغيره ولو قال رحمه الله تعالى
في هذه الترجمة البيان عن معنى تكليم الله تعالى بالوحي خلقه
كان اولى لان الكلام والتكليم شيء واحد فاما التكليم فمن
اصحابنا من قال هو صفة للكلام يوصف بها الكلام اذا
فهم المخاطبين مراده بما يحدث من العبارات والكتابة
وليس لتكلم الله تعالى كيفية ولان ما ذكره من الخبر والبيان

الكلام والتكلم شيء واحد

للترجمة انما هو بيان التكليم لاثبات التكلم وقد روي في
خبر آخر ايضا ان ابا هريرة قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانها سلسلة على صفوان فيتبين ان تلك
الاصوات اصوات اجنحة الملائكة وان ذلك عند قضائه
امرا وتجديده فعلا وليس ذلك يرجع الى حدوث الكلام
وكذلك ما ذكره بعد كيفية نزول الوحي على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وما ذكر فيه من خبر عائشة رضي الله تعالى
عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيني مثل صلصلة الجرس و
هو اشد علي فينفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل
لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته
ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وان جبينه فينفصم ن
ليتفصد عرقا . واعلم ان ذلك مما يدلك على ما قلنا
من حدوث العبارات فتارة يسمعها من الملك فيسمع
عندها كلام الله عز وجل وتارة يتجدد له فهم ابتداء بما يريد
الله عز وجل من معاني مخاطباته بالامر والنهي وكلما يرجع الى
العبارات والكنايات فحكمه الحدث واما المكتوب
المعتبر فهو كلام الله عز وجل وليس نزول الوحي عليه على معنى
انتقال شيء من مكان الى مكان ولكنه تجدد فهم وسمع للرسول
عليه الصلوة والسلام بما يسمعه ويفهمه من كلام الله سبحانه
تارة عند حدوث عبارات من اصوات ونحوها وتارة
عند حدوث فهم وعلم ابتداء . وقد يسمى كلام الله تعالى
وحيا كما يسمى العبارة عنه وحيا وهذا كما يسمى الكلام
وتلاوته قرآنا واحدهما من دون الآخر بلا وتلو
قد تقدم تفصيلنا لذلك فصل آخر ثم ذكر
بعد ذلك باب الكلام في استواء الله على العرش سبحانه
وذكر فيه آي الكتاب وآثارا وبعد ذلك اخبارا بعد

ذكر

ذكر تأويل الاستواء في موضعه فاما الاخبار التي ذكرها
فمنها حديث العباس بن عبد المطلب انه كان جالسا
في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
جالس فيهم اذ مرت عليهم سحابة فنظروا اليها فقال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه
السحاب قالوا نعم هذا السحاب فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم والمزن والوا والمزن قال والعنان ثم
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل تدرون كم بعد
ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال و
ان بعد ما بينهما اما واحدا واما اثنين واما ثلاث وسبعون
سنة والسماء الثانية فوقها كذلك حتى عدد سبع سموات
ثم فوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السماء
الى السماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال ما بين اظلافهن و
ركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش
بين اسفله واعلاه كما بين سماء الى سماء والله تعالى فوق
ذلك . وذكر ايضا بعده حديث جبير بن محمد بن جبير بن
مطعم عن ابيه عن جده قال اتى اعرابي رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال يا رسول الله جهدت الانفس وضاعت
العيال وهلكت الانعام فاستشفع لنا الى ربك وانا
نستشفع بك على الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك اتدري
ما تقول وسبح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فما زال
يسبح حتى عرف ذلك او عرف في وجوه اصحابه ثم قال ويحك
انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شأن الله اعظم ويحك
اتدري ما الله ان عرشه على سمواته وارضه له كذا با صابعه
مثل القبة عليها وانه ليئط اطيط الرحل بالراكب واعلم ان
حديث العباس بن عبد المطلب ليس فيه ما يجب ان يتأول
معناه سوى قوله قال الله تعالى فوق ذلك وقد ذكر تأويله
فيما قبل ومعنى وصف الله تعالى انه فوق عرشه وان

وذلك راجع الى فوقية المنزلة والرتبة وفوقية الفهم و
العظمة فاما الفوقية بالمسافة والمكان فمحال في وصفه
تعالى وفائدة الخبر توقيفنا انه عز ذكره ممن لا يرحل بين طبقتين
ولا ممن هو في كل مكان كما ذهب اليه المخالفون واذا افاد
بهذا الحديث تكذيب هاتين الفرقتين في دعواهما ان
الله عز وجل انه حل بعض المخلوقات او يوصف انه في كل
مكان رجع تاويل الخبر الى ما نقول انه اراد به عز ان يختلط ولا
يمتزج بشيء من خلقه وانه باين مما خلق بينونة بالصفة
والنعت لا بالبحر والمكان والجهة ٭ واما حديث جبير بن
مطعم فليس فيه ما يقتضي تاويلا اكثر من قوله وانه ليئط
اطيط الرحل بالراكب وذلك يرجع الى العرش وليس
فيه مما يدل على ان الله عز اسمه مما ينزله مماسة الراكب
رحله بل فائدة الخبر انه يسمع للعرش اطيط وصوت
كاطيط الرحل اذا ركب ٭ ويحتمل ايضا تاويلا اخر وهو
ان يقال معناه اطيط الملائكة وضجيجهم بالتسبيح حول
العرش واضيف الاطيط الى العرش والمراد به الطائفون به
وهذا شايع في اللغة كما قال القائل ٭ ولست بعدكم
بكليب المجلس ٭ وانما المراد به اهل المجلس ٭ وكذلك
تقول العرب اجتمعت اليمامة والمراد اهلها وكذلك يقولون
بنو فلان يطاهم الطريق والمراد به المارة في الطريق ثم ذكر في
هذا الباب حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتابه وهو عنده فوق
العرش ان رحمتي غلبت غضبي وقد قلنا فيما قبل تاويل قوله
ان رحمتي سبقت غضبي واما قوله فهو عنده فوق العرش فان
لفظة عند تستعمل على وجوه ومعان فمنها ان يقال عند الله على
معنى انه في علم الله تعالى ويقال عند الله على معنى انه في حكم الله تعالى
ويقال عند الله على معنى النصرة والكرامة والقدرة والمنزلة
على قراءة من قرأ وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا
والمراد وصفهم بالقرب والكرامة ٭ ويحتمل ان يكون ذلك

موضوعا

وضجيجهم

لفظة عند معان

موضوعا على معنى المماسة له ويكون عند الله على معنى احاطة
علمه بما فيه من حديث لا يخفى عليه منه شيء ٭ حسبي الله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم ٭

فصل اخر ثم ما روي من الاخبار في الكرسي فذكر
حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تفكروا في
كل شيء ولا تفكروا في ذات الله فان ما بين السماء السابعة
الى كرسيه الاف نور وهو فوق ذلك وذكر حديث
ابن عباس ايضا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبهم
وقال اتي باب الجنة فاقعقعها فتفتح فيتجلى الله تعالى عز و
جل من على كرسيه فاخر على وجهي ساجدا ٭ وروى
حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه لما قدم جعفر من
ارض الحبشة قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما
اعجب شيء رايت قال رايت امراة على راسها مكتل من
طعام فمر فارس يركض فاذراه فقعدت تجمع طعامها
ثم التفتت اليه وقالت ويل لك يوم يضع الملك كرسيه
فياخذ للمظلوم من الظالم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم تصديقا لها كيف يقدس امة لا ياخذ ضعيفها حقه
من شديدها وهو غير مستقيم ٭ وذكر حديث ثابت عن
انس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اشتد يوم القيامة
على الناس وذكر الحديث وقال فيه فاتي باب الجنة فاخذ
بحلقة الباب فاقرع الباب فيقال من انت فاقول محمد
فيفتح لي فاتي ربي عز وجل على كرسيه او سريره فاخر له
ساجدا وذكر الحديث ٭ وذكر حديث ابي ذر انه قال
قلت يا رسول الله ايما انزل عليك اعظم قال اية الكرسي
ثم قال يا ابا ذر ما السموات والارض في الكرسي الا كحلقة
ملقاة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة
على الحلقة ٭ واعلم ان جميع ما وصف به الكرسي من عظم
الخلقة وطول المساحة فلا ننكره وفي مقدور الله عز وجل
ما هو اعظم من ذلك اضعافا مضاعفة واما معنى ما قاله

خطبهم

منقدم

ابن عباس وهو فوق ذلك كمثل ما تقدم في خبر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم في قوله وهو فوق ذلك كله وقد
بينا ان ذلك ليس من طريق المساحة ولا المسافة فاما
ما روي ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الخطبة
من قوله فيتجلى الله لي من علا كرسيه فاخر على وجهي ساجدا
فيحتمل امرين احدهما ان تجليه له تصديقه فيما وعده واظهاره
له من الكرامة اكثر ما تمناه ورجاه وقد يقول القائل تجلى
فلان لفلان والمراد بذلك ما يظهر له من فعله وتدبيره
واثاره ويحتمل ايضا ان يكون اراد به الرؤية وان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يرى الله جل ذكره عند دخول
الجنة واما قوله على كرسيه فهو كقوله تعالى الرحمن على
العرش استوى وقد بينا معنا ~~على ما بينا~~ قبل وانه
ينقسم على وجوه احدها علو الرفعة بالقدرة
والمنزلة والثاني كقوله انك لعلى خلق عظيم وكقولك
على زيد مال وليس المراد بذلك علوا بالمكان واذا
لم يكن معنا على مختصا بعلو المكان فقد بان ان
معناه علم على ما يليق به مما لا يقتضي بالمكان . ولو
قال قايل ان معناه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على كرسيه في الجنة فيرى الله جل ذكره ويضاف ذلك
الى الله جل شانه من طريق الملك والخلق كما قال تعالى
على الارائك ينظرون في صفة اهل الجنة وهي السرر
. فاما ما روي في حديث جعفر من قول المراة بارض
الحبشة يوم يضع الملك كرسيه فياخذ للمظلوم من
الظالم فليس فيه ما يحتاج الى تاويل ومعناه توقيفنا
انه ينتقم ذلك اليوم من الظالم للمظلوم وهذا
كما يقول القايل بسط الامير بساطه ووضع وسايده
يريد بذلك اظهار ملكه وقدرته للانتصار والانتصاف
وليس هذا مما ننكره فاما حديث انس فقد بينا
وجهه فيما قبل وليس ننكر عندنا رؤية الله تعالى .

فصل

فصل آخر ثم ذكر بعد ذلك ما روي من الآثار
في ذكر الحجاب وذكر حديث سهل بن سعد عن النبي
صلى الله تعالى عليه والسلم قال دون الله عز وجل
سبعون الف حجاب من نور لا يسمع احد حس
شيء من تلك الحجب الا زهقت نفسه وذكر حديث
عايشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ان لله ديكا تجاوز راسه كذا وله سبعين الحجاب و
رجلاه قد جاوزتا الارضين السبع وذكر حديث
عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا
على ركبتيه بينه وبين الرب حجاب فجا حسن خلقه
واخذ بيده وادخله على الله عز وجل وذكر حديث
صهيب ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قرا للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وذكر الحديث وقال فيه
فيكشف لهم عن الحجاب فينظرون اليه . وذكر حديث
عبد الله بن عمر وقال سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم في ذكر وصية نوح عليه السلام ابنه . فقال
انهاك عن الكبر والشرك فان الله تحتجب عنه وذكر
حديث مجاهد عن ابن عمر قال احتجب الله تعالى عن خلقه
باربع بنار وظلمة ونور وظلمة وذكر حديث الحكم بن
يونان انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول والذي
نفسي بيده ان دون الله سبحانه وتعالى يوم القيمة سبعون
حجابا ان فيها لحجبا من ظلمة وذكر الآية فيها ايضا وهو قوله
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب وذكر حديث عمر ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم قال ان موسى عليه السلام قال يا رب ارنا ابانا
آدم وذكر الحديث وقال فيه قال آدم عليه السلام من انت
قال انا موسى قال فيا نبي اسرائيل انت الذي كلمك
الله من وراء حجاب لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه

ليس الا كل الس

الجواب عن ذلك كله اعلم ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم افضل الانبياء ونبي الرحمة فاكثر الصلاة
عليه . فاعلم ان الذي يجب ان توقف عليه في هذا
الباب ما يعني عليه الكلام فيه ان تعلم ان الله جل ذكره بينا ص
وعلى ليس بجسم ولا جوهر ولا محدود وانه لا يصح ان يكون
محجوبا على معنى ان يكون مستورا بالسواتر المغطية له كما تستر
الاجسام الساترة الحائلة بينه وبين غيره وهذا هو الاصل
الذي بينا عليه التوحيد ونفي التشبيه ومن اثبت الله عز
وجل حدا ونهاية واجاز ان يكون محجوبا بالحجب المغطية والسواتر
المانعة فقد حال في ذلك ونقض التوحيد واوجب تشبيه
الله تعالى بخلقه تعالى عن ذلك والوجه الثاني من ذكر الحجاب
في وصف الله تعالى ان يرجع به الى ان يكون الحجاب في غيره
كمثله وذلك انما يكون بالاعراض المانعة من رؤيته و
الموانع الحاجبة عن العلم به وذلك لا يليق الا بان يكون
معان مختلفة حادثة في المخلوقين وان يكونوا هم المحجوبين
عنه بها او الى ان يكونوا به ممنوعين عن العلم به او عن
رؤيته ثم قد يقال ايضا للمعاني التي يحدث عندها المنع
للمحجوب حجب وان لم تكن ذلك الاشياء حجبا على الحقيقة
كما يقال ان الحائط حجاب بيني وبينها وراءه والمراد بذلك
انه مانع من رؤيته على معنى ان المنع يحصل عنده والحجب
يحصل معه لا انه هو منع وهذا كما نقول في العقود الثقيلة
انها منع من الشيء المعقود بها على معنى ان المنع يحدث عند التقييد
بها للمعقود من الشيء واذا كان كذلك تجمع ما ذكر من
الفاظ الحجاب في هذه الاية والتبيين محمول على ما ذكرناه
ومرتب على ما قلناه فيحال فيه احد الوجهين ويصحح
الاخر وذلك جملة تكفي في الجواب عن سائر هذه
الاخبار ثم نقول ان معنا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
دون الله سبعون الف حجاب من نور انها ترجع الى ان
جميع ذلك الى المخلوقين من خلقه بها لا الى الله جل ذكره وانها

حجب

حجب لهم لا له ولم يذكر في الخبر ان تلك الحجب لله سبحانه بل
ليس فيه اكثر من انها حجب واذا لم يصح ان الله عز وجل
محجوبا كما لا يصح ان يكون ممنوعا ولا مستورا ولا محدودا
ولا مغطى ثبت انها ترجع الى انها حجب للمخلوقين . واما
حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في قوله رايت من امتي رجلا جاثيا على ركبتيه وبينه
وبين الرب حجاب والمراد به حجاب للعبد من رحمة الرب
اي انه كان ممنوع الرحمة والنعمة حتى اثنى على حسن خلقه و
رحمهم بذلك فاخذه الله تعالى بيده اي نجاه وخلصه
كما تقول اخذ الله بيدك على معنى انه ينقذك وينجيك و
كذلك قوله وادخله الله عليه اي ادخله في رحمة الله وكرامته
وهذا كقول الحاج اتيناك شعثا غبرا ونقول لهم بلى
الخصم زوار الله واما قوله في تاويل قوله وزيادة فيكشف
لهم عن الحجاب وينظرون اليه فانه يرجع الى رفع
المانع عن الرؤية من الممنوعين عن رؤيته من الخلق . و
اما ما ذكر من وصية نوح عليه السلام ابنه انه قال انهاك
عن الكبر والشرك وان الله تعالى يحتجب عنهما فان ذلك
يؤيد ما قلنا انه قد يكون حجاب واحتجاب لا على معنى
التغطية والستر لان احتجاب الله عز وجل عن الكبر و
الشرك ليس احتجابا عن ساتر ومغطي وحاجب وما
بل ذلك هو منع المتكبر والمشرك ما عنده من الرحمة
للمؤمنين وصرف النعم عنهم فسمى ذلك احتجابا عنهم واما
قول عبد الله بن عمرو بن العاص والذي نفسي بيده ان دون
الله يوم القيامة سبعون حجابا فقد بينا انها حجاب
للخلق لا لله جل ذكره ولم يذكر ايضا انها حجاب لله جل ذكره
وقد ذكرنا وجه تسمية الحوائل والسواتر حجبا وحجابا وان
تلك ترجع الى معنى تسميته بما يحدث عنده وذلك ان
المنع للقاء يحصل عنده فيسمى حجابا والحجاب هو المنع
الذي يضاد رؤية المحجوب به على معنى انه يمنع الرؤية به فعلى

اخذه الله بيده اي نجاه
وخلصه ونصره

تج

نع

ذلك وقرب ما ذكر في لفظ الحجاب فاما الآية فقد تقدم
تفسيرها وتأويلها فيما قبل فاغنى عن اعادته ❊ فصل اخر
فيما روي عن الاخبار التي ذكر فيها التجلي روى ابو بردة عن
ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يتجلى ربنا ضاحكا يوم القيمة وروى ثابت عن انس ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال في هذه الآية فلما
تجلى ربه للجبل قال بدى منه قدر هذا وعن ابن عباس في
قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ما تجلى منه الا
قدر الخنصر ❊ الجواب عن ذلك وبيان تاويله ❊
التجلي الظهور — اعلم ان التجلي هو الظهور ويقال تجلى لي الامر اذا ظهر لك الامر
الذي لم يكن ظاهرا فاذا قيل تجلى الرب تبارك وتعالى
فمعناه يتوجه على وجهين احدهما باظهار افعاله الدالة عليه
على معنى انه يضع العلامات التي يستدل بها عليه والثاني — في
ان يكون بمعنى ما يخلق من الرؤية فيهم اي يخلق الله تعالى
رؤيته يوم القيمة للمؤمنين فيتجلى لهم عندها وهذا غاية
ما يكون من التجلي لان المعرفة بالشيء بعد ما لم يتجلى — يكن لم
والرؤية له ايضا بعد ما لم يره تجلي والعيان في التجلي
ابلغ ❊ واما معنى الضحك فقد بينا فيما قيل انه بمعنى اظهار
النعيم وان الله تعالى عز ذكره يظهر النعم يوم القيمة لاوليائه — ية
في الجنة فكانه قال يتجلى ربنا يوم القيمة بنعمه واياديه و
احسانه وفضله واعظم ما يتفضل به على اهل الجنة ما
يخلق لهم من رؤيتهم له واما معنى قوله عز وجل فلما تجلى
ربه للجبل فقد ذكرنا فيه جوابين احدهما انه جعل الجبل
حيا عالما رائيا حتى رآه فذلك تجليه له والثاني ان — عالما
ذلك تجلى باظهار الفعل والتدبير فاما معنى قوله بدا منه
قدر هذا فالمراد به الاشارة الى الشيء اليسير من
آياته يريد ان ما اظهر الله تعالى في الجبل من الآية كان
قدرا يسيرا في جنب ما يقدر عليه وبالاضافة الى ما يبديه — ما يبديه
من علاماته ويظهر من آياته يوم القيمة وعلى ذلك يتاول

قول

قول ابن عباس ما تجلى منه الا قدر الخنصر وذلك انه مثل
يضرب عند تقليل الشيء وقد جرت العادة في لغة العرب
والعجم على هذا النحو وانما قلنا ذلك لاستحالة ان يوصف
الله تعالى بالتبعيض والتجزية ❊ فصل اخر فيما روي من الاخبار
مما ذكر فيه النزول والمجيء مع الفاظ زايدة على ما تقدم ذكرها
وبيان تاويلها وما ذكر في بعض الاخبار من ذكر العلو والصعود
مما لم يتقدم ذكره ولا بيان تاويله ❊ فمن ذلك ما روى
عكرمة عن ابن عباس في قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم
الله في ظلل من الغمام الآية قال يكون الجبار يوم القيمة في سحا — ب
قد قطع كهيئة الصافات وروى شهر بن حوشب عن
ابن عباس قال اذا كان يوم القيمة مدت الارض مد الا — ديم
وذكر الحديث وقال فيه فاهل السماء السابعة اكثر من
اهل السموات الست واهل الارض بالضعف فيجيء الله
تبارك الله وتعالى فيهم والامم جثاه صفوف وعن ابي
هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يمهل حتى اذا ذهب
ثلث الليل الاول هبط الى السماء الدنيا فقال هل من
مذنب فيتوب الخبر ❊ وروى عطا بن يسار عن رفاعة
عن عرابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا مضى
شطر الليل او قال ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء
الدنيا فيقول لا اسال عن عبادي احد غيري من ذا الذي
يسالني فاعطيه وروى جابر ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال ما من ايام افضل عند الله من يوم عرفة
ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فيباهي باهل
الارض وعن ابن عباس انه قرا هذه الآية ويوم تشقق
السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا قال ينزل اهل السماء
الدنيا وهم اكثر من اهل الارض من الجن والانس قال فيه
يوم تشقق السماء السابعة وهي اكثر من اسفل منهم من اهل
السموات والارض فيقولون افيكم ربنا فيقولون لا وسيا — تي

ثم يأتي الرب عز وجل في الكروبيين وهم الزمن اهل السموات
السبع والارض وعن عبادة بن الصامت قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل ربنا تبارك
وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا وذكر الحديث وقال فيه فيكون
كذلك حتى يضيء الصبح ثم يعلو ربنا الى كرسيه وعن عبد الله
بن مسعود قال جاء رجل من بني سليم الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يكن رآه الا بمكة فقال له عمرو بن عبسة
فقال يا رسول الله علمني ما انت به عالم وانا به جاهل اي
صلوة المتطوعين افضل فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اذا مضى نصف الليل او ثلث الليل فتلك
ساعة ينزل الله عز وجل فيها الى السماء الدنيا فيقول هل
من مستغفر فاغفر له الى ان قال حتى ينفجر الصبح صعد
الرحمن الى الملاء الاعلى ⁂ الجواب عن ذلك وبيان تاويله
⁂ اعلم انا قد بينا فيما قبل معنى هذا الخبر وان النزول ينقسم
معناه الى قسمين وليس تخصيص النزول بالنقلة والحركة فقط
بل معانيه في غير الحركة اكثر منه يقال نزل فلان من معالي الامور و
مكارمها الى سفسافها ويقال نزل فلان عن رأيه وانزل فلان
فلانا عن درجته ورتبته وقال الله تبارك وتعالى هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين وقال انا انزلناه في ليلة
القدر في صفة القرآن واخبر عن المشركين انهم قالوا سانزل
مثل ما انزل الله ويقال نزل بني فلان خير وخصب وارتفع
عنهم جدب وقحط وليس يراد بشيء من ذلك معنى النقلة
والتحول من مكان الى مكان ومع ذلك فمعنى النزول فيه صحيح على الوجه
الذي يليق به كذلك معنى ما وصف به الرب تعالى من النزول
وان لم يكن بمعنى النقلة فشايع جائز في لغة العرب وذكرنا ان
ذلك ايضا يرجع تاويله الى اظهار فعل وتدبير في عبيده يسمى
نزولا وانه يحتمل ان يقال ان معناه ان يظهر رحمته لهم واجابته
لدعائهم وانه ممن له ان لا يجيب ولا يرحم لان الاجابة منه
فضل وتركها منه عدل واذا اجابهم فقد نزل عما له ان

لعله بنية فلان

يفعل

يفعل بهم ما يكون من فعله متفضلا ⁂ ويحتمل ايضا ان يكون
معناه نزول ملائكته بامره فيضاف اليه النزول على معنى ما
وقع بامره كما يقال نزل الامير بموضع كذا اذا نزل اصحابه
بامره ونفذ فيه حكمه وسلطانه واذا كان كل ذلك
مما يحتمله اللفظ ويصح معناه فيه وكان حمله على بعضها لا يؤدي
الى وصف الله عز وجل بما لا يليق به كان اولى مما قالوه
⁂ فاما اللفظ الاخر الذي ذكر في الخبر وهو قوله يجيء الله
تبارك وتعالى فيهم بتاويله على نحو تاويل قوله تعالى وجاء
ربك والملك صفا صفا وقد بينا فيما قبل ان
ذلك يدور على وجهين احدهما ان يكون المراد به اظهار
فعل سماه مجيئا والثاني ان يكون معناه مجيء الاملاك
بامره وحكمه فيكون تقديره وجاء ربك بالملك صفا
صفا فيكون معنى قوله في الخبر على نحو ما روي عن ابن عباس
في تاويل قوله تعالى في ظلل من الغمام معناه بظلل من الغمام
وما ذكرنا في تاويل النزول والمجيء فهو تاويل الهبوط و
ان ذلك ايضا ليس هو بمعنى التحول من مكان الى مكان
فاما ما روي عن ابن عباس في قوله الحج الاكبر هو يوم عرفة
وان ذلك هو المباهاة وان الله تبارك وتعالى يقول
الى ملائكته انظروا الى عبادي فليس فيه ما ينكر ومعنى
المباهات تعريف الملك ما تفضل به على بني ادم من
الموافقين بوفه من توفيقه اياهم بطاعته واحتمالهم
الميثاق فيها واما ما ذكر في الخبر الاخر من قوله ويأتي
فهو بمعنى قوله يجيء وينزل ويأتيهم الله في ظلل من الغمام
وليس معنا شيء من ذلك هو على الحد الذي لا يليق
بالله سبحانه وتعالى من الحركة والنقلة والزوال من مكان
الى مكان بل كان ذلك على معنى ظهور فعله وتدبيره او
على معنى ان ظهور الفعل من غيره بامره وحكمه وقع وعلى
ذلك تاول ايضا ما ذكر فيه من العلو والصعود وانه
لا يخلو المراد فيه من احد وجهين اما ان يراد به علو

الاملاك الذين نزلوا بامره الى حيث يريد من فوق بامره
ايضا فيضاف الفعل اليه كما قلنا انهم يقولون ضرب الامير
اللص وانما المراد به امره بذلك ويحتمل ايضا ان يكون
معناه ظهور فعل بعد فعل فاذا كان فيه فضلا سمي
نزولا واذا كان عدلا سمي صعودا لاجل ما يرجع الى المتزول
فيه والى صفة الفاعل فيما له ان يفعل وان لا يفعل فصل
اخر في ذكر الفاظ زايدة في الاخبار التي ذكر فيها الضحك
فمن ذلك ما روى ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال اني لاعلم اخر اهل النار خروجا من النار
واخر اهل الجنة دخولا يقال له ادخل الجنة فيأتيها فيخيل فيه كلام
انها قد ملئت فيرجع فيقول يا رب قد امتلئت فيقال
ارجع ثلاث مرات ثم يقال له لك مثل الدنيا عشرة امثالها
فيقول اتضحك بي وانت الملك قال فقد رايته يعني
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
وعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله عز وجل
ليضحك من اياس العبد وقنوطه وقرب الرحمة منه
وعن طلحة بن البراء ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما اخبر
بموت طلحة رفع راسه الى السماء ثم قال اللهم القه وهو
يضحك وانت تضحك اليه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال يضرب الصراط بين ظهري جهنم وذكر
الحديث وقال فيه فيقول ويلك يا ابن ادم ما اغدرك
الم تعطني عهودك ومواثيقك الا تسألني غير ما
اعطيتك فيقول اي رب لا اكون اشقى خلقك فلا
يزال يدعوا حتى يضحك الرب تعالى منه فاذا اضحك جل
ثناؤه قال له ادخل الجنة وعن عاصم بن لقيط ان لقيط
بن عامر خرج وافدا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال فاتينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين انصرف
من صلاة الغداة وذكر الحديث وقال فيه فيظل يضحك

قد علم ان غوثكم قريب قال لقيط قلت لن نعدم من
رب يضحك خيرا بيان تاويله اعلم ان معنى الضحك
في اللغة ليس هو مختصا بتكشير الفم وظهور الاسنان وتغير
الحال على الانسان بل معناه مشترك ولذلك قالت العرب
ضحكت الارض بالنبات اذا ظهر فيها النبات وقال الشاعر
تضحك الارض من بكاء السماء يريد بذلك ما يظهر
في الارض من النبات وانواره عن مطر السماء واما وصف
الله به جل شانه فذلك راجع الى ما يظهر من نعمه ويبديه من منته
فاما ما قيل في خبر من يدخل الجنة اخيرا اتضحك بي وانت رب
العالمين او قال وانت الملك فقد قيل في بعض الاخبار انه
في مثل هذا الموضع منه اتستهزئ بي وانت رب العزة وليس
المراد بذلك الا ما يقع في وهم هذا القايل انما يطمع فيه ورجا
غير موثوق به ولا يتحقق لما رجع الى حال نفسه في خروجه من
النار والعذاب من ذلك ايضا مجاز في الكلام وان يفعل
مثل ما يفعله من لا يحقق ما يقول والمشبه بالشيء قد يسمى
باسمه كما قال تعالى واعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و
قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واما قوله في الخبر الاخر
عليه الصلوة والسلام ان الله عز وجل ليضحك من اياس
العبد وقنوطهم يحتمل ان يقال ان معناه عند اياس العبد مما الاياس في الحديث اياس العبد من سوى الله لا من الله
سوى الله جل ذكره يظهر الله تعالى رحمته وعطفه ولطفه
فيرحمهم وليس يرجع ذلك الى اياس العبد من الله تعالى عز اسمه
لان من كان كذلك لم يظهر له نعم الله جل ذكره فاما قوله اللهم
القه وهو يضحك وانت تضحك اليه فيضحك الله عز وجل
اليه اظهار الكرامة وضحكه ظهور الفرح فيه بما يظهر اليه من النعمة
عليه وقيه فاما قوله في الخبر الاخر واذا ضحك ربك الى عبد
في موطن فلا حساب عليه فالمراد به لطفا نظره له ورحمته له
وانه اذا ابدا نعمه على عبده رفع الحجاب عنه فيها اتماما للنعم
واكمالا للمنة وفضله فيه وكذلك قوله فلا يزال يدعوا
حتى يضحك الرب منه فاذا ضحك منه قال له ادخل الجنة

والمعنى فيه اظهار اجابته والانعام عليه وابتداؤه بالكرم
والرحمة وليس يخرج جميع ما وصف به الرب سبحانه من
الضحك من ان يكون معناه راجعا الى ما قلنا فعلى
ذلك وبينة لا شبه له وصف الله عز وجل بما هو
تكشير الفم وظهور الاسنان وتغير الاحوال لان ذلك
من صفات الاجسام المحدثة التي تدل بتعاقب الحوادث
عليها على حدثها ؞ فصل آخر في ذكر ما روي
من الفاظ الفرح والاستبشار روى النعمن بشير عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لله افرح بتوبة
العبد من رجل كان في سفر معه راحلته ؞ وروى
ابو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي وانا معه اذا ذكرني
والله افرح بتوبة العبد من احدكم يجد ضالته بالفلاة
وعن ابي هريره ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لله اشد استبشارا بتوبة احدهم بضالته عليها زاده
ومتاعه وسقاؤه وما يصلحه ؞ وروى ابو الدرداء
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ثلثة يحبهم
الله ويضحك اليهم ويستبشر بهم الذي اذا انكشفت
فئة قاتل وراءها بنفسه لله ؞ وعن ابي هريره قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يتوضأ احد
فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد يريد الصلاة
فيه الا تبشبش الله تعالى به كما يتبشبش اهل الغائب
بطلعته ؞ الجواب عن ذلك ؞ اعلم ان معنى
ما وصف الله جل ذكره به من الفرح هو بمعنى الرضا
لان الفرح ينقسم معناه الى السرور والرضا ولا الفرح لله بمعنى الرضا لا
يليق سبحانه وتعالى السرور لانه يقتضي تغير صفة ويكون
معناه ارادته الانعام على من هو راض عنه ومن تاب
الله عز وجل عليه فقد فرح به على معنى انه راض عنه فاراد
الانعام عليه فاما معنى الاستبشار بتوبة العبد فراجع

ايضا

راجع ايضا الى ما يظهر العبد من الكرامة والعطف و
النعمة وافعاله عز وجل لا يحله ولا يحدث في ذاته تعالى بل يحدث
في غيره فالتشبيه وهو معنى الاستبشار لانه يقال لفلان بشا بشته
وهشاشة وفلان باش اذا كان مظهرا رضا بما يستقبله
فلما كان الله عز وجل راضيا عن التائب من عبيده مظهرا
للنعم لديه بتوفيقه اياه للتوبة اولا وتثبيته عليها ثانيا
ومثوبته عليها ثالثا كان ذلك منه استبشارا وبشاشة
فصل آخر في ذكر ما روي من لفظ الاستحياء روى
ابو واقد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا
هو جالس في المسجد والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر
فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و
ذهب واحد قال فوقفا على رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فاما احدهما فراى فرجة في الحلقة فجلس فيها و
اما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا
فلما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
الا اخبركم عن الثلثة نفر اما احدهم فاوى الى الله تعالى
فاواه الله واما الاخر فاستحيا واستحيى الله منه واما
الاخر فاعرض فاعرض الله عنه وعن ابي حبيش الغفاري
قال خرجت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة
تهامة قال فخطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فجاء ثلثة نفر فجلس اثنان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الا اخبركم عن النفر الثلثة
اما واحد فاستحيا من الله فاستحيى الله منه واما الاخر
اقبل تائبا الى الله تعالى فتاب الله عليه واما الاخر فاعرض
فاعرض الله عنه وعن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال يا ايها الناس ان ربكم حيي كريم يستحيي
ان يمد العبد يديه اليه ان يردهما خائبين وعن انس بن
مالك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله
يستحيي من عبده او امته ان يعذبهما بعد ما شابا ؞

بيان الجواب عن ذلك وتأويله • اعلم ان الاستحياء
من الله عز وجل ذكره بمعنى الترك وعلى ذلك تأول العلماء لون
قوله عز وجل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا فان معناه
لا يترك فاما قوله عليه الصلوة والسلام فاما الآخر فاستحيى
فاستحيا الله منه فيحتمل ان يكون معناه انه ترك اذى القوم
بزاحمهم في الحلقة فجلس خلفهم فترك الله عقوبته وعفى عن
ذنوبه وكذلك معنى قوله عليه الصلوة والسلام ان ربكم
حيي كريم انه يترك عقوبة العبد على خطيئته ويعفوا عن زلته
بكرمه فاذا رجع اليه سائلا مستغفرا اجابه وغفر له وكذلك
معنى قوله ان الله يستحيي من عبده او امته ان يعذبهما
بعد ما شابا انه يترك عذابهما اذا شابا في الاسلام و
انما قلنا ذلك لان الحياء الذي هو الانقباض بتغير الاحوال
وحدوث الحوادث فيمن يتغير به لا يجوز على الله جل ذكره
فصل آخر في معنى ما روي في وصف الله عز وجل
بالصبر والغضب والبغض • روى ابو هريرة عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا احد اصبر على
الاذى اذا سمعه من الله تعالى انه يشرك به ويجعل له ولد و
هو يرزقهم ويدفع عنهم ويعافيهم • وروى ابو الدرداء
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى
يبغض الفاحش البذي • وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه من لا يسأل الله تعالى
يغضب عليه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال يوم احد اشتد غضب الله على قوم هشموا هشموا
البيضة على راس نبيهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل
وعن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم اشتد غضب الله على امرأة ادخلت ولدا
بقوم وليس منهم يشركهم في اموالهم ويطلع على عوراتهم
وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول اشتد غضب الله على من كذب علي متعمدا وعن ابي

هريرة

هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدنوا
الشمس فيبلغ الناس من الكرب والغم ما لا يطيقون
وذكر الحديث • وقال فيه يأتون آدم عليه السلام فيقولو لون
اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله ولا يغضب بعده مثله • الجواب عن
معنى ذلك • اعلم ان معنى وصف الله جل ذكره بالصبر
فهو بمعنى الحلم ومعنى وصف الله تعالى بالحلم فهو تأخير العقوبة
عن المستحقين لها ووصف الله جل ذكره بالصبر لم يرد بمعنى اترد بذلك الكتاب به كما
العتاب وانما ورد في نوع هذه الاخبار وتأويله على
معنى تأويل الحلم فاما وصفه بالغضب فقد ورد به الكتاب ب
ومعناه ارادة العقوبة لاهلها ومن علم انه يعاقبهم
عليها وكذلك نقول في الرضا انه ارادة التنعيم والتفضيل
لمن علم انه اهل لذلك وذلك من صفات الذات
لان تأويله يرجع الى الارادة وارادة الله تعالى من
صفات ذاته فاما معنى اشتداد غضبه فالمراد به ما
يبديه من زيادة العقوبة على بعضهم دون بعض فاما
ما هو صفة الذات فلا يجوز وصفه بالتزايد وانما يرجع
التزايد من الافعال الصادرة عن الارادة واما معنى
التسخط فهو معنى الغضب • واما معنى البغض فهو
معنى الكراهة فاذا قيل يبغض الله فلانا من خلقه فالمراد
كراهية الفضل عليه والاحسان اليه والرحمة له واذا قيل
لموجود ان الله يبغضه والمعنى فيه انه يكره ان يكون
بخلاف ما هو به فعلى ذلك يتأول قوله عليه الصلوة و
السلام ان الله يبغض الفاحش البذي فصل ض
آخر فيما ورد في السنة في وصف الله عز وجل بالاعراض
• وعن وائل بن حجر قال اختصم رجل من حضرموت و
رجل من كندة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر
الحديث وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما
انه من حلف على ماله ليأكله ظلما ليلقين الله عز وجل وهو

عنه معرض • وروى عطا عن ابي ايوب قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم هجرة المؤمن ثلث بان تكلما
والا اعرض الله عنهما •• الجواب عن تأويله ذلك •
اعلم ان معنى وصف الله جل ذكره بالاعراض عن العبد يرجع
الى تركه توفيقه الى الخير ومعونته عليه او عن اثابته واذا انه
واذا قيل للعبد انه معرض عن الله عز وجل فالمراد به منصرف
عن طاعته وعبادته وكذلك يقال في الاقبال اذا قيل
ان الله مقبل على عبده او قيل للعبد انه مقبل على الله او
الى الله فالمراد به في وصف الله تعالى به معونته للعبد على
فعل الخير وتيسيره له طرق الطاعة واذا وصف به العبد
والمراد به استعماله بالطاعة والعبادة وانما قلنا ذلك
لاستحالة ان يوصف الله عز وجل بالملاقاة والمقابلة
فيكون اعراضه والاعراض عنه على حسب الاعراض عن
الاجسام والاقبال عليها بنفي المحاذاة عنها وتوجه
المقابلة وذلك لاستحالة كونه تعالى جسما او جوهرا او
موصوفا بما يؤدي الى وصفه بالحدث وسماته •••
فصل آخر في ذكر ما روي من الاخبار في المباهاة
• فاول ذلك قول الله تبارك وتعالى في كتابه قل ما يعبؤا
بكم ربي وروى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم انه قال من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم دنياه
واخرته ومن تشعبت عليه الهموم لم يبالي الله في اي
اودية الدنيا هلك • وروى حماد عن ثابت عن سهم
بن حوشب عن اسماء بنت زيد قالت سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله يغفر الذنوب جميعا
ولا يبالي • وروى خالد بن عبد الله عن بيان عن قيس عن
مرداس الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى مثل حثالة
التمر لا يبالي بهم وروى شهر بن حوشب عن معدي كرب عن
ابي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرويه عن ربه عز و

جل

جل يا ابن آدم ان تذنب حتى تبلغ ذنوبك عنان السماء
ثم تستغفرني غفرت لك ولا ابالي •• الجواب عن
تأويل ذلك • اعلم ان ما وصف الله عز وجل به من امثال
هذه الالفاظ فالمراد به الاخبار عن غناه وانه لا ينقص
شيئ مما يفعله وكذلك معنى ما روي عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال في القبضتين اللتين اخرجهما من صلب
آدم للنار ولا ابالي وافادنا بذلك انه يوصل فضله وهدايته
الى من يشاء من خلقه من غير ان يزداد عزا بفعل الفضل
ويكون له نقص بفعل العدل من تعذيبهم ابتداء من غير جرم
جرم واذا كان كذلك فمعنى الآية ايضا محمولة عليه ••
فصل آخر في ذكر ما روي من وصف الله سبحانه
بالمباهاة • روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يباهي باهل عرفات فيقول
يا ملائكتي انظروا الى عبادي جاؤوني من كل فج عميق اشهدكم
اني قد غفرت لهم وروى مطرف عن عبد الله بن الشخير
ان نوف البكالي وعبد الله بن عمرو اجتمعا فقال عبد الله
بن عمرو انا احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
صلينا معه المغرب ذات ليلة فرجع من رجع وعقب من
عقب فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل
ان يثوب الناس يصلون العشا وقد حفزه النفس
وهو رافع اصبعه الى السماء وهو يقول ابشروا يا معاشر
المسلمين هذا ربكم فتح بابا من ابواب السماء يباهي بكم
الملائكة فيقول انظروا الى عبادي قضوا فريضة وهم ينتظر
اخرى وروى معاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنه
خرجت على ناس وهم جلوس فقال خرج رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على حلقة وهم جلوس فقال
ما اجلسكم فقالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا
للاسلام ومن علينا بك فقال آلله ما اجلسكم الا
ذلك قالوا الله ما جلسنا الا ذلك قال اني لم استحلفكم

ول

البهاء العظمة

يستدل بهذا الحديث على افضلية البشر على الملك

المناجاة

منهم لكم ولكن اخبرني جبريل عليه السلام ان الله عز وجل
يباهي بكم الملائكة ∴ الجواب عن معنى ذلك ٠ اعلم
ان معنى المباهاة هو ان الله عز وجل يظهر من فضله للملائكة
ما يحقرون طاعتهم في طاعتهم وعبادتهم في عبادتهم
فاصل المباهاة هو مفاعلة من البهاء والبهاء هو العظمة
فكان هو ازداد ان الله عز وجل يظهر من عظمة هؤلاء المطيعين
وبهائهم فيما زيد على بهاء الملائكة وجلالهم في طاعتهم
وعبادتهم والغرض في معنى هذا الخبر وفائدته تعرف الخلق
من الادميين مواقع الفضل في طاعتهم وعبادتهم و
انهم قد تبلغ طاعتهم مبلغا زيد قدره على قدر طاعة الملائكة
وهذا ما يمكن ان يستدل به ان افضل الادميين افضل
من الملائكة لانه لا يباهي الا بالافضل والله اعلم فصل
آخر مما روي في الخبر من ذكر المناجاة ٠ روى حميد
الطويل عن انس بن مالك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
راى نخامة في قبلة المسجد فشق عليه حتى محوها ذلك
في وجهه فحكه وقال ان احدكم اذا قام الى الصلوة فانه
يناجي ربه وان ربه بينه وبين القبلة ٠ وعن ابي هريرة
قال صلى بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سلم
جاء ذا رجل في اخر الصفوف قال يا فلان الا تتقي الله
الا تنظر كيف تصلي فان احدكم اذا قام يصلي يقوم
يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه ٠ وعن صفوان بن
محرز قال بينما انا اسير مع عبد الله بن محمد اخذا بيده اذ
عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يدني منه المؤمن فيقول
اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا الجواب عن ذلك
٠ اعلم ان معنى المناجاة هو مخاطبة المخاطب على الوجه
الذي يختص به ولا يشاركه في سماع الخطاب غيره وذلك
اذا وصف به الله تعالى والمراد اسماع الله جل ذكره

افهام

افهامه من اراد من خلقه على الوجوه الذي يختصون به
من غير ان يشاركوا في اسماع ما يسمعون وافهام
ما يفهمون وهكذا هو معنى النجوى يوم القيمة لانه تعالى
يسمع من يشاء من خلقه خطابه على التخصيص بالخطاب
من غير ان يشاركهم في سماع ذلك الخطاب غيره و
هو نحو ما روي عن النبي عليه الصلوة والسلام انه قال ما
منكم من احد الا وسيخلو الله عز وجل به يوم القيمة ليس
بينه وبين الله ترجمان ومناجاة العبد لله عز وجل هو
اخفاء الخطاب من غير ان يسمع غيره وهو ان يذكر الله تعالى
سرا فعلى ذلك يحمل معنى المناجاة اذا وصف به الله
عز وجل او وصف به الخلق فصل آخر في تأويل ما
روي في النفخ وهو ما ذكره من قوله عز وجل فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وقال فنفخنا فيه من روحنا ٠ وروى
قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم يجمع الناس يوم القيمة فيهتمون لذلك فيقولون
لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقولون يا آدم
عليه السلام انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وعن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال لقي آدم موسى عليهما الصلاة
والسلام فقال له موسى انت الذي خلقك الله بيده و
اسكنك جنته واسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه
ثم فعلت ما فعلت وذكر الحديث ∴ الجواب عن ذلك
٠ اعلم ان ما يصف الله تعالى جل ذكره به من نفخ الروح فالمراد
به خلقه للروح فيمن يخلقه وافعال الله جل ذكره لا يقتضي تغير
المخترع له ولا حدوث شيء منها فيه فاما اضافة الروح اليه
ومعناه وفائدته تخصيص وتشريف لان المذكور قد
يخص بالذكر تشريفا له وان كان غيره في معناه كما قيل
بيت الله وناقة الله وعبد الله تخصيصا بالذكر من جملة
المسميات ابانة للفضل وامارة له يبين بها عما سواه

للتنويه بذكره والرفع من حاله وعلى هذا الوجه اضاف
روح عيسى عليه السلام فقال روح الله وذلك احد وجوه
الاضافات مما معناه لا يخرج عن الملك والخلق والتدبير
وذلك لاستحالة الاضافة اليه من طريق المجاورة له والتغير
به لاستحالة ان يكون تعالى جسما او جوهرا فيتغير بالحدث
فيه او يجاور مجاورا فكل ذلك وثبت هذه الابواب
ان الله تعالى فصل آخر من الكلام على من قال ان
ما روينا من هذه الاخبار وذكرنا من امثال هذا السنن
والاثار مما لا يجب الاشتغال بتاويله وتخريجه وتفصيل
معناه وتفسيره • اعلم ان اول ما في ذلك انا قد علمنا
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما خاطبنا بذلك ليفيدنا
وانه خاطبنا على لغة العرب بالفاظها المعقولة فيما
بينها والمتداولة عندهم في خطابهم فلا يخلوا من ان يكون
قد اشار بهذه الالفاظ الى معان صحيحة مفيدة او لم
يشر بذلك الى معنى وهذا مما يجل عنه صلى الله تعالى
عليه وسلم ان يكون كلامه يخلوا من فايدة صحيحة ومعنى معقول
واذا كان كذلك ولا بد ان يكون لهذه الالفاظ معان
صحيحة فلا يخلوا ان يكون الى معرفتها طريق او لا يكون الى
معرفتها طريق فان لم يكن الى معرفتها طريق وجب ان
يكون تعذر ذلك لاجل ان اللغة التي خاطبنا بها غير
مفهوم المعنا ولا معقول المراد والا فبخلاف ذلك
فعلم انه لم يعتد على المخاطبين من حيث اراد بعينه الالفاظ
غيرما وضعت له او ما يقارب معانيها مما لا يخرج من مفهوم
~~الالفاظ غيرما وضعت له او ما يقارب معانيها مما لا يخرج~~
من مفهوم خطابها واذا كان كذلك كان معرفة معانيها
ممكنا والتوصل الى المراد به غير متعذر فعلم انه مما لا
يمتنع الوقوف على معناه ومغزاه وان لا معنى
لقول من قال ان مما لا يفهم معناه اذ لو كان كذلك
لكان خطابه خلوا من الفايدة وكلامه معرا عن مراد

صحيح

في اصل النسخ بها بياض

صحيح وذلك مما لا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم
سؤال • فان قيل الستم تقولون في متشابه القرآن
مما لا يوقف على معناه وان كان على لغة العرب فاي
فيه من فايدة قيل فيه جوابان من اصحابنا من قال في
متشابه القرآن ما لا يعلم تاويله الا الله جل ذكره والرا
في العلم يقولون امنا به ولا يعلم تاويله بان الله سبحانه
هو المخصوص بمعرفة تاويله ولكن فايدة التلاوة التي
هي الطاعة وهي مندوب اليها مثاب على فعلها و
منهم من قال انه لا متشابه في القرآن الا والراسخون في
العلم يعرفون تاويله وان قوله والراسخون معطوف على
قوله الا الله فعلى ذلك يسقط هذا السؤال • سؤال
آخر • فان قيل ليس معاني هذه الالفاظ التي وردت
في هذه الاثار واذا حملت على المعقول فيما بيننا لم يصح
في وصف الله عز وجل فاذا اخرجت عن معانيها المعقو
فتنا ادى الى ان يكون على حسب اللغة وان يكون
ذلك مما يختص بعلم الله سبحانه قيل ان معانيها معقولة
على حسب ما يصح في وصف الله عز وجل محمول على ذلك
وسبيلها كسبيل سائر الاوصاف التي وردت
في الكتاب من ذكر الله عز وجل بالنعوت التي حصل
فيها النصوص والتوقيف وكان معانيها معقولة مرتبة على
حسب ما نزلها العقول على حسب اختلاف الموصوفين
بها بعد ان لا يخرج عنه حقايقها وحدودها واحكامها
اللازمة لها وقف في معاني الفاظ هذه
الاثار الواردة في وصف الله عز وجل ما قالوا الزم
الوقف في سائر وصف الله تعالى مما ورد في اي الكتاب
لمشاركتها لهذه الاخبار في مثل هذا المعنى فلما لم يجز
ذلك وكان سائر ما ورد في وصف سبحانه عز و
جل محمولا على ما يصح غير متوقف في معناه وكذلك
سبيل هذه الالفاظ التي وردت في هذه الاثار

ن
سخون
ما لا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم
له
ب

سؤال آخر • فان قيل انكم لا توجبون العلم والقطع
بامثال هذه الاخبار لانها احاد وما في معناها فكيف
تجمعون بينها وبين ما في الكتاب قيل طريق الجمع بينهما
من وجه واحد وهو انه مما اطلق في وصف الله جل ذكره ذكره له
معنى صحيح معقول ان كان احدهما مقطوعا به والاخر مجوزا
وليس لاختلافهما في طريقهما ما يوجب اختلاف حكمهما
في جواز الاطلاق وحمل معانيها على الوجه الصحيح • سؤال
آخر • فان قيل ما ذا لم يكن خبر الواحد موجبا
للاعتقاد والقطع مقتضية للعلم واخبارا مجوزة فقد
وجد بعض ذلك من طريق القطع والاعتقاد فاذا
كان طريقه تواترا واجماعا ظاهرا او كتابا ناطقا فانه
يقتضي الاعتقاد والقطع بجنسه • وان كان ذلك
مستندا الى اخبار احاد عدول ثقاة كان الحكم له على
الظاهر واجبا من طريق التجويز ورفع الاحالة فان لم
يكن فيه القطع والاعتقاد فلذلك رتبنا هذه الاخبار
على هذه الوجوه التي ذكرناها • واعلم انه اذا كان لا بد
من قبول اخبار العدول ولا بد ايضا من ان يكون لكلام
الرسول عليه الصلوة والسلام الاثر والفائدة وكان
التوقيف فيما يمكن معرفة معناه فلا وجه له وكان تعطيل
هذه الاخبار لاجل توهم تعذر تخريجها وترتيبها — لا وجه له
~~لا وجه له~~ وكان بعضهم ممن يتوهم انه لا سبيل الى تخريجها
يذهب الى ابطالها وبعضهم يذهب الى اثبات التشبيه
بها وبعضهم يذهب الى احالتها من معان صحيحة وجب
ان يكون الامر موجها على ما قلنا ورتبنا وان تكون
اوهام المعطلين من الملحدة والمسترشدين والمتشبهين
بالله عز وجل فاسدة باطلة وان تكون معاني هذه
الاثار صحيحة معقولة على الوجه الذي ذكرناها وبيناها و
بطل توهم من يدعي ان ذلك مما لا يجوز تأويله ولا يصح
تفسيره ووجب ايضا ان يكون معنى قول من قال باجرا
رها

وليس في هذه الاخبار شيء يقتضي ذلك منها لجنسه فعلى ماذا
يحملونها قيل انها وان لم تكن موجبة للقطع صح

على ما

على ما جاء به محمولا انه لا يزاد فيها ولا ينقص منها كيلا
يؤدي الى وقوع الغلط فيها وخاصة اذا خاض في
تأويلها من لم يكن له ذريعة بطريق التوحيد
ومعرفة الحق فيها فلذلك حملنا هذا
القول على هذا المعنى من تأويله وان
لم يكن اراد ذلك وانا بيناه
لنوضح بطلان ما قاله و
تصحيح ما قلناه فهذا
ذلك رتب
ان شاء الله
وبالله
التوفيق
تمت

الحمد لله على توفيق الاتمام • بكتاب مشكلات
وغرايب احاديث سيد الانام • شفيع العصاة
يوم العرصات • افضل الانبيا العظام • واكمل الرسل
الكرام • عليه افضل الصلوات واكامل السلام التام
من الله الملك العزيز العلام • متواصلا الى قيام الساعة
وساعة القيام • وعلى اله واصحابه الخيرة
البررة الكرام • على يد افقر الانام
عن النسخة القديمة الممحى عن
سطورها بعض
الحروف والكلام
محمد الحسيني
القنوجي
رحمه الله
من
[illegible] ١١٢٠

هو وقد وجدنا نسخة تاريخها ولكن
... شرح مشكلات
الشيوخ الرسول صلى الله عليه وسلم
احاديث الاثار ... وكذلك
والاثار الانبياء ... نسخة
... جدا ... منه
هذا الكتاب ...
... بعد
... الله
... عليه
... قرة ...
... الله
...
... الله عنه
...
... الاكبر
... سنة
١١٢٩

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وكفى عبده

قال بعض الحكما ثلثة تذهب بحلاوة الايمان من القلب الاشتغال
بالشعر والادمان على السكر والخمر وصحبة الغنا
واستماعه ⁂ قال وكان بكر بن عبد الله
يقول اجتهدوا في اعمال الآخرة وان
قصر بكم الضعف فكفوا
عن المعاصي ⁂
يا مالك يوم
الدين اياك
نعبد و
اياك
نستعين
تم